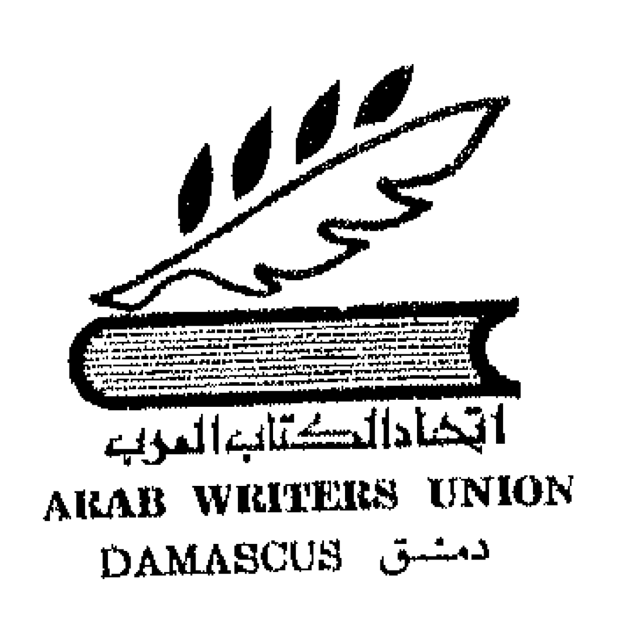
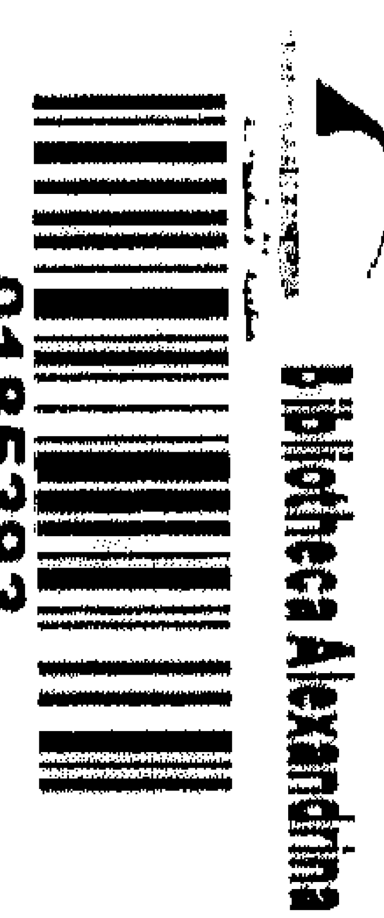


د. فايز رشيد

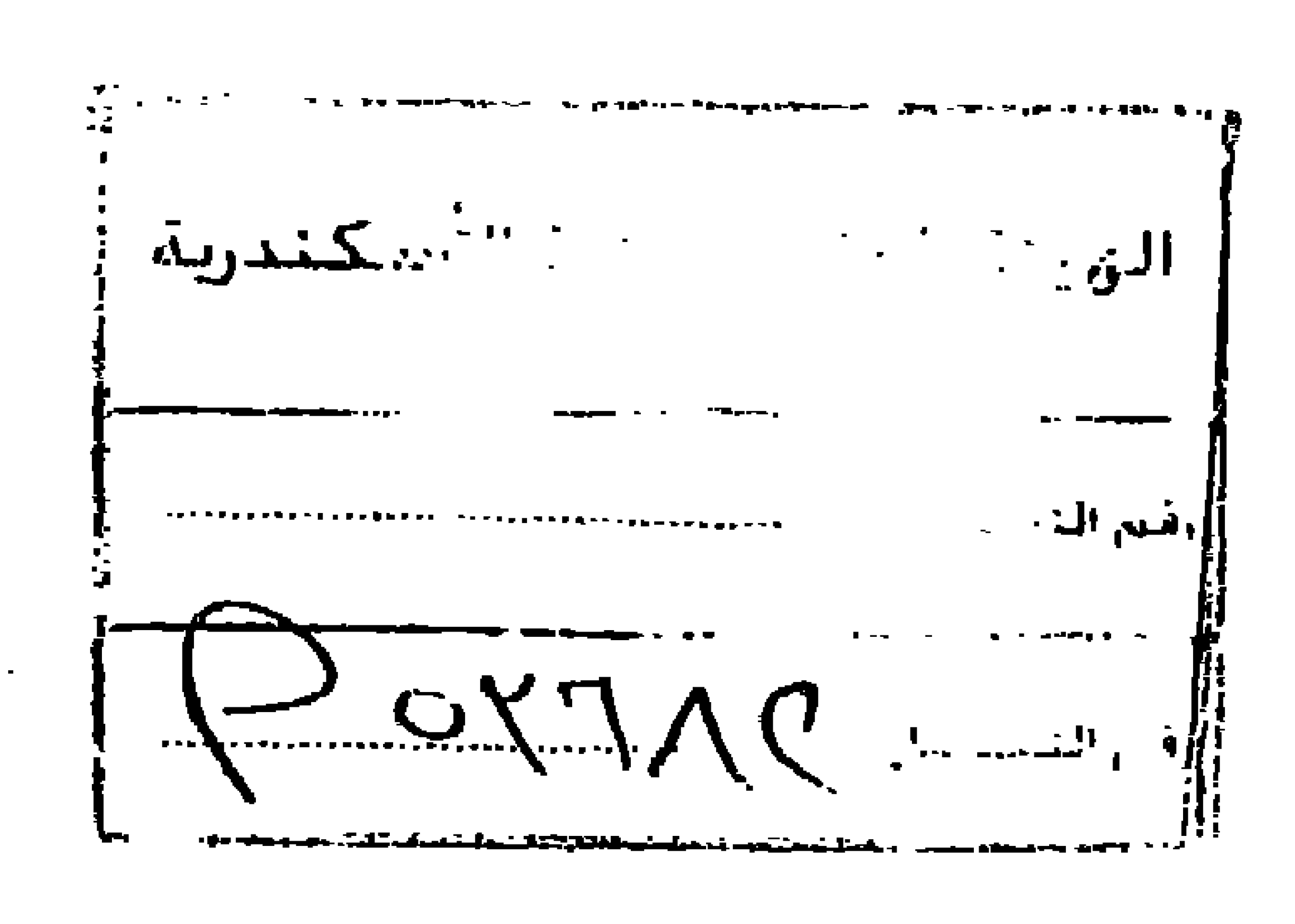
خمسون عاماً على النكبة



دراسة

خمسون عاماً على النكبة

د. فايز رشيد



خمسون عاماً على النكبة

- دراسة -

من منشورات اتحاد الكتاب العرب

١٩٩٩

البريد الالكتروني:

Enternet : aru@net.sy
Email : unecriv@net.sy

□

مقدمــــة

بمرور نصف قرن على اغتصاب فلسطين وإنشاء الدولة الصهيونية، وبعد مرور مئة عام على المؤتمر الصهيوني الأول، الذي أرسى بالمعنى الفعلي أسس هذه الدولة، وفي هذه الذكرى فإن أسئلة كثيرة تُطرح، لعل أهمها: هل حقق المشروع الصهيوني كامل أهدافه في المنطقة؟ أم أن هناك تغييرات طرأت على هذا المشروع؟ لذلك بدأنا نسمع تعبيرات مثل: ما بعد الصهيونية والتي تحاول أن تصور أن إسرائيل اكتفت بما حققته على أرض الواقع وبالتالي فإن احتلال أراضٍ عربية جديدة لم يعد قائماً؟ ومن ثم يبقى التساؤل الأهم: أين نحن كأمة عربية من تأثيرات وأخطار المشروع الصهيوني؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات لا بد من استعراض عدة جوانب في الداخل الإسرائيلي باعتبار الدولة هي التعبير الحقيقي عن جوهر الحركة الصهيونية.

أولاً : بعد خمسين سنة على إنشائها، فإن قاسماً مشتركاً ما زال قائماً بين بداية تشكيل الدولة واللحظة الراهنة. ففي الأعوام الأولى من إنشائها كان المظهر السائد في الدولة الصهيونية هو العسكرة- بكل ما تعنيه هذه الكلمة- فكانت عبارة عن معسكر كامل دون امتلاك أية مقومات مجتمعية مؤسساتية في الجانب المدني. في المرحلة الراهنة وعلى الرغم من امتلاك هذه المؤسساتية، لكن إسرائيل ما تزال تحافظ على الطابع العسكري للدولة، وخير دليل على ذلك: هو أنها تستطيع تعبئة نسبة تتراوح بين النصف وثلاثة أرباع المجتمع خلال ثمان وأربعين ساعة في أية مواجهة عسكرية قد تقع.

ثانياً : على مدى تاريخها (وإن بشكل نسبي بين المراحل) فإن تزاوجاً عضوياً قد تم بين المؤسسة الدينية باعتبارها التعبير العلمي والعملي عن الإيديولوجيا العنصرية على المفاهيم التوراتية والتلمودية.. وبين المؤسسة السياسية العسكرية الحاكمة المدعومة بالتكنولوجيا المتطورة، ولذلك لا

زلنا نشهد تأثيراً كبيراً لهذه المؤسسة الدينية في مجمل السياسات الإسرائيلية: والأمثلة كثيرة على ذلك: تعريف من هو اليهودي، تنازل الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة في العديد من الخطوات لصالح الحاخامات من تطبيقات دينية في الشارع الإسرائيلي، ولعل أبرز دليل على ذلك: ما أفرزته الانتخابات الإسرائيلية الأخيرة للكنيست في عام ١٩٩٦ من تنامي متصاعد للأحزاب الدينية وعموم الأحزاب اليمينية الإسرائيلية. وهنا لا بد من أخذ ملاحظة بعين الاعتبار: وهي إمكانية التنامي المستمر لهذه الاتجاهات في الداخل الإسرائيلي وبالتالي زيادة تأثيرها على مجمل السياسة الإسرائيلية، ونستطيع أن نتصور بالطبع تداعيات ذلك على مجمل الصراع العربي الصهيوني.

ثالثاً : الإصرار الصهيوني على مبدأ كون إسرائيل "دولة يهودية" ودولة لكل اليهود في العالم ولمن يريد أن يعتنق اليهودية والتركيز على هذا المفهوم باستمرار. ولذلك وكما يقول إسرائيل شاحاك في كتابه القيم "التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية، وطأة ثلاث آلاف سنة": عندما ظهرت في أوائل الثمانينات أقلية يهودية تعارض هذا المفهوم (ومن ضمنها الكاتب الإسرائيلي نفسه) صدر قانون دستوري (قانون له الأولوية على أحكام القوانين الأخرى، ولا يمكن إلغاؤه إلا وفق أصول خاصة)، عام ١٩٨٥ أقرته أغلبية كبيرة في الكنيست، وبموجب هذا القانون لا يجوز لأي حزب يعارض برنامجه مبدأ "الدولة اليهودية" أو يعلن حتى عن عزمه على تغيير هذا المبدأ وبالوسائل الديمقراطية أن يشارك في انتخابات الكنيست مهما كان عدد أعضائه.

رابعاً : تنامي النظرة العنصرية اتساعاً وشمولية وعمقاً في إسرائيل فيما يتعلق بغير اليهود عموماً، وبالعرب تحديداً مع ما يصاحب ذلك من قوانين تمييز عنصري واضح في حقوق الإقامة وحق العمل وحق المساواة أمام القانون وامتلاك الأرض بنسبة ٩٢٪ من أراضي فلسطين هي ملك للدولة الإسرائيلية وبالتالي لا يجوز التصرف فيها.

يندر أن تجد مثيلاً في التاريخ (باستثناء النازية) لأيديولوجيا عنصرية كالتي تمارسها إسرائيل التي تدعو هي الأخرى إلى العرق اليهودي النقي تماماً مثلما دعت النازية إلى العرق الآري النقي!

إن المظاهر العنصرية الإسرائيلية التي مارستها إسرائيل ضد فلسطيني

المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ (والذين تعتبرهم أقلية سكانية)، وهي ما تزال تمارسها ضدهم، معروفة ومكشوفة تماماً، ثم إن الأساليب الهمجية والقمح الوحشي الذي مارسته وما تزال تمارسه ضد شعبنا الفلسطيني في المناطق المحتلة عام ٦٧ هو معروف أيضاً وضد عموم شعبنا وجماهير الأمة العربية من المذابح والقتل الجماعي إلى سياسة تكسير العظام ومصادرة الأراضي هي سياسات كانت وما زالت تمارس من قبل الدولة الصهيونية بعد خمسين سنة على إنشائها.

إن النظرة الاستعلائية الإسرائيلية تتكرس يوماً بعد يوم ضد الفلسطينيين والعرب. والأمثلة كثيرة على ذلك ومنها ما جاء في كتب نشرته قيادة المنطقة الوسطى للجيش الإسرائيلي في عام ١٩٧٣ ووزعته على جنود الاحتلال وجاء فيه "أفضل غير اليهود اقتله، وأفضل الأفاعي انزع فمه.. الثقة بعربي غير جائزة في أي ظرف حتى لو بدا متحضراً ويجوز حتى قتل المدنيين منهم".

وها هو نتنياهو يقول.. في كتابه المعروف "مكان تحت الشمس" عن اليهود "بأنهم يشكلون ظاهرة فريدة في التاريخ تشذ عن نظرية الفيلسوف الإيطالي جوفاني بتسنافيكو حول دورة الأمم في التاريخ -ولادة، شباب، نضوج، موت لأن اليهود يرفضون الموت.. ويستطرد أنه عندما طلب فريدريك الأكبر من طبيب أن يأتيه ببرهان على وجود الله اكتفى بالقول: إن وجود اليهود هو الدليل على وجود الله".

ولأن الأيديولوجيا العنصرية لا يمكنها أن تفرز سوى ظواهر عنصرية فقد امتد التمييز بين اليهود أنفسهم فحقوق اليهود الغربيين هي غير حقوق الشرقيين أو يهود الفالاشا على سبيل المثال.

خامساً: إن مفهوم السلام الإسرائيلي بالمعنيين التكتيكي والاستراتيجي مع العرب يقوم على أساس: الأمن الإسرائيلي أولاً وثانياً وثالثاً، وبدعوى هذا الشعار، فإن إسرائيل تبرر بقاء احتلالها للأراضي العربية باعتبارها مجالاً حيوياً للأمن وللجيش الإسرائيلي لا يمكن التنازل عنها، وتحت هذا الشعار فالسلام مع العرب يجب أن ينطلق بامتلاك قوة عسكرية تهدد أو ستهدد إسرائيل مستقبلاً.. ليس هذا فحسب وإنما أيضاً يجب ردع العرب دوماً.. وفي هذا المجال يقول نتنياهو في كتابه السيء الذكر: إن استعراضنا سطحياً لتاريخ الشرق الأوسط في السنوات الماضية يكفي لإثبات أن العرب ينصاعون بحرص شديد لمبادئ سلام الردع.. وإن كبح جماع عدوانيتهم يأتي بطريقتين فقط هما: قوة الردع وإذا فشل

الردع بقوة السلاح"، ورغم ادعائه الكاذب بعدم اتفاقه مع مقولة تحمل كل الكره والعداء للعرب، لكنه يرددها مراراً (إن العرب والديمقراطية لا ينسجمان أبداً).

وبناءً على هذه الاستراتيجية فإن إسرائيل أسمت حروبها العدوانية ضد العالم العربي بأنها حروب وقائية ليس إلا! ومن نفس المنطلق أيضاً فإنها تتنكر للحقوق الفلسطينية من خلال لاءاتها المعروفة للقضايا التي تعتبر أساس الصراع العربي الصهيوني، وللحقوق العربية أيضاً من خلال احتفاظها باحتلال هضبة الجولان العربية السورية والجنوب اللبناني. وتطمح إسرائيل أن يصل عدد سكانها اليهود في عام (٢٠٢٠) إلى (١٢-١٥) مليون يهودي. ماذا يعني ذلك؟ إنه يعني وباختصار شديد تنامي عدد السكان إلى ثلاثة أضعاف وبالتالي فإن عدد أفراد الجيش الإسرائيلي سيتضاعف أيضاً (٣) مرات، ولن تتسع لمجال تدريباته الحيوية المناطق التي تحتلها إسرائيل حالياً.. لذلك ومن أجل الأمن ربما ستجد إسرائيل نفسها مضطرة لاحتلال المزيد من الأراضي العربية في سبيل تحقيق هذا الهدف. قد تبدو هذه المسألة في المدى المنظور طوباوية لا لزوم لها، ولكن لكل مرحلة ظروفها وضمن المقولة الفلسطينية" فإن ما يبدو صعب التحقيق ومستهجناً في مرحلة معينة يسهل تحقيقه بتغيير الظروف المحيطة به "تقول ذلك وخلفنا تجربة كبيرة وهي إن إسرائيل انطلقت دوماً من نقاط انتصارات مرحلية عديدة راكمتها على مدى تاريخها. وليس عبثاً على الإطلاق ما تدعيه إسرائيل بوجود آثار يهودية في هذه المنطقة العربية أو تلك، كذلك ما يتردد على ألسنة العديد من القادة الصهاينة ولعل أبرزهم نتنياهو من أن سيناء والأردن والجنوب اللبناني هي مناطق جرى اقتطاعها من أرض الميعاد!

من الصحيح القول أن الصهيونية بعد مئة عام على إنشائها وبعد (٥٠) عاماً على اغتصاب فلسطين لم تغير أهدافها استراتيجياً، ولكن نتيجة للمستجدات الدولية سياسياً فإن تكتيكها السياسي قد تغير من الاحتلال المباشر للأرض العربية وتحقيق دولة إسرائيل الكبرى من خلال فرض الهيمنة الاقتصادية على المنطقة برمتها مستغلة ما يسمى باتفاقيات السلام التي عقدتها مع بعض الدول العربية واستعمالها بوابات عبور اقتصادي إلى عموم المنطقة العربية، لكن علينا أن لا ننسى إمكانية التوسع الإسرائيلي جغرافياً على حساب الأرض العربية. إسرائيل وبعد (٥٠) سنة على إنشائها لم ترسم حدودها الجغرافية بعد! وما زال النشيد الصباحي لطلاب المدارس الإسرائيلية حتى هذا اليوم يقول (بأن هذه الضفة لنا وتلك الضفة شرق النهر لنا أيضاً).

إن المبدأ الإسرائيلي يتمثل فيما توصل إليه أحد الباحثين العرب في عنوان كتابه (عرب أقل وأرض أكثر).

على صعيد الحركة الصهيونية بشكل عام:

عند الرقم ١٤ في شارع شتاينبرغ حيث كازينو مدينة بازل السويسرية، ليست هناك سوى لوحة بسيطة تذكر بأن واحداً من أبرز أحداث القرن بدأ في هذا المكان بالذات قبل مئة عام. حملت اللوحة العبارة التالية "في هذا المنزل أقيم بين ٢٩-٣١ آب ١٨٩٧ بناءً على دعوة الدكتور تيودور هرتزل المؤتمر الأول الذي أسس المنظمة الصهيونية التي مهدت لقيام دولة إسرائيل".

في نفس الفترة من العام الماضي ١٩٩٧ أقيم مؤتمر احتفالي حضره ممثلو التجمعات اليهودية من كل بلاد العالم، رافق ذلك نشاطات بحثية أكاديمية نظمتها جامعة بازل بمناسبة مرور (١٠٠) عام على الصهيونية. ما يعنينا هو القرارات التي أعلنها المؤتمر الصهيوني المذكور، ومن الجدير ملاحظته حول هذه النقطة بالذات أن قرارات أخرى بقيت سرية ولم يجر الإعلان عنها، وهي نهج صهيوني، فبروتوكولات حكماء صهيون جرى الكشف عنها بعد بضع سنين!

من قرارات المؤتمر المذكور ما يلي:

١-عدم السماح للحكومة الإسرائيلية بتغيير قانون العودة، والتوقف في التشريعات أو إحداث تشريعات جديدة دينية.

٢-الحركة الصهيونية هي حركة يهودية تعددية تؤمن بأهمية قدسية تعزيز وحدة اليهود في العالم.

٣-إن أكبر عدو لنا هو تذويب الهوية اليهودية، بمعنى تحول اليهود إلى جزء من المجتمعات التي يعيشون فيها.

٤-القرن القادم يجب أن يكون عصر النهضة للروح اليهودية.

وفي خطاب رئيس المؤتمر الذي كان موجهاً إلى روح هرتزل قبل مستمعيه، وبعد أن استعرض إنجازات الحركة الصهيونية في مئة عام تطرق إلى السلام قائلاً: (عملنا من أجل السلام وإننا نخوض مساراً عسيراً، السلام يجب أن يأتي من القوة اليهودية ومن العزيمة اليهودية، السلام يجب أن يبنى على الانتصارات وأن يأتي من المعنويات القوية لليهود).

القيادات السياسية الإسرائيلية هي نتاج طبيعي وحقيقي للحركة الصهيونية،

ففي المؤتمر الصهيوني الدوري العالمي الذي عقد في كانون أول /١٩٩٧ في إسرائيل بحضور (٣٠٠٠) مندوب يمثلون اليهود في جميع أنحاء العالم، ورغم التعتيم الإعلامي على أخبار هذا المؤتمر (وهو مقصود بالطبع) فإن إحدى الاستنتاجات التي خلص إليها المؤتمر التالية (إن الصهيونية لم تتم مهمتها بعد في التجذر بأرض إسرائيل، بل ترى أن الخطر على وجود إسرائيل ما زال ماثلاً، ولذلك فإنهم يدعون إلى البقاء في الجيتو اليهودي المغلق للدفاع عن الصهيونية والتمسك بأرض إسرائيل.. والسبيل إلى ذلك أن إسرائيل يجب أن تزداد قوة وتفرض الأمر الواقع شبراً شبراً وتبني علاقاتها مع العالم على أساس التحالف مع الأقوياء من خلال تبادل الخدمات والمصالح وليس من خلال العطف على اليهود).

ومما جاء في خطاب نتنياهو في المؤتمر المذكور:

"سنضطر خلال السنوات الخمسين القادمة لبذل جهد لا يقل حجماً عن الجهد الذي بذلناه سابقاً من أجل إنقاذ وخلاص الجماعات اليهودية في الشتات من خطر الذوبان في المجتمعات التي يعيشون فيها، ولا نجد طريقة لعمل ذلك إلا عبر تعميق التثقيف اليهودي، ولا يوجد أسلوب لتعميق التثقيف اليهودي وإنقاذ الشتات اليهودي إلاّ عبر الهجرة إلى إسرائيل. إن الهجرة والتثقيف اليهودي مرتبطان أحدهما بالآخر ربطاً لا انفصام فيه "وفي سبيل الهجرة لا مانع لدى نتنياهو من تسعير موجة العداء للسامية كلما خبا أوارها.

الخلاصــــة:

لم نسق ما استعرضناه من تحليل وأحداث من أجل سردها مثل حكاية تاريخية في هذه المناسبة بل نذكرها من أجل الإجابة على التساؤل الأهم: ماذا تغيرّ من السياسات الإسرائيلية والأهداف الصهيونية في فلسطين أو في منطقتنا العربية؟؟

بالرغم من كل ما حصل من أحداث فإن السياسات الإسرائيلية في عام ١٩٩٨ هي نفسها سياسات إسرائيل طيلة الأعوام الخمسين التي مضت على إنشائها، والأهداف الصهيونية هي ذاتها وربما تغير في بعض المراحل التكتيك الإسرائيلي في التعامل السياسي مع العرب والعالم.. لكن الاستراتيجية الصهيونية باقية وهي تتجذر في إسرائيل يوماً بعد يوم.. وبالتالي فإن المشروع الصهيوني ما زال مستمراً.

وبمناسبة مرور خمسين عاماً على اغتصاب فلسطين: الحدث الأهم الذي جرى في منطقتنا العربية خلال هذا القرن. وفي محاولة منا للرّد على الادعاءات الصهيونية، بالحق التاريخي لليهود في فلسطين، وعلى الاحتفالات الإسرائيلية التي تنوي عقدها لأشهر طويلة بمناسبة ما تسميه: مرور خمسين عاماً على إنشاء إسرائيل. وعلى ضوء الوضع السياسي الراهن والتعنت والصلف الإسرائيلي الذي يريد أن يفرض مفهومه للسلام على كل العرب.. فقد توجهنا بالأسئلة التالية إلى نخبة من أبرز المثقفين والباحثين والسياسيين والعسكريين العرب.. وهي:

١-لماذا هزمنا؟ وأية عوامل ترونها أسباباً في انحسار المشروع الوطني الفلسطيني، بدءاً من تحرير كامل فلسطين، وصولاً إلى المرحلة الراهنة؟

٢-بعد مائة عام على قيام الحركة الصهيونية كحركة سياسية.. هل ترون أن المشروع الصهيوني قد تغير؟ وما هي أبرز ملامح التغيير فيه إن وجدت؟

٣-ما هو تأثير الاتفاقيات المبرمة بين إسرائيل وعدة أطراف عربية: كامب ديفيد ولدي عربة واتفاقيات أوسلو على مجرى الصراع العربي الصهيوني؟

٤-كيف ترون ضرورة الربط بين الخاص الوطني والعام القومي من أجل بناء الجبهة الوطنية الشعبية العربية العريضة لمقاومة المشروع الصهيوني سياسياً واقتصادياً وثقافياً؟

٥-في رأيكم وعلى ضوء المستجدات السياسية الراهنة.. كيف ترون أشكال الخروج من المأزق؟

آملين من خلال الأجوبة التي تفضل الأخوة المشاركون بالإجابة عليها مشكورين.. أن نعمق حالة الجدل القائمة وبخاصة، في البحث عن كيفية الخروج من مآزقنا الراهنة، وأن نكون قد أسهمنا ولو بجزء يسير من مواجهة المعارك التي تجابهها أمتنا العربية الواحدة.

***

أجوبة الرئيس الجزائري الأسبق

أحمـــد بن بلّـــة

السـؤال الأول:

لماذا هزمنا؟ وأية عوامل ترونها أسباباً في انحسار المشروع الوطني الفلسطيني بدءاً من تحرير كامل فلسطين وصولاً إلى المرحلة الراهنة؟

الجـواب الأول:

قبل أي شيء يجب أن نعطي الموضوع أبعاده الحقيقية. إن المعركة الفلسطينية هي آخر المعارك ضد الاستعمار ونحن نواجه أخطر تركة استعمارية ألا وهي إسرائيل. إن قضية فلسطين تتجاوز في هذا الإطار مجرد قضية جغرافية بل هي رمز أساسي لظاهرة الاستعمار بشكل عام والنضال للقضاء على هذه الظاهرة ومحوها. إن الاستعمار الإسرائيلي هو لب كل المشاكل في الساحة العربية والإسلامية ككل لأن وجود هذا الكيان الغريب مرتبط بمصادر الطاقة التي توجد لدى المنطقة العربية الإسلامية. والنظام العالمي الجديد يريد تكبيل كل المنطقة من أجل هذا الشيء. إذن فإن حربنا ضد الصهيونية تتجاوز الإطار الجغرافي الداخلي لفلسطين لتشمل كل منطقتنا.

السـؤال الثاني:

بعد مائة على قيام الصهيونية كحركة سياسية، هل ترون أن المشروع الصهيوني قد تغير وما هي أبرز ملامح التغيير فيه.؟

الجـواب الثـاني:

المشروع الصهيوني هـو مشـروع استعماري ويريـد أن ينجـح بـأي وسـيلة كانت. فالقضية هي قضية وجود. وجوده يعني القضاء على وجودنا على الساحة العربية كلياً.

إلا أن هذا المشروع الاستعماري لم ينجح تماماً لأنه لم يستطع تجميع كل اليهود وبالأخص نتيجة للصمود المتواصل للثورة الفلسطينية.

إن القضية بنوعيتها لا يمكن أن تحل إلا بعد أجيال. لنـأخذ مثـلاً أندونيسـيا، إن عملية تحررها دامت أكـثر مـن ٣قـرون، والجزائـر تحـررت بعد ١٣٣ سـنة والأمثلة كثيرة جداً ومتعددة حين ننظر إلى التاريخ وإلى مختلف البقاع في العالم. إن القضـاء علـى الاسـتعمار يتطلـب معركـة أجيـال. إن تحريـر الجزائـر عـرف أجيالاً منهم جيـل الأمـير عبـد القـادر وفـي المغـرب هنـالك الأمـير عبـد الكريـم. فالمشكل إذن هو مشكلة أجيال ولكن لا مفر من نهايـة الاسـتعمار هـذا السـرطان والبؤرة الخبيثة. نرى هذا الاستعمار اليوم يهدد فلسطين والعراق ويحاول القضاء على كل شيء.

إذن هذا هو مستوى المعركة: لا مفر من زوال الاستعمار ولو علـى المـدى البعيد فذلك مسألة حتمية. إن هذه البقعة من الأرض حملت مشعل الحضـارة لمـدة (٨٠٠) سنة ولهذا لا يمكن القضاء علـى الثقافـة العربيـة الإسـلامية علـى عكس الشيوعية مثلاً. إن ساموئيل هونتغتون يحاربنا بكل ما لديه من جهد ولكن المسـألة أقوى منه بوجود الفارابي وابن سينا وابن رشد والقائمة طويلة. إن الغـرب يشـعر بهذه القوة الثقافية. وخلف فلسطين هنالك هذا الوزن التاريخي، وهذا على عكس المشروع الاشتراكي الذين نجحوا في التغلب عليه (حالياً) على الأقل.

السـؤال الثـالث:

ما هو تأثير الاتفاقيات المبرمة بين إسرائيل وعدة أطراف عربيـة: كمـب ديفيد، وادي عربة واتفاقيات أوسلو على مجرى الصراع العربي الصهيوني؟

الجواب الثـالث:

كل هذه الاتفاقيات مؤقتة ومحدودة ولا تستطيع الذهاب بعيداً حيث أننا نحـن نشكل أمة موحدة ضميرياً. الوحـدة فـي ضمـير الشـعب العربـي كلـه. وضميرنـا

متوحد أكثر من الضمير الأوروبي. وهذا لا يمكنهم القضاء عليه. قضوا على الكثير من المشاريع ولكن لن يطالوا وحدة ضميرنا. لمّا توحد العرب على البترول مثلاً، أصيب الغرب بفاجعة وظهرت عظمة وحدة الكلمة مع فيصل الضمير الذي هو سلاحنا الأساسي وهو متوفر.

السؤال الرابع:

كيف ترون ضرورة الربط بين الخاص الوطني والعام القومي من أجل بناء الجبهة الوطنية الشعبية العربية العريضة لمقاومة المشروع الصهيوني سياسياً واقتصادياً وثقافياً؟

الجواب الرابع:

هذا يأتي من الممارسة وحتى من هزائمنا. قبل بضعة سنوات قالوا إن مشروعنا الوحدوي مات، وهم اليوم يتحدثون في الغرب عن رأي عام عربي ضد ضرب العراق. ما هو الجديد إذن؟ الجديد هو ما حدث في العالم العربي هذه الأيام بما في ذلك دول الخليج، والإمارات كان موقفها من أروع ما يكون. هنالك رأي للأمة العربية يفرض نفسه. إن الذي أعطى النجاح لكوفي أنان هو أنه أول أمين عام للأمم المتحدة فهم شخصيتنا. اعترف بأن الغرب لا يعرف سيكولوجية العرب وكبرياءهم. لأنه فهمنا وجد حلاً للأزمة وما زلنا نأمل في أن يلعب كوفي أنان أدواراً كبيرة لصالح الحق.

أما بخصوص الربط بين الوطني والقومي فلا أراه بمنظور غربي. هنالك فعلاً مميزات علينا احترامها. إن الربط ضروري بين النظرة الوطنية المبسطة والنظرة الوطنية العميقة إن الضمير العربي هو الحقيقة التي لا غبار عليها.

كل شعب مصر رافض للتطبيع وكمب ديفيد وحتى نتنياهو يريد كمب ديفيد ثانية ولكن العرب كشعب على الأقل يرفضون هذا.

السؤال الخامس:

في رأيكم على ضوء المستجدات السياسية الراهنة كيف ترون أشكال الخروج من المأزق.؟

الجواب الخامس:

أن التعايش مع اليهود والأقليات هي من خصوصياتنا نحن العرب والمسلمين. نحن لسنا كالغرب تاريخياً كلما ضرب الغرب اليهود ضربوا معهم العرب والعكس بالعكس. إن اليهود جزء من ثقافتنا وتربطنا معهم علاقات ولكن فصيلاً منهم نشأ لدى الغرب وأعطى المشروع الصهيوني. للأسف لقد طرحوا المشكل بطريقة غربية. هم عانوا من عنصرية الغرب ولكنهم دخلوا معنا نحن في مواجهة وهذا أمر غريب ولكن بالنهاية سيفشلون في مشروعهم الصهيوني.

إن الغرب والصهاينة يعرفون جيداً أننا سنكون نحن العرب ٥٦٥ مليون نسمة خلال ٢٠ سنة حسب دراسات الأمم المتحدة الديمغرافية. كما أن ثقافتنا لا تزال حية ومن أكبر الثقافات الإنسانية، وإشعاعها ما يزال يزداد ويتوسع. ولا ننسى أن العرب المسيحيين واليهود ينتمون إلى ثقافتنا لهذا فالمستقبل ليس للصهيونية هذه الحركة العنصرية.

إضافة إلى أني أشعر بأن الروح القومية تسترجع قوتها فهنالك رأي عام في كل نقطة من وطننا وهذا ما لا يمكن تجاهله في الحاضر والمستقبل.

أنني أستغرب من أبي عمّار أن يتكلم عن (صلح الشجعان) وأنا أقول له: هذا الخطاب استعملته معنا فرنسا في الجزائر ولكننا رفضناه لأنه خديعة واستمرينا في الحرب ٣سنوات أخرى حتى انتصرنا، وبدون سلام الشجعان. وأقول هذا كأخ لعرفات وعليه أن يفكر بأنه ليس من الضروري أن يحل هو بنفسه المشكل الفلسطيني فالأجيال القادمة هي التي ستحل المشكل ولا يجب عليه أن يضيق عليهم الأبواب بما ينتهجه الآن من سياسة.

انتهى

وسلامي الحار لكم ونحن معكم إلى الأبد

أحمد بن بلة

* * *

أجوبــة أبــو علــي مصطــفى

نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

السـؤال الأول:

مثلما تقيّم الانتصارات التي تحققها الشعوب أو الأمم أو الحركات، على أنها مبنية علـى توفر شروط ماديـة أو معنويـة، فـالهزائم أيضـاً لهـا أسبابها المادية والمعنوية.

فالهزيمة التي أصابت المشروع الوطني والقومي العربي، هي هزيمـة متوارثـة ومنـذ عقـود وأسـبابها تكمـن فـي الأزمـة البنيويــة/ الاقتصاديــة- الاجتماعية- الفكرية- السياسية- والعسكرية العربية، فهي (أي الحالة العربية ومن ضمنها الفلسطينية) لم توفر عوامل للانتصار على المشروع الصهيونـي، الذي بدأ غزو منذ عشرينات هذا القرن.

فسواء في الحالة الفلسطينية، التي أقامت بنيتها في المواجهة على حالـة هيمنة القيادة الإقطاعية الدينية، أو بفكرها الذي فصل ما بين حالـة الاستعمار البريطاني والصهيونية كعدو موحـد، أو بقراءتها لطبيعة المشروع المضـاد والأعداد الذاتي لمواجهته، ومن ثم لاحقاً انتقلت القيادة بذات البنى إلى يد أكثر ميلاً لمشروع مساومة منه إلى مشروع تحرير.

وفي الحالة العربيـة التـي اهتمـت بكيانـات قطريـة، واعتملت باستقلالات شكلية وجدت قيادات قاصرة عن فهم أخطار المشروع الصهيوني، بل وبعضهـا تواطأ معه في تمكينه من النمو والاستمرار.

وهي بالمحصلة بما فيها الثورة الفلسطينية المعاصرة لم توفر شروط الانتصار على مشروع صهيوني -متوغل في امتلاك القدرة المادية، والعلم والاقتصاد إضافة إلى تكوين حالة بشرية إيديولوجيتها موحدة على ظاهرة عدوان تاريخي، مدعومة من قوى الإمبريالية والاستعمار التي هي بذات الوقت سائدة على المنطقة شعوب وثروات ووجود. ولهذا تدنى مشروعنا التحرري، إلى حيثيات تراجع من الاستراتيجيا إلى التكتيك الضعيف ومن الضعيف إلى المندثر، وما لم تتغير البنى والأفكار والقيادة السائدة من الصعب أن نشهد حالة تحول نوعي في المشروع التحرري.

جواب السؤال الثاني:

للمشروع الصهيوني سياق أيديولوجي في الجوهر لا زال هو منذ نهاية القرن التاسع عشر، أما في الآليات فهناك تجدد دائم فمن بداية الحملة التبشيرية العالمية، إلى الهجرة والاستيطان مساحة واسعة طالت خمسين عاماً، حتى إقامة الكيان، ثم من الكيان الوظيفة- إلى الكيان الدور الإقليمي الشريك للإمبريالية الأميركية بالسعي للسيادة على المنطقة وتقاسم النفوذ والثروات، جرت مياه كثيرة في قنوات الحركة الصهيونية.

وبالتالي التغير الذي حصل، هو بدرجة تتناسب من تنفيذ ذات الفكرة (الأيديولوجيا) والتي لم تختم فصولاً بعد.

والتسويات الراهنة التي أقامتها بعض الأوساط العربية مع المشروع الصهيوني وحركته السياسية وكيانه المادي إقراراً به قد دعمت المشروع بانتصاره الثاني (كما وصفها شمعون بيرز)، لكنها لم تنهيه فصولاً، بل هو مشروع لا زال مفتوحاً كما قلت على مساحة من الانتصار بنفس القدر مفتوحاً على مساحة من الفناء والانتهاء، وذلك ربطاً بحضور أو لا حضور نقيضه التاريخي في الصراع المصيري.

الجواب الثالث:

الاتفاقات التي أبرمت مع العدو الصهيوني وفرت له فرصة جديدة من فرص الانتصار والبقاء، وهي حقنته بالآمال المؤدية إلى تقوية حوافز الاستمرارية، ودحرت إلى حد علامات الأسئلة الكثيرة على صوابية المشروع.

إلاّ أنها لم توفر الأمان النهائي له، حيث الأمة بوعيها السياسي، حتى وإن افتقدت لشروط الانتصار عليه راهناً لا زالت تلفظ هذا المشروع رغم محاولات إدخاله إلى جوفها، ليصبح حالة عضوية.

فالأمة لا زالت ترى في التناقض معه اشتباكاً مفتوحاً على صراع وجود، وليس كما تختزله الاتفاقات إلى "نزاع حدود".

والاتفاقات (رغم بؤسها ودونيتها) لم توفر مساحة قبول للكيان في جسم الأمة، ولا زالت الحالة محاصرة، رغم مظاهر التطبيع المعلنة فالأمة بمجموعها في حالة ممانعة تامة، وترفض نتائج اتفاقات الأنظمة ومصالحها مع حالة صراع مصيرية.

جواب السؤال الرابع:

إذا ما قامت السياسة على مفردة الإلغاء لأحد الوسيلين في الانتماء، فهي ليست سياسة رديئة فحسب، بل هي سياسة نقيضه لتوفير شروط انتصار، فلا النزوع الذي ألغى الوطني في مرحلة ما كان صوابا ولا النزوع الذي استبعد البعد القومي، كان صوابا، وأحد أهم دلالات الصراع أنه لا يمكن لأية قوة كانت أن تحظى بالنصر أو ببعضه بدون الربط الحي والجدلي ما بين الوطني والقومي في مسار الصراع.

فالوطني في الخاص الفلسطيني بالذات يكتسب مشروعيته من كونه أداة تناقض مع المقولة الصهيونية التي تنفي حالة الشعب الفلسطيني، وليس كما ابتدع البعض السيء مقولاته من أنه وظف الوطني في موقع التناقض مع القومي.

كما لا يكتسب الوطني مشروعيته من الإلغاء والعزل، لا يكتسبه القومي ذاته من محددات الشعار، فحسب، بل من المسؤولية الواعية لدور القومي في تعزيز الوطني أولاً ودوره في إدامة الاشتباك، كما يوفر له مبرر تقوية عناصر الذات في أداء الدور المباشر في الصراع وهذا ما تقوم عليه بنانا الفكرية والسياسية، أي دحر كل ما هو سلبي علق بالمسيرة من خلال التجربة سواء ما لهذا النزوع بطغيان الإلغاء للوطني أو لهذا النزوع باستبعاد القومي.

وهنا نقول إن المسألة لها وجهان من ذات الاشتقاق للدروس المستلهمة من جهة التاريخ الحديث.

فالوجه الأول الذي يقوم على تحديد العدو، ومفهوم الصراع، وشروط الانتصار، وتوفير القوى الذاتية، أي الربط ما بين حالة الصراع وأداة الصراع، في بنية متكاملة المعاني والمعايير.

والوجه الثاني هو بامتلاك الأمة لمقومات التحرر الذاتي الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي وامتلاك الثروة والتنمية والإبداع والحياة الديمقراطية الداخلية.

بهذه المقومات تتوفر شروط بناء الجبهة الوطنية الشعبية العربية، أي ما بين النضال القطري والقومي جسر مديد إن لم يكن مفتوحاً على مدخليه سيبقى الحال يراوح ما بين نزعة الإلغاء القوية، ونزعة الربط الضعيفة.

السؤال الخامس:

مثلما توفرت حجارة أسمنتية قوية امتدت عقوداً طويلة بني على حالة مأزق، بل أزمة شاملة لا بد من توفير معاول لهدم هذه الحجارة أولاً، ثم لبناء أعمدة جديدة ينشأ عليها بناء سليم، فما هي هذه المعاول؟

ومم تكون مواد الأعمدة ثانياً؟

فأولاً *لا بد من بناء فكري ذي نسق شامل في السياسة والثقافة وأدوات الصراع، المفتوحة على كل الأشكال، المؤدي إلى ولادة جبهات وطنية على الصعيد الوطني، وجبهة عربية شعبية على الصعيد القومي، يتولد عن حضورهما حالة ضغط متواصل باتجاه الصعود من بنى التبعية والارتهان إلى تحرر ذاتي شامل.*

وثانياً *توليف عناصر اشتباك مفتوح مع العدو الصهيوني بدءاً من امتلاك المفهوم الموحد للعدو وصولاً إلى بناء أدوات صدام معه وعلى كل الجبهات.*

هذا بالمعنى الاستراتيجي، والذي يحتاج إلى تركيم طويل الأمد المهم أن نبدأ من الصحيح على تركيم يدوم ولا ينقطع هنا وهناك.

أما على المدى القريب فليس أمامنا من سبيل للخروج من المأزق إلا بالخروج من سياسة تشتيت القوى، ثم تشتيت التناقض الرئيسي، ثم تشتيت التراكم.

وهذا لا يتم إلا بالخروج من سياسة التسليم بأحقية وجود العدو، بالخروج من المصالحة معه وبالخروج من الارتهان إلى الوسيط النزيه المحايد وبالخروج من أولوية الخصومة العربية العربية إلى أولوية الخصومة مع الكيان الصهيوني الأمر الذي يقتضي أولاً إسقاط كل النتائج والمترتبات عن الاتفاقات المذلة التي عقدت مع العدو الصهيوني لصالح إعادة الاعتبار لمفاهيم الصراع المصيري.

وهناك بالذات وقبل ذلك يصبح تحرير الإنسان العربي من النزعة الذاتية بداية الشوط الجديد.

أبو علي مصطفى

نائب الأمين العام

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

* * *

أجوبــة الرئيس اليمــني (الجنوبي) الأســـبق
علـــي ناصــــر محمـــــد

س١- لماذا هزمنا؟! وأية عوامل ترونها أسباباً في انحسار المشروع الوطني الفلسطيني بدءاً من تحرير كامل فلسطين وصولاً إلى المرحلة الراهنة؟

ج١ - أولاً: من وجهة نظري أن هزيمة العرب الأولى في عام ١٩٤٨م بالرغم من العدالة التاريخية لقضية فلسطين والحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني، ونبل المقاصد وحسن طوية الدول العربية إلا أن العرب لم ينجحوا قط في تكوين استراتيجية عملية لاسترداد فلسطين، بعكس العملية الصهيونية التي كانت تمتلك مشروعاً واستراتيجية واضحتين وطويلتي الأمد دأبت على تنفيذها، وفي تحقيق مستقبل صهيوني على الأرض العربية في فلسطين، وفي فرض الأمر الواقع.

كما أن القوى الاستعمارية التي تحكمت بالعرب، سبب آخر ورئيس للهزيمة، وفي الضعف والتآكل الذي نعاني منه.

وعلى الرغم من أن إسرائيل كيان غريب عن الجسم العربي تراثاً وفكراً وحضارة وديانة وعادات وتقاليد، ويكاد اندماجها أمراً مستحيلاً في المجتمع العربي -الإسلامي، إلا أننا وبكل أسف استسلمنا لمنطق الرفض المطلق هذا، ولم نحاول أن ندرس عدونا من الداخل، وكان ذلك نوعاً من انعدام الرؤية السياسية الذي ساد لفترة طويلة من الزمن وربما لا زال سائداً لدى البعض في أماكن مختلفة.

وعلى سبيل المثال، لم يكن يوجد في الوطن العربي مركز عربي واحد لدراسة إسرائيل، وأول مركز من هذا النوع أمر بإنشائه الزعيم العربي الراحل جمال عبد الناصر عقب هزيمة حزيران ١٩٦٧م.. وهذا معناه أننا كنا نحارب عدواً لا نعرف عنه شيئاً سوى أنه غاصب يحتل أرضنا الحبيبة فلسطين، ويجب أن نخرجه بالقوة، وهذا المنطق هو الذي جرنا إلى الهزيمة تلو الهزيمة.

لكن الشعب العربي الفلسطيني والشعب العربي عموماً، لم يقبل بالهزيمة،

وهذا أمر مهم جداً، فعندما تهزم من الداخل، تكون الهزيمة كاملة، ويعقبه اليأس والاستسلام!، أما أن تخسر معركة أو حرباً نتيجة عدة عوامل تضافرت معاً، فذلك أمر يحدث كثيراً في تاريخ الصراعات البشرية، ولا يعني هذا نهاية الصراع، لأن هذه عملية طويلة، وضارية، ومعقدة، وتأخذ مداها الزمني وبعدها التاريخي، وعندي أن نقطة الذروة في النضال الفلسطيني والعربي في الصراع مع العدو الصهيوني كانت ثورة أطفال الحجارة التي أثارت القلق في إسرائيل، ولم تستطع مؤسسات القمع الإسرائيلية بكل قوتها وعنفها أن تكسر أيدي أطفال الحجارة وشباب الانتفاضة الذين حركوا الاهتمام والرأي العام العالمي على حقيقة ما يجري في الأراضي العربية المحتلة، ومعنى هذا من وجهة نظري، أن هذه الأمة لم تقبل الهزيمة. ولم تستسلم لها على الرغم من مرور خمسين عاماً على نكبة فلسطين.

أما أسباب انحسار المشروع الوطني الفلسطيني، فلذلك أسباب عديدة، أولها أن الانحسار لا يقتصر على المشروع الوطني الفلسطيني بمفرده، بل إن حركة المد القومي العربي، والمشروع النهضوي الحضاري العربي الذين شهدا ذروتهما في الخمسينيات والستينيات من هذا القرن، شهدا هما الآخران انحساراً منذ السبعينيات، وتحديداً بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧م ووفاة الزعيم العربي جمال عبد الناصر في عام ١٩٧٠م.

إذن انحسار المشروع الوطني الفلسطيني هو نتيجة حالة عامة تمر بها الأمة العربية كلها، وليس الفلسطينيون وحدهم، ثم هناك التغيرات الإقليمية والدولية التي طرأت على العالم وألقت بظلها على المنطقة وعلى القضية الفلسطينية على وجه التحديد.

نتائج حربي الخليج الأولى والثانية وانهيار الاتحاد السوفييتي ومنظومة الدول الاشتراكية في أوروبا الشرقية وبروز ما يعرف بالقطب الدولي الواحد الذي يتحكم في السياسة الدولية.

س٢-بعد مائة عام على قيام الصهيونية كحركة سياسية.. هل ترون أن المشروع الصهيوني قد تغير، وما هي أبرز ملامح التغيير فيه إن وجدت؟

ج٢ -لقد مرت مائة عام على مؤتمر بال الصهيوني، وخمسون عاماً على اغتصاب فلسطين وغرس الدولة اليهودية في قلب الوطن العربي، وأعتقد أن الحركة الصهيونية قد عاشت أكثر مما ينبغي أن تعيش، فكل أيديولوجية مهما كانت، عاجلاً أم آجلاً لا بد وأن تتآكل، أو تأكل نفسها، والأيديولوجية الصهيونية

في هذا المجال تخطت كل المقاييس، لأنها عاشت وقتاً أطول حتى من الشيوعية التي لفظت أنفاسها الأخيرة بانهيار الاتحاد السوفييتي.

يقيني أن الأيديولوجية الصهيونية (وإن كانت ستشهد مراحل من التطور) فإنها إلى زوال هي الأخرى خاصة أننا نعيش عصر نهاية الأيديولوجية. فهي تخفي في داخلها مخاطر جدية ليس على محيطها الذي يرفضها ويلفظها فجسب، بل على المجتمع الإسرائيلي نفسه، وأظن أن المشروع الصهيوني إلى اضمحلال، فإسرائيل التي قامت على الاغتصاب، وعلى التوسع بإنشاء إسرائيل الكبرى، تستميت الآن كي تؤخر انسحابها من بضعة كيلو مترات في كل مرة من أراضي الضفة الغربية... وهذا معناه أن الحلم الإسرائيلي الكبير (من النيل إلى الفرات) قد تبدد أو هو يتبدد.

س ٣-ما هو تأثير الاتفاقيات المبرمة بين إسرائيل وعدة أطراف عربية: كامب ديفيد، وادي عربة، واتفاقيات أوسلو على مجرى الصراع العربي الصهيوني؟

ج٣-أعتقد أن أي اتفاقيات، سواءاً تلك التي وقعت، أو التي ستوقع، لا تستند إلى مقتضيات الشرعية الدولية العامة، والقرارات الدولية الخاصة بالصراع العربي الإسرائيلي والقضية الفلسطينية، ولا تضمن بالتالي الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني، وسيكون مآلها الفشل، وستكون آثارها السلبية وخيمة على مجريات الصراع العربي- الصهيوني، وإذن لا بد أن يكون السلام شاملاً وعادلاً، ويؤدي إلى انسحاب إسرائيل من كافة الأراضي العربية المحتلة، من الجولان وجنوب لبنان والأراضي الفلسطينية، وإلى قيام دولة فلسطينية عاصمتها القدس. وهذا يتطلب موقفاً عربياً موحداً في مواجهة المشروع الإسرائيلي.

س ٤-كيف ترون ضرورة الربط بين الخاص الوطني، والعام القومي من أجل بناء الجبهة الوطنية الشعبية العربية العريضة لمقاومة المشروع الصهيوني سياسياً واقتصادياً وثقافياً؟

ج٤-أولاً، أرى ضرورة إبعاد نظرة التناقض بين هذين البعدين، الخاص الوطني، والعام القومي، وهذا يتطلب آلية لحل التناقض، ولن يكون ذلك ممكناً إلا عن طريق التعاون والتكامل العربي. مما يتطلب رسم استراتيجية عربية قادرة على مواجهة تحديات ليس المشروع الصهيوني فحسب، بل وتحديات القرن المقبل، وأعتقد أن مسألة القومي والقطري، أحد أهم القضايا الاستراتيجية

التي تواجه أمتنا العربية اليوم. وقد كرس "المركز العربي للدراسات الاستراتيجية" إحدى ندواته التي عقدت في دمشق تحت عنوان (القومي والقطري في الفكر والممارسة في الوطن العربي) في تشرين الثاني ١٩٩٦م لهذه القضية، وخرجت الندوة باستخلاصات مهمة، وكان من بين ما اقترحته، تكثيف النضال من أجل إيجاد رابطة شعبية عربية موازية لجامعة الدول العربية، وكذلك الدعوة إلى عقد مؤتمر للقوى القومية العربية تبحث في أسباب الاختلاف فيما بينها، وتلمس السبل إلى توحيد جمهورها بوجه التحديات العاتية التي تواجه أمتنا العربية. وأستطيع القول أن الدولة القطرية في ظل توجهات عقلانية وقومية قد استطاعت في مجالات عديدة أن تؤدي وظائف إيجابية في سياق النضال القومي العربي العام.

وتستطيع اليوم أن تقوم بدور أكبر من ذلك إذا ترابطت مع المشروع القومي العربي، إذ أن الدولة القطرية نفسها باتت الآن مهددة بالتجزئة في أكثر من قطر عربي، ولا خلاص لها إلا بالارتباط بالأمة ونضالها العام.

س ٥-في رأيكم، وعلى ضوء المستجدات السياسية الراهنة.. كيف ترون أشكال الخروج من المأزق؟

ج٥ -أعتقد أن التوجه إلى شكل ممكن من الوحدة -أمر لا بد منه للخروج من الأزمة التي يعيشها العرب في أواخر القرن العشرين، ويجب ألا يثنينا فشل التجارب الوحدوية السابقة عن النضال المجدد من أجل تحقيق هذه المهمة التاريخية.

والمأزق الحالي الذي تعيشه الأمة ليس قدراً لا راد له، إنما هو عملية يمكن أن تتغير بتغير الشروط، أما كيفية حدوث ذلك؟ فيتم عبر مشروع سياسي ثقافي نضالي غاية في التعقيد لكنه ليس مستحيل التحقيق، وأعتقد أن الحوار هو المدخل الأساسي لإنجازه، الحوار بين كل القوى والتيارات وأصحاب الفعاليات السياسية الاجتماعية والثقافية في الوطن العربي تمهيداً لصياغة بنود هذا المشروع العربي القومي الحضاري، حوار جدي للوصول إلى خلق شروط مناسبة لقيام نهضة عربية شاملة.

وكخطوة على هذا الطريق فإن مركزنا: "المركز العربي للدراسات الاستراتيجية" سيكرس مؤتمره السنوي الثالث للبحث في هذه القضية المصيرية، وإيجاد مدخل فعلي لتجديد المشروع الحضاري العربي الذي نستطيع بواسطته الدخول إلى القرن الواحد والعشرين ومواجهة تحدياته العظيمة.

***

أجوبـــة الدكـــتور
حـــيدر عـــبد الشـــافي

كبير المفاوضين الفلسطينيين في مباحثات واشنطن
عضو المجلس التشريعي الفلسطيني.

أ-إن أسباب الهزيمة ترجع إلى عوامل ذاتيـة وأخـرى خارجية. فالأسـباب الذاتية هي عدم كفاءة القيادات المتعاقبة وإخفاقها فيما يلي:

١-الارتفاع فوق الطموحات الذاتية وتأكيد كل اعتبارات الوحدة في مواجهـة العدوان الخارجي.

٢-القصور عن متابعة نشاطات العدو والوقوف على استراتيجياته ومشـاريعه في تحقيق هدفه العدواني.

٣-القصـور عـن توجيـه الجمـاهير بأبعـاد الهجمـة العدوانيـة ومـا تبيتـه مـن أخطار.

٤-عدم القدرة على تنظيم الجماهير وتعبئة الطاقات الشعبية بشكل منظم وهادف

٥-تقاعس القيادات اللاحقة عن العمل على الاستفادة من تجارب وأخطـاء القيـادات السـابقة واستخلاص الدروس الهامـة وبالتـالي إفسـاح المجـال لتكرار الأخطاء.

٦-عدم الاهتمام بتـأكيد وتفعيل البعد القومي للعدوان وبذلك إبقاء الأبـواب مفتوحة للطموحات الإقليمية والفردية والتي نعاني منها حتى اليوم.

٧-التقاعس عن بذل الجهد الإعلامي المنظم على أسس حديثة لدحض أكاذيب وتشويهات العدو خصوصاً في مجتمعات أوروبا وأمريكا والتي شكلت أحد أخطر أسلحة الصهيونية.

أما الأسباب الخارجية فهي:

١-كفاءة القيادات الصهيونية وقدرتها على التنظيم والتخطيط والإعداد المسبق لكل الاحتمالات.

٢-الالتزام بحد أدنى من ديمقراطية التنظيم والتقرير.

٣-توافق الهدف الصهيوني مع تطلعات الدول الاستعمارية في المنطقة وما نتج عنه من تبني بريطانيا للمخطط الصهيوني.

٤-تفوق القدرة الاستعمارية الصهيونية المشتركة على الإمكانيات المادية والعسكرية للجانب الفلسطيني.

II لا المس أي تغيير في المشروع الصهيوني. وإذا بدا على السطح أن هناك تغيير فهذا يرجع إلى ما تميزت به الاستراتيجية الصهيونية بالقدرة على الصبر وانتظار الفرص المناسبة. ومن الغباء أن يظن أو يتصور أحد بأن مطامع الصهيونية قد توقفت أو انتهت.

III إن المبادرة السلمية التي انفرد بها السادات قد أثبتت عدم جدواها حيث استغلتها إسرائيل لمزيد من العدوان على الشعب الفلسطيني: الشروع في البرنامج الاستيطاني الطموح في الضفة الغربية. كذلك اتفاق أوسلو الذي زف إلى العالم بأسره على أنه أزال المصاعب وأن السلام المنشود قد أصبح على الأبواب، قد أفضى إلى ثغرة أخرى بإبرام اتفاقية السلام الأردنية الإسرائيلية وكاد أن يفتح الأبواب على مصراعيها لتطبيع واسع بين إسرائيل والعالم العربي لولا أن حدث التدارك لهذا الأمر. من المؤسف أن يستمر قدر من التطبيع مع إسرائيل في ظل الإخفاق السياسي وتمرد إسرائيل على كل المبادئ والاتفاقات.

IV إن ما أقر به وأكده الجميع من أن البعد القومي للعدوان الصهيوني هو أمر لا شك به.

ولهذا لا يمكن التصدي للمأزق الحالي إلا بإعادة وتفعيل البعد القومي، بكل أبعاده السياسية والاقتصادية والثقافية وإذا ألزمتنا إسرائيل بعنادها، فالعسكرية أيضاً.

٧ الخروج من المأزق بحاجة ملحة إلى جهد قومي (فلسطيني عربي) منظم ينزع إلى البعد عن النزعات الإقليمية والذاتية والأخذ بمبدأ المشاورة والديمقراطية والبعد عن الانفعال والارتجال.

غزة في ١٩٩٨/٣/٣

الدكتور حيدر عبد الشافي

* * *

أجوبـــة الأســـتاذ/ نـايـــف حواتـمـــة

الأمين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

جـواب الســؤال الأول:

لا أعتقد أنه من الصحيح بمكان تقديـم السـؤال بصيغـة لمـاذا هزمنـا. فنحـن حركة تحرر وطنية خضنا ونخوض معركة قاسية في ظل ظروف مغايرة وأمـام عدو استيطاني كولونيالي توسعي يشكل ثقلاً كبيراً مدعوماً من قـوى الإمبرياليـة العالميـة، التـي ترى فـي مصالحهـا بالشـرق الأوسـط مسـألة غـير قابلـة حتـى للمساومة.

نحن نقر ونؤكد بأن التداعيات التي وقعت منذ فترة ليست بـالقصيرة فـي الوضع الفلسطيني كانت بالدرجة الأولى انعكاساً للتراكم المتزايد من التداعيـات المتداخلة الفلسطينية -العربية منذ محاصرة ثورة ١٩٣٦ ونكبـة ١٩٤٨ علـى يـد القيادات الإقطاعية السلطوية في الحركة الفلسـطينية والأنظمـة الحاكمـة العربيـة، إلى الغزو الشـامل للبنـان ١٩٨٢، والتداعيـات المتداخلـة العربيـة -العربيـة التـي عصفت بالمنطقة بعد كامب ديفيد وحربـي الخليـج الأولـى والثانيـة. فضـلاً عـن الجانب التحالفي في العلاقات الفلسطينية- العربية والعربية- العربيـة والعلاقـات العربية -الأممية، حيث بدأ يشعر كل العرب أهمية التعددية القطبية فـي السياسـة الدولية ولمس الجميع مدى الخسـارة التـي وقعت بعـد انهيـار الاتحـاد السـوفييتي وسـوء إدارة العلاقـات الفلسـطينية والعربيـة مـع الاتحـاد السـوفييتي قبـل النكبـة الكبرى (١٩٤٨) وبعدهـا، بـل التواطـؤ الواسـع مـع المعسـكر الاسـتعماري ضـد السوفييت (الاقتصادي والمالي والسياسي وفي أفغانستان وغيرها) رغـم المسـاندة السوفيتية لقوى التحرر الفلسطينية والعربيـة، وعـدم توظيـف دور السـوفييت فـي العمـل لخدمـة القضايـا الوطنيـة والقوميـة لشـعوبنا العربيـة، فالمشـروع الوطنـي التحرري للشعب الفلسطيني، وقع ضحية السياسات الحمقـاء العربيـة -والسياسـة الفئوية الضيقة قصيرة النظر لفريق اليمين الفلسطيني حتى نكبـة الـ ٤٨، ويميـن

الوسط في قيادة م.ت.ف. ومع ذلك يجب أن نعترف بأن المشروع الوطني التحرري للشعب الفلسطيني بقدر ما هو مشروع عظيم وكبير وإنساني، قد قطع أشواطاً طويلة في العملية الصراعية المعقدة ضد الغزو الاستيطاني الصهيوني الذي يحمل مقومات التركيب الأوروبي الحديث والمعاصر ببرمجة خططه وتوحيد قوى التجمعات اليهودية لأكثر من مائة قومية في أصولها الأوروبية، الأميركية، السلافية، الشرقية. وصياغة تحالفات إقليمية ودولية نوعية ومتراكمة مع أوروبا وأمريكا حيث المصالح المشتركة بالهيمنة والتكنولوجيا والعلم المتطور، بينما بلدنا فلسطين وبلدان المشرق العربي عاشت ألف عام من التدهور والانحطاط تحت ضغط الإمبراطوريات الإقطاعية المتخلفة وبعدها الاستعماري البريطاني والفرنسي، ورغم ذلك استطاعت الحركة الوطنية الفلسطينية بعد نكبة ٤٨ وم.ت.ف وخاصة بعد هزيمة ٦٧ من إعادة بناء الشخصية الكيانية التمثيلية للشعب الفلسطيني.

وفي الإشارة إلى موضوع التحرير الكامل لفلسطين والمآل الراهن، فإن شيئاً من الاختلاط قد وقع بسياق السؤال المطروح، لأن الفكر السياسي الفلسطيني، قد تطور بالضرورة في خضم المشروع الوطني الفلسطيني، بحيث أخذ هذا الفكر يلامس الواقع الملموس بالتحليل الصائب والعقلاني الوطني الذي يستوعب حركة تطور ميزان القوى الفلسطيني- الإسرائيلي الصهيوني والإقليمي والعالمي والفعل الوطني المباشر وصولاً إلى صياغة البرنامج الائتلافي المشترك للشعب والثورة وم.ت.ف.

من هنا كان الانتقال الطبيعي من مشروع بلا ملامح برنامجية، وبنقاط عامة لا تستطيع أن تؤثر في الخريطة السياسية العربية والدولية، إلى برنامج وطني ملموس أخذ يفعل فعله في الأوساط العربية والأممية وداخل المجتمع الإسرائيلي.

مع ذلك فالانتكاس والتراجع الراهن في المشروع الوطني الفلسطيني، لا رابط له مع الانتقال من مشروع التحرير الكامل إلى البرنامج الائتلافي للمنظمة، لأن المآل الحالي تحصيل حاصل للسياسات والتداعيات التي عصفت بالمنطقة وانعكاساتها الفلسطينية وتمزيق برنامج الائتلاف الوطني على يد يمين ويمين الوسط في م.ت.ف.

كان يمكن أن تكون الأوضاع الفلسطينية أفضل مما هي عليه الآن، فيما لو التزم الجميع بالقاسم المشترك الائتلافي الوطني، وتم احترام المساحة الجامعة

لأطياف وقوى الثورة وم.ت.ف وصيانة التحالفات الفلسطينية العربية على قاعدة القواسم المشتركة، والدولية على قاعدة قرارات الشرعية الدولية، لكن اليمين ويمين الوسط في م.ت.ف ومجموعة الحركة الوطنية الفلسطينية أخذ ينفلت من المشترك إلى المصلحي الفئوي الضيق والأناني منذ عام ٦٧ وخاصة ٧٧ (زيارة السادات للقدس المحتلة) ولم يتمكن من ذلك إلا عام ٩١ بعد حرب الخليج الثانية وسلسلة الانقلابات السياسية على يده في م.ت.ف وأشير هنا إلى ضرورة مراجعة كتاب "نايف حواتمة يتحدث" الذي يكشف هذه المرحلة حتى أوسلو ويومنا.

إننا قطعنا الأيام الصعبة من السنوات السبع الأخيرة العجاف، والآن ندخل مرحلة جديدة، يمكن لها لو توفرت وتحققت وحدة الساحة الفلسطينية في إطار م.ت.ف المعافاة، أن تخدم من جديد مرحلة نهوض وطني فلسطيني يتم فيها تجديد حيوية وانطلاقة المشروع الوطني التحرري للشعب الفلسطيني.

إننا موجودون على أرض الصراع، والشعب الفلسطيني ما زال بملايينه (٣,٨) على أرض الضفة والقطاع ومناطق ١٩٤٨، ونصفه الآخر في الشتات، وهذا الشعب المتجدد في حيويته وعطاءه العظيم، ما زال يشكل المفتاح لأي تسوية أو سلام، فلا سلام إلا به وله ولن ينعم الشرق الأوسط بأي هدوء أو رتابة ما دامت القضية الفلسطينية بعناصرها الأساسية معلقة بالهواء.

نحن لم نهزم، خسائرنا الاستراتيجية كبرى ومريعة ومرعبة، ورثناها عن قيادة إقطاعية أوتوقراطية لم تحسن أبداً توحيد الشعب بطبقاته وتياراته على الجامع الوطني المشترك حتى عام ٤٨ وانطوت على نفسها بين ٤٨-١٩٦٧، إلى أن أخذ نهوض المقاومة العاصف مجراه رداً على هزيمة حزيران/ يونيو ١٩٦٧. بعدها نحن وقعنا في استعماءات وانعطافات التداعيات الناتجة عن السياسات الحاكمة الحمقاء العربية والفلسطينية، والآن من جديد يمكن أن ينهض المشروع الفلسطيني فالشعب الفلسطيني ما زال حياً وقائماً وما زالت القضية هي القضية بثخانة جراحها وآلامها.

إن مشهد حركة الصراع مفتوح، لم يغلق بعد على خاتمة ما، والدلائل صارخة رغم مظالم أوسلو/ وبروتوكول الخليل، لنرصد معاً سياق الصراع ضد تطبيقات أوسلو الظالمة من نهب ومصادرة الأرض والاستيطان إلى الحصار والخنق الاقتصادي إلى تهويد القدس الكبرى وشطر مدينة خليل الرحمن وفتح قلبها لتنامى بؤر الاستيطان، لنرصد معاً انتفاضة عمال قطاع غزة عند حاجز

بيت حانون (ايرتز) ١٩٩٤، انتفاضة الأقصى ٩٦، انتفاضة الخليل -بيت لحم- شرق نابلس- المواصي من خان يونس حتى رفح ٩٧-١٩٩٨. وصراع الشعب وقواه الحية المنظمة ضد القمع المزدوج (الاحتلال وسلطة الحكم الذاتي) والإصرار على إعادة بناء الوحدة الوطنية للشعب والبرنامج المشترك ومؤسسات الائتلاف الوطني م.ت.ف.. إن كل هذا يؤشر إلى مرحلة من النهوض الوطني تعتمل الآن، ويؤشر إن الصراع مفتوح فالهزيمة تعني بصراحة "أرمنة وأسرلة الشعب" و"صوملة" مناطق الحكم الذاتي ليكون فصل الختام بدلاً عن تطبيق قرارات الشرعية الدولية بحق تقرير المصير والدولة والعودة عملاً بـ ٣٤٢-٣٣٨-١٩٤-٢٢٧.

جواب السؤال الثاني:

علينا أن نقر ونعترف بأن المشروع الصهيوني قد نجح في تحقيق خطوات استراتيجية ملموسة كبيرة جداً نتيجة ظروف محلية وإقليمية عربية ودولية، أشرنا لها هنا، أسهمت في خدمة تقديم وإسناد وتكريس لبنات المشروع الصهيوني فوق الأرض الفلسطينية وعلى حساب الشعب الفلسطيني وشعوب أمتنا العربية، فضلاً عن التردي وسوء إدارة الصراع في مواجهة عملية الغزو والاستيطان الصهيوني الكولونيالي لبلدنا وأقطار المشرق العربي من قبل أبناء المنطقة وخاصة الأجنحة السلطوية الإقطاعية والرأسمالية المتخلفة، والجناح البرجوازي الوطني في حركة التحرر الفلسطينية والعربية الذي وصل إلى مواقع الحكم في عواصم المشرق العربي وفي م.ت.ف.

فالمشروع الصهيوني ما كان له أن يحقق الخطوات الملموسة وإقامة الدولة اليهودية الصهيونية فوق أرض فلسطين، إلا بعد أن توفرت الظروف الموضوعية المحيطة بفلسطين والعالم العربي آنذاك، وفقدان الشعب الفلسطيني لحركته الوطنية الموحدة والقادرة على توجيه وقيادة عملية الصراع.

ومع التطور الذي حصل منذ نكبة ١٩٤٨ التي نعيش ذكراها الخمسين، فإن المشروع الصهيوني تعرض بالضرورة لعدد من العوامل والمتغيرات دفعت بأطراف في الحركة الصهيونية من قوى وأحزاب للحديث عن حلول سلمية للصراع في الشرق الأوسط من وجهة تعتبر متقدمة قياساً لما كان يطرح وما زال على يد قوى اليمين التوراتي الصهيوني. فحزب العمل أصبح الآن يعترف ويقر بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني (كشعب) منذ العام ١٩٨٨ بعد أن كانت

قياداته تكرر "فلسطين كانت في الماضي أما الآن فهي إسرائيل والأردن وعلى اللاجئين الاندماج في البلدان التي يعيشون فيها"، أي "الأرمنة والاسرلة". كما برزت بعض الأطراف (راتس، شينوي، بام) لذلك يمكن الحديث عن تطور مفروض على أطياف وكتل حزبية وقوى سياسية صهيونية، كانت في السابق لا تقبل بمبدأ الصوت الآخر للشعب الآخر فوق أرضه (أي الشعب الفلسطيني)، ونعتقد بأن هذا التطور وبحدوده النسبية في انحسار المشروع الصهيوني إلى حدود معينة، ما كان ليقع لولا المسيرة الطويلة من الكفاح الوطني الفلسطيني المعبد بالتضحيات الجسام ولولا تمسك أكثر من (٢,٥) مليون فلسطيني بالبقاء فوق أرضهم الوطنية في الضفة والقدس وغزة ومناطق ١٩٤٨- ولولا نضال الشعوب والجيوش العربية وعشرات آلاف الشهداء، ولولا التضامن الأممي الواسع وخاصة السوفيتي الذي انتقل بقضيتنا وحقوقنا الوطنية من قضية محلية وإقليمية إلى قضية دولية وعلى نطاق كل العالم والحركة الثورية العالمية.

إن ملامح التغير المفروض في الموقف الصهيوني لعديد القوى الإسرائيلية، بدأ بالتعبير عن نفسه بانحسار المشروع الصهيوني إلى حدود معينة كما أسلفت وفي الإقرار بوجود الشعب الفلسطيني بعد أن كان نسياً منسياً في قاموس كل أحزاب وقوى وكتل الدولة الصهيونية بعد كارثة ١٩٤٨.

في الجانب الآخر فإن رؤية بعض القوى والأحزاب الصهيونية بدأت تتجه لإقامة ومد العضلات الإسرائيلية التكنولوجية إلى عموم المنطقة بدلاً من التوسع في الأرض المحيطة بفلسطين. وهذا ما ينضح به مشروع شمعون بيرس المعروف تحت عنوان "الشرق الأوسط الجديد" ومشروع عديد الأوساط الصهيونية الأقل يمينية نحو "نظام إقليمي جديد" بين دول الشرق الأوسط بدلاً عن أصولية المشروع الصهيوني التوسعي على ضفتي نهر الأردن وأجزاء من الجولان إضافة إلى خطة ضم أجزاء من سيناء (مدينة يميت ومستوطنات سيناء) قبل الحل الثنائي الإسرائيلي/ المصري (كامب ديفيد).

المشهد الإسرائيلي الصهيوني يشير إلى أن الصراع داخل المشروع الصهيوني لا زال مفتوحاً، بين وقت التوسع أو مواصلته، بين اقتسام الضفة والقطاع أم كل الضفة وأجزاء من القطاع، بين مواصلة أوروبية المشروع وأمركته أي التوسع أكثر فأكثر في الأرض المحتلة وبين التحول إلى دولة شرق أوسطية تستعيض عن التوسع المتزايد في الأرض بالتوسع التكنولوجي والاقتصادي.

جواب السؤال الثالث:

الاتفاقيات الجزئية والمنفردة التي تم توقيعها في أوسلو ووادي عربة وقبل ذلك في كامب ديفيد. جاءت في سياق تفكك مسارات التفاوض العربية مع العدو الإسرائيلي، ونجاح الدولة الصهيونية في استفراد الطرف تلو الآخر من الأطراف العربية.

الاتفاقيات الجزئية، كانت بمثابة ثمار سامة تحاول الآن دولة الاحتلال تعميمها في المفاوضات مع سوريا من خلال اعتبار الجولان أرضاً متنازعاً عليها، كما تم في اتفاق أوسلو الذي حول الأرض الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ من أرض محتلة وفق قرارات الشرعية الدولية بما فيها القرار ٢٤٢ و ٣٣٨، إلى أراضي متنازع عليها، وفق اتفاق أوسلو الظالم، كما أن حكومات رابين – بيرس ثم نتنياهو تعمل على تعميم نموذج وادي عربة (ضم وبيع أراضي أو تأجير أو..) مع التفاوض حول خطة تقسيم سايكس بيكو بين سورية وفلسطين الانتدابية بدلاً من العودة إلى خط ٤حزيران ١٩٦٧ وهذا ما يؤدي على الفور إلى خسارة أكثر من ٣٥٪ من هضبة الجولان وضمها للدولة الصهيونية، وهذه المساحة من الهضبة تمثل المناطق المائية والزراعية من أرض الجولان.

إن الاتفاقيات الجزئية والمنفردة فتحت الأبواب مشرعة أمام إسرائيل لإقامة العلاقات والتواصل مع دول العالم وبعض الدول العربية، بحجة أن السلام قد حل ووقع، وهنا فإن أكثر من (٥٠) دولة في العالم اعترفت أو أعادت علاقاتها التي كانت قد قطعتها مع الدولة الإسرائيلية (تضامنا مع كفاح الشعب الفلسطيني)، بعد توقيع اتفاقيات "أوسلو، وادي عربة" وفي المقدمة دول مثل الصين، والهند، فيتنام، كازخستان، أوزبكستان، اذربيجان.. الخ كانت تربط الاعتراف والعلاقة مع الدولة العبرية باستجابتها لحق شعبنا بتقرير المصير والدولة المستقلة بعاصمتها القدس وعودة اللاجئين. وفتحت هذه الاتفاقيات بالتنازلات الكبرى التي تم تقديمها شهية التوسع ونمو اتجاهات التطرف في إسرائيل التي أرادت كسب المزيد من التنازلات. وأقول لكم بأنه منذ توقيع اتفاق أوسلو الأول في ١٩٩٣/٩/١٣ وحتى نهاية العام ١٩٩٧ فإن أكثر من (٤٥٠) ألف دونم تم مصادرتها لأغراض التهويد والاستيطان، حيث لم يشفع للأرض الفلسطينية الاتفاقيات الموقعة. كما لم تحصل شعوب بلادنا على "السمن والعسل" الناجم عن اتفاقيات السلام الهش التي تم توقيعها، فالأوضاع الحياتية والاقتصادية لشعوبنا تردت أكثر فأكثر بالرغم من الكلام الممجوج عن زمن السلام والبحبوحة والرفاه.

على يقين كامل نحـن مقدمـون علـى انفجـارات لها بدايـة وليـس لهـا نهايـة محددة. فضغط الاحتلال واملاءاته وزحـف عمليـات التهويـد والاسـتيطان بمثابـة صـواعق كبيرة يتم وضعها فوق برميل البارود التي ينمو ويتسـع كـل يـوم علـى امتداد منطقة الشرق الأوسط من فلسطين وصـولا إلـى الخليـج حيث الأسـاطيل وبوارج العربدة الأمريكية والبريطانية.

إن مستقبل الصـراع العربـي –الإسـرائيلي لـن تكـون خاتمـة اتفاقيـات الـذل والإذعان والتفرد، فالشعب يكبو ويتهيأ وينطلق للدفاع عن مصالحه وحقوقـه فـي نهاية المطاف.. وعلى الذيـن وقعـوا الاتفاقيـات الجزئيـة والمنفـردة دون إرادة أو استفتاء شعوبهم حول القضايا المصيرية، عليهم أن يراجعوا أنفسهم، ويقفوا أمـام شعوبهم وقفة نقدية ويعتذروا من شـعوبهم والعـرب والعـالم علـى كسـر قـرارات الشرعية الدولية والتراجع عنها بحثاً عـن حلـول جزئيـة منفـردة بعيـدة جـداً عـن السلام الشامل المتوازن في هذه المرحلة والقائم على انسـحاب العـدو مـن جميـع الأراضي المحتلة بعدوان ١٩٦٧ إلى ما وراء خطوط ٤حزيـران /يونيـو ١٩٦٧ وضمان حق شعبنا بتقرير المصير والاسـتقلال وعـودة اللاجئيـن وفـق القراريـن الأمميين ٢٤٢و٢٣٧، لأن ما بشروا به من سلام الرخاء لـم يـأت سـوى بـالمزيد من نهب وتهويد الأرض وتعدد اخطبوط الاستيطان وفتح شهية اليمين الصـهيوني التوسعية في الضفة والقطاع والجولان... الخ والمعاناة والجمود الاقتصـادي فـي الأردن وسـورية ولبنـان، والجـوع والبطالـة والحصـار لاقتصـــادي فـــي الضفـة والقطـاع فضـلاً عـن القمـع المـزدوج لحركـة شـعبنا الوطنيـة علـى يـد الاحتـلال وسلطة الحكم الذاتي.

جـواب السـؤال الرابـع:

منذ أوائل السبعينات، قدمنا اجتهادنا حول هذه المعضلة التي واجهت حركـة المقاومة الفلسطينية وم.ت.ف وأكدنا أكثر من مرة بأن الربط بين الخاص والعام، بين الوطني القطري– والقومي ضرورة لا غنى عنها ولا بد منها، حيث تتداخـل وتتشابك عوامل الصراع في المنطقة بين شعوبنا والغزو الاستيطاني الصـهيونـي فضلاً عن الغزو الإمبريالي الأمريكي متعدد الأشكال والأنماط.

فمقاومة المشروع الصـهيوني ووقـف زحفـه وتمـدده، والنهـوض بالأوضـاع الفلسطينية والعربية، يتطلب فعلياً الربط الديالكتيكي المحكم بين طرفـي المعادلـة، الوطني القطري والعام القومي، والاتفاقيات الثنائية والجزئية من كامب ديفيد إلـى

أوسلو ووادي عربة أسهمت بإحداث الاختلال في المعادلة العربية -العربية، معادلة الترابط بين القومي- والوطني القطري (العام- والخاص) لذا شاهدنا مسلسل التراجعات والانتكاسات المتتالية التي أصابت الجسد العربي ومنطقة الشرق الأوسط، فالاتفاقيات تم توقيعها، "ولكن لا سلام الشرعية الدولية أخذ مكانه ولا حل السلام بإنجازاته"، بل على العكس كما أسلفنا سابقاً فإن شهية التوسع والعدوان وتحقيق المكاسب الجديدة فتحت في الدولة الصهيونية.

إننا دعونا وما زلنا ندعو ونعمل لمؤتمر عام على مستوى الوطن العربي وبخاصة الدول المشرقية تتمثل في كل القوى والأحزاب والفعاليات والشخصيات الروحية الإسلامية والمسيحية ورجال الفكر والبرلمانات، لتأسيس حالة على امتداد المنطقة لمقاومة وفضح وتعرية للمشروع الصهيوني والوقوف في وجه سلام القوة والغطرسة الإسرائيلي.

هذه التحركات الشعبية يمكن لها أن تعطي نتائج إيجابية، فالأنظمة ترتعد دوماً عندما ترى زحف الشعوب وإصرارها بالدفاع عن مصالحها وحقوقها، هذا ما لمسناه واضحاً أثناء أزمة المفتشين الدوليين في العراق وأزمة العراق الأخيرة مع الأمم المتحدة، حين فرض نهوض الشارع الوطني في مصر والأرض الفلسطينية المحتلة ولبنان وعدد من بلدان الخليج وغيرها مواقف تتسم بالإيجابية في مواجهة التحضيرات الأمريكية والبريطانية للعدوان الشامل على العراق.

إن خطوة بناء المؤتمر العام والمؤتمرات الشعبية الفرعية في كل بلدان العالم العربي وبالعمل ينبثق عنها برنامج قاسم مشترك قومي وقطري وأمانات مركزية وقطرية، لا يمكن أن تتم بين لحظة وأخرى، بل تتطلب العمل الجاد والمثابر من قبل الأحزاب والقوى لتثير حركة الشعب والشارع في العملية الوطنية الديمقراطية.

والوجه الآخر لهذه العملية عقد قمة مصالحة عربية -عربية تشتق "مشترك المصالح العليا" بين الأقطار العربية وفي المقدمة محاصرة المشروع التوسعي الصهيوني وغلق نوافذ التطبيع معه حتى يرتدع ويرحل عن الأرض المحتلة عام ١٩٦٧ وينزل عند الشرعية الدولية، بحق شعبنا الفلسطيني بتقرير المصير والدولة وعاصمتها القدس العربية وعودة اللاجئين والنازحين بموجب القرارين الأمميين ١٩٤-٢٣٧.

إن جسر القمة الشاملة العربية هو المراجعة النقدية الشجاعة لكل طرف بما فيه نحن الفلسطينيين مع خطايا وأخطاء قبل مدريد وبعدها، قبل أوسلو وبعدها

لنعيد بناء العلاقة الحية بين الوطني والعربي القومي، بين الخاص والعام على قاعدة المصالح المشتركة.

جواب السؤال الخامس:

تسأل عن الخروج من المأزق الراهن، ونحن نجيب بالتالي:

المواجهة لم تتوقف أبداً بين قوى الصمود والقوى الوطنية العربية على امتداد المنطقة بكل تلاوينها السياسية والطبقية والأيديولوجية مع دولة الاحتلال والسياسة الأمريكية. فنحن المتضررين ويومياً ندفع الثمن الباهظ. لذلك فإن أشكال المجابهة موجودة وستستمر بأنماط مختلفة تبعاً للظروف والمعطيات، من جانب آخر أقرب لكم بأن الحال العربي الراهن "لا يسعد خاطراً ولا يسر صديقاً" فهو حال مفكك رغم المناخات الإيجابية التي بدأت تشق طريقها منذ فترة ليست بالقصيرة، والهجمة الانكلوامريكية في الخليج ولكنها بمكيالين، للعرب مكيال ولإسرائيل آخر، وإصرار الدولة العبرية على التمسك بموقفها وخطابها السياسي المعادي فعلياً للسلام الشامل والمتوازن "سلام الشرعية الدولية" إن كل ذلك يتطلب إعادة الحياة إلى الروح العربية المشتركة وإلى التضامن العربي -العربي والسير بخطوات فعلية ملموسة نحو المصالح العربية -العربية الشاملة فقد طال الحداد ووجب على الجميع إسدال الستار على الماضي الأليم والنظر بعين متفائلة إلى المستقبل وإلى المصالح القومية العليا بروح النقد الشجاع، وفي المقدمة نقد الذات الفلسطينية واعتذار فريق أوسلو الفلسطيني من شعبنا والأمة العربية على التفرد والانفراد وإغراق قضيتنا والعرب في متاهات الصفقات الجزئية والمنفردة وفك العلاقة بين القضية الفلسطينية وقضايا الصراع العربي -الإسرائيلي الصهيوني.

نعتقد أن هناك ضرورة وطنية وقومية وأخلاقية، مصلحية، لعقد قمة عربية -عربية شاملة وبحضور الجميع لإرساء المناخ الإيجابي في العلاقات العربية - العربية، وعلى طريق نظام أمن يحفظ ويصون العلاقات العربية ويؤسس للحدود الدنيا من التفاوض المشترك. هذا الأمر يحتاج إلى جهود مخلصة وإلى دور القوى العربية المؤثرة صاحبة الوجهة والدور الإقليمي والمتضررة من كل الكوارث التي وقعت..

* * *

أجوبة الأستاذ: خالـــد مشـــعل

رئيس المكتب السياسي لحركة حماس

بسم الله الرحمن الرحيم

١-لم تكن هزيمـة الأمـة أمام المشروع الصهيوني في عام ١٩٤٨ (عام النكبة) هزيمة عابرة خارج السياق العام، وإنما جاءت في ظل ظـروف وعوامل ذاتية وموضوعية لم تكن لتقود إلى غير تلك النتيجة، هذا على الرغم من حجم البطـولات والتضحيات التي قدمها شعبنا الفلسطيني عبر ثوراته ومعاركه المتواصلة مع الاحتلال البريطاني والغزاة الصهاينة.وعلى الرغم كذلك من إسهامات المجاهدين العرب والمسلمين الذين تدافعوا للدفاع عن فلسطين والذود عن عروبتها وإسلاميتها.

كانت الأمة -رغم بواكير النهوض والثورة على الاستعمار- لا تزال تعاني حالة الانحطاط والتراجع التاريخي في مسيرتها، فضلاً عن حالة التمزق والتجزئة التي أوجدها الاستعمار في بلادنا، كما أن إرادة القتال الحقيقية كانت غائبة في الصف العربي، ولم تكن الدول العربية آنذاك بمستوى المعركة ولا بحجمها، بينما كان الطرف الصهيوني متحفزاً مستجمعاً لكل طاقته، حاشداً خلفه تأييداً ظالماً من الدول الاستعمارية الكبرى آنذاك..

ونشأت في تلك الفترة مقاومة إسلامية وطنية فلسطينية وعربية، لكن المعارك كانت أكبر منها وكانت الظروف الموضوعية أقوى من إمكاناتها الذاتية.

ثم تبلورت في ظلها وعلى امتداداتها وإلى جانبها المشروع الوطني الفلسطيني الذي قاد العمل الوطني ضد الاحتلال الصهيوني قرابة ثلاثة عقود، حمل خلالها وخاصة في سنوات الأوج آمال شعبنا الفلسطيني وأمتنا العربية في التحرير والعودة وطرد الصهاينة المحتلين، ونال هذا المشروع -بسبب ذلك-

قدراً كبيراً من التأييد والتفاعل الجماهيري وصور المشاركة والعطاء الواسعة، فضلاً عن جملة الظروف العامة التي خدمته إثر هزيمة ١٩٦٧ وساعدت في تكريس شرعيته الرسمية فضلاً عن الشعبية، لكن هذا المشروع ما لبث أن انحسر انحساراً كبيراً، وتراجع بصورة واضحة بل صارخة، من رافعة لشعبنا وأمتنا إلى عبء حقيقي عليها، ومن حمل الآمال والأهداف الكبرى في تحرير كامل فلسطين وعودة شعبها إليها وامتلاك الحرية والسيادة والاستقلال الحقيقي إلى حالة التقزم والاختزال والتراجع والتفريط الراهنة بحيث لم يعد من أهداف ذلك المشروع إلا الأطلال والفتات مع النحت والاختزال الدائمين فيهما بحيث لم يعد ثمة نهاية للقاع السحيق!

أما أسباب ذلك الانحسار، فلا شك أن الظروف الموضوعية التي تلاحقت على مسيرة القضية عبر مراحلها المتأخرة كانت قاسية وقاسية جداً، وتعرض المشروع الوطني الفلسطيني خلالها إلى ضغوط ومؤامرات عديدة، ونشأ عن ذلك حجم كبير من الخسارة والنزيف والتضحيات والضحايا.

ولكن العوامل الذاتية، من داخل المشروع نفسه، كان لها التأثير الأكبر فيما آلت إليه هذه النهايات المؤلمة ولعل أهم هذه العوامل هي:

١- تراجع المؤسسية القيادية والديمقراطية الحقيقية ومن ثم غيابها شبه الكامل رغم بقاء الشكل والصورة، وحصل هذا التراجع لصالح الدكتاتورية وقيادة الفرد وتمركز أعلى الصلاحيات وأدناها في يده، وفي ظل ذلك تاهت البوصلة وضلت المسيرة وغابت المعايير الوطنية ومحددات المصلحة العامة عن رسم الأهداف والمواقف والممارسات، لتتحكم فيها عناصر الهوى والمزاج والمصالح الشخصية بل إلى درجة أسوأ حين أصبحت مصالح عدونا ومتطلباته الأمنية وأولويات أجندته هي التي لها موضع الاعتبار والاحترام والمؤثر الأكبر في رسم مسارات قضيتنا وصياغة السياسات والمواقف!

٢- استشراء الفساد المالي والتنظيمي والأخلاقي، وتكون طبقات نفعية كثرت الأحاديث حول ثرائها الفاحش وسلوكياتها المدمرة، كل ذلك شكّل داخلياً في المشروع الوطني وأفقده مصداقيته أمام كوادره العاملة فضلاً عن شعبه وأمته.

٣- التيه الفكري الذي انعكس سلباً على هوية المعركة وجوهرها الحقيقي، فخسر المشروع الوطني جزءاً كبيراً ومهماً من المحرض الحقيقي

لجماهير الشعب وما يثير نبضها ووجدانها، كما خسر عمقه الإسلامي الشعبي الأوسع.

٤- الدخول في معارك جانبية عديدة خارج سياق القضية ومتطلباتها، مما فرض على المشروع الوطني نزيفاً متواصلاً وخسارة كبيرة في غير مكانها. صحيح أن بعض هذه المعارك فرضت على المشروع الوطني الفلسطيني من الآخرين في سياق مواجهته واستدراجه وضربه، ولكن الممارسات الخاطئة لبعض أطراف هذا المشروع والاستجابة للشراك الخادعة ولمحاولات الاستدراج دفعها إلى معارك كانت في غنى عنها.

٥- تقزيم القضية وسلخها من إطارها الإسلامي ثم العربي، واتباع سياسات الانسلاخ والتفرد عن سياق الأمة، لتجد القيادة المتنفذة للمشروع الوطني الفلسطيني نفسها في النهاية محصورة في التعامل مع العدو الصهيوني نفسه ورهينة ضعيفة بين يديه.

ولعل هذه الإشارات السريعة تكفي، إذ أن تحليل عوامل الانحسار مهمة أوسع وأكبر من ذكرها عبر صفحات الصحف.

٢-في اعتقادي ورؤيتي أن أولويات المشروع الصهيوني وأهدافه الأساسية لم تتغير، فالسيطرة الكاملة على الأرض، وتهجير الشعب الفلسطيني ونفيه، وبناء الدولة الصهيونية، وتحقيق الهيمنة السياسية والاقتصادية على المنطقة ونهب ثرواتها وتمزيق كياناتها وإثارة النعرات والتجزئات فيها، كل ذلك لم يتغير.. حتى حلم الصهاينة في التوسع لإقامة إسرائيل الكبرى على مساحة واسعة في المنطقة ليس هناك ما يؤكد أنه تغير، ومجرد إقامة اتفاقيات سلام والحديث عن التطبيع والتعايش لا يعني تراجعاً عن ذلك الحلم، خاصة في ضوء النتائج العملية المريرة لتلك الاتفاقيات ومشاريع التعايش.

الذي تغير في تقديري، أو بالأصح تطور وأخذ أشكالاً جديدة هو الأساليب والتكتيكات والمناورات والتي وصلت إلى حد توقف الحديث عند الصهاينة عن التوسع العسكري لصالح الحديث عن التطبيع والتعايش والسلام.. ولكن ذلك مرتبط بالوسائل والتكتيك وليس بالأهداف والاستراتيجية. ولعل مرد ذلك أن المشروع الصهيوني وجد نفسه أمام مفاجأتين أو حقيقتين شكلتا عقبتين كبيرتين أمام تقدمه.. أولاهما هو صمود الشعب الفلسطيني وإصراره على التمسك بهويته وحقوقه والدفاع عنها، وقدرته على مواصلة المقاومة عقوداً طويلة واجتراح أشكال عديدة من النضال. وثاني تلك الحقائق والمفاجآت هي حالة النهوض

الإسلامي الواسعة في الأمة وحضورها الجهادي الفاعل في مقاومة المشروع الصهيوني. وقد وجدت القيادة الصهيونية خاصة (حزب العمل) أن استمرارها في التعبير الصارخ عن مطامعها وأهدافها الحقيقية يزيد من استفزاز الشعب والأمة واستخراج مكنونات التحدي والمقاومة فيهما، ولذلك لجأت تلك القيادة الصهيونية إلى أساليب التوائية مخادعة تتذرع بالمهادنة الشكلية والتعايش والسلام الكاذب مخفية خلف ذلك الأهداف الحقيقية المعروفة للمشروع الصهيوني.

٣-لا شك أن الاتفاقيات التي تم توقيعها بين عدة أطراف فلسطينية وعربية مع الكيان الصهيوني أضعفت من الموقف الفلسطيني والعربي عموماً في مواجهة المشروع الصهيوني، وشكلت ثغرات في جدار المواجهة، وعملت على كسر الحاجز النفسي بين الأمة والكيان الصهيوني كما أسهمت في تفتيت موقف الأمة وتجزئته أمام العدو المشترك، ومن ثم سمحت للعدو بالدخول عبر تلك الثغرات إلى عمقنا وممارسة كل أشكال الإفساد والتدمير وإشاعة الفرقة والخلافات وتفتيت الموقف الفلسطيني والعربي، وشكلت له جسراً لفرض استراتيجية في الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية على المنطقة كبديل مرحلي عن استراتيجية التوسع والاحتلال العسكري المباشر.

بل إن تلك الاتفاقيات وفي سياق منطوقها وفلسفتها وضع الصراع بين الأمة والمشروع الصهيوني خارج سياقه الطبيعي وبعيداً عن إطاره الحقيقي، وعملت على إعادة ترتيب مفردات الصراع لتشكل بها صورة أخرى مغايرة تماماً لطبيعة المعركة.. واستعاضت عن معايير ومنطلقات الجغرافيا والتاريخ والدين والعروبة ووحدة المشاعر والأهداف في إطار الأمة العربية والإسلامية، بمعايير جديدة مفرداتها الدولار والمشاريع الاقتصادية المشتركة والسوق الشرق أوسطية والتعاون الإقليمي، وكأن الصهيوني ليس إلا جزءاً طبيعياً من كيان الأمة والمنطقة.

لكن رغم ذلك فإن مثل تلك الاتفاقيات هي أضعف من أن تشطب حقائق الصراع الراسخة، وأعجز من أن تقضي على ذاكرة شعبنا وأمتنا وقيمها ووجدانها وعلى تاريخها ورصيد تجاربها الطويلة.

٤-باختصار شديد فإن الخاص الوطني والعام القومي والإسلامي كذلك لا يمكن إلا أن يمتزجا ويتعاضدا ويتكاملا في مواجهة المشروع الصهيوني، ولا مجال أبداً للتناقض أو التفاضل أو الانفراد، ولعل تجارب العقود الماضية تؤكد

عمق هذه الحقيقة وخطورة أي سياسة أو موقف أو سلوك يقوم على التباعد أو التناقض بينها. وأحسب أن رصيد التجربة ومعاناتها المريرة كاف لإقناع الجميع بضرورة الاتجاه نحو التعاون والتنسيق والترابط الأصيل لتشكيل جبهة عريضة واحدة تحشد في إطارها جهود الأمة وإمكاناتها كافة لمواجهة المشروع الصهيوني المتسلح بدعم استعماري عالمي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية.

٥-إن الممارسات الصهيونية الصارخة اليوم بإرهابها وعدوانها واستفزازها، وإن الحالة المؤلمة التي آل إليها الوضع الفلسطيني والعربي في ظل تجارب ومحاولات البعض للسير في طريق التسوية السلمية العبثية، إن ذلك كله لم يدع مجالاً للحيرة في البحث عن الخروج من المأزق.. المطلوب بكل وضوح وضع استراتيجية فلسطينية وعربية وإسلامية جادة وشاملة للصمود في مواجهة الضغط الصهيوني وممارساته العدوانية ورفض الخضوع لإرادة الصهاينة أو الإدارة الأمريكية، وبناء إمكانات وأسس المواجهة مع المشروع الصهيوني بحيث تتوزع مسؤوليتها كل الأطراف في إطار الأمة، مع تواصل المقاومة الفلسطينية واللبنانية، والسعي بجدية وصدق من جميع الأطراف إلى مزيد من تنسيق الجهود وتكاملها وتوحيدها بحيث تنتظم جميعاً في إطار جبهة واسعة قادرة على التصدي للمشروع الصهيوني المتحفز والمتقدم لسحق الأمة عبر محاور عديدة.

آمل من الجميع أن يعي هذه الحقائق وأن يتصرف الجميع بناء عليها وباستشعار عال للمسؤولية في هذه المرحلة التاريخية الحرجة من تاريخ الأمة، وإني لأرى مبشرات عديدة في الواقع تشير إلى أن الأمل كبير وأن الأمة قادرة على انتزاع حقوقها ووضع حد للغطرسة الصهيونية بإذن الله.

خالد مشعل

* * *

أجوبة الأستاذ: خالد محي الدين

عضو مجلس قيادة الثورة الأسبق، رئيس حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، وعضو مجلس الشعب المصري.

الجـواب الأول:

الهزيمة لها سبب رئيسي وهو أننا لـم نجهز قوانا بـالقدر الـذي يمكننـا مـن الدفاع عن الهدف الذي وضعناه لأنفسنا. فعندما نتكلم عن تحرير الأرض المحتلة ونحن لم نجهز جيوشنا وبلادنا لنخوض معركة تحرير هذه الأرض فإننا لن ننجح. وعندما ننادي بأن فلسطين لا بد وأن تظل كلها عربية ونحن لم نجهز قوانا لا فلسطينياً ولا عربياً لذلك فلا بد أن نهزم.

الإسرائيليون جهزوا أنفسهم خطوة خطوة. في البداية ينشئوا مستعمرات، وبعدها يمتدوا بها لنقطة معينة ثم يستولون على جـزء من الأرض وهكذا.. أما نحن فكنا نرى ذلك ونرفضه وهذا شيء إيجابي لكن الرفض وحده لا يكفي.

مثلاً: عندما صدر قرار التقسيم رفضه العرب شكلاً وموضوعاً، بينما قبله الإسرائيليون شكلاً ورفضوه موضوعاً. هم ظهروا أمام العالم على أنهم لا يريدون إلا هذا الجزء المنصوص عليه في القرار فأخذوه وأخذوا معه الحق الدولي، ومنه دخلوا إلى حيفا ويافا والأراضي العربية القريبة منها. ونحن لم نستطيع الدفاع عنها. أي أننا رفضنا ما يحدث ولكننا لم نستطع مساندة رفضنا بالقوة.

بشكل عام كان هذا هو الخط الرئيسي في الصراع العربي الإسرائيلي منذ بدايته وحتى الآن.

يضع الإسرائيليون أهداف بعيدة المدى -وكلنا نعرفها- وينفذونها على مراحل. في البداية يضعون أقدامهم في فلسطين ثم يقومون بالاستيلاء على جزء منها، فجزء أكبر وهكذا.. ويستغلون أي حدث للقيام بهذه المهمة واتمامها.

نحن رفضنا كل ذلك ولكننا لم نجعل الوقوف ضد السيطرة الإسرائيلية هو الموضوع الرئيسي في صراعنا. لأنّ الوقوف ضد السيطرة الإسرائيلية كان يستدعي بناء مجتمعات عربية قوية ونحن لم نستطع بنائها. ولذلك أصبحت إسرائيل أقوى حيث قامت بتصنيع القنبلة الذرية، وأنشأت صناعة متقدمة وزراعة متقدمة ونحن لم نفعل أي شيء.

ولذلك وفي ظل هذه الأوضاع وحتى نواجه قوة إسرائيل فلا بد من توحيد العرب ليس فقط توحيدهم ولكن توحيدهم على قوة. لا بد من أن نبني قوة عربية مسلحة بالعلم والتكنولوجيا بحيث يكون الفرد العربي موازي للفرد الإسرائيلي. لو استطعنا القيام بذلك سننجح.

فهم (٥) مليون فرد ولكنهم (٥) مليون عسكري مقاتل، ولذلك يضعون في ميادين القتال جنوداً أكثر منا، داخل جيوش حديثة لأن مجتمعهم كله مكرس لخدمة الجيش.

الخلاصة: أن وسائلنا لتنفيذ أهدافنا ليست متناسبة مع هذه الأهداف. أما هم فوسائلهم متناسبة مع أهدافهم بشكل كبير، وبالتالي كانت هزيمتنا وكان تراجع وانحسار المشروع الوطني الفلسطيني.

نحن رفضنا ما حدث وظللنا نرفض ذلك لفترة طويلة ولكن لم يكن بإمكاننا تنفيذ هذا الرفض. استمر هذا الوضع حتى عام ١٩٧٤ عندما ذهب أبو عمار إلى الأمم المتحدة وألقى خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة بجنيف، والذي وضع فيه شروطاً إيجابية للسلام. لكن من الواضح أن العرب لم يكن لديهم القدرة على تنفيذ هذه الشروط. ولكنهم تنبهوا لما يحدث عندما ذهب السادات إلى القدس ثم وقع اتفاقية كامب ديفيد.

بدأ العرب في التفكير بشكل عملي. فوجدوا أن كامب ديفيد بها عيوب، وأن فكرة إزالة إسرائيل من الوجود أصبحت قضية صعبة. ومع ذلك فإن أحداً لم يفكر ماذا سنفعل طالما أن الإزالة غير ممكنة وأن الانتصار في الحرب نصر كاسح حتى نزيل إسرائيل غير وارد؟ فماذا نفعل طالما أن الحرب غير ممكنة؟

هل من الممكن أن نقبل باتفاقيات مؤقتة وبتسويات سياسية قد يكون فيها

ظلم علينا، على أن نقوم ببناء مجتمعاتنا العربية بحيث تكون قادرة على حصار إسرائيل وجعلها غير قادرة على التحكم فينا أم لا؟

واضح أن هذا لم يتم حتى الآن. وبالتبعية فهناك مخاطر أن تسيطر إسرائيل على المنطقة عسكرياً واقتصادياً في حالة إقامة نظام شرق أوسطي ونحن لا نريد هذا.

فماذا نفعل؟؟

بالنظر إلى التجارب الدولية سنجد أن الوضع قريب مما حدث أيام المعسكر الرأسمالي والمعسكر الاشتراكي. المعسكر الرأسمالي وحّد نفسه اقتصادياً فانتصر، والمعسكر الاشتراكي لم يستطع توحيد نفسه فسقط، ولم يكن قد توحد. ولهذا لا بد أن يتوحد العرب اقتصادياً، ولكن الوضع متخلف. فماذا نفعل، هل نستسلم؟

ما نستطيع القيام به الآن: هو بناء مصر قوية لشعب متعلم قادر على التعامل مع العلم الحديث والتكنولوجيا، وأن يتم ذلك في سورية وفلسطين والأردن.. حتى تقوم ببناء أسباب قوتك. فإن لم تكن قوياً فإن الأقوى سيلتهمك ولا أحد يرحم الآخر.

الجواب الثاني:

الهدف الصهيوني وهو البقاء في فلسطين والسيطرة على المنطقة لم يتغير. ولكننا نستطيع تغييره لو وجد الصهاينة أن تنفيذ ذلك من جانبنا صعب.

نحن دائماً ننظر لأهداف الحركة الصهيونية ولكننا لا ننظر ما هو هدفنا نحن، وكيف نوقف هذا المشروع الصهيوني؟

يجب علينا ألا نهرب ونبني مجتمعات عربية قوية فليس هناك حل آخر. هذا الحل أهم من الجيش، ولكن الجيش أيضاً مهم. فيجب علينا أن نبني جيوشاً تجعل أي عدوان غالي الثمن إن لم تكن قادرة على تحقيق النصر العسكري. ليس ضروريا أن ننتصر، ولكن نجهز قوات عسكرية تجعلهم يشعرون أنهم سيخسرون خسائر جسيمة لو قاموا بأي عدوان على أي دولة من الدول العربية. وهم لا يحتملون الخسائر، فيفكروا ألف مرة قبل الإقدام على ذلك.

وعلى هذا الأساس فإن استخدام كل الإمكانيات العسكرية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية ورفع مستوى الفرد العربي مهم.

عدد سكان إسرائيل حوالي ٥مليون ومع ذلك فإنهم يخرجون عدداً من الطيارين يضاهي ويماثل أعداد الطيارين الذين تخرجهم الأمة العربية وهذا يدل على أن المستوى الصحي لهم متقدم.

. إذن فازدهار الصحة وازدهار التعليم وازدهار التنمية البشرية في المجتمعات العربية يستطيع أن يحل هذه المشكلة ويحاصر إسرائيل ويحتويها ولا يسمح لها بالاتساع وهذا هو المشروع الأول. وعندما نستطيع احتواء إسرائيل ومنعها من التوسع نبدأ في الحديث عن المشروع الثاني.

فمثلاً بالنسبة للمشروع الفلسطيني، فأنت الآن تريد أن تضع قدمك على أي أرض فلسطينية وتقيم عليها سلطة فلسطينية. ثم بعد ذلك تنطلق إلى العالم كله وتحاول أن تجعله يتبنى وجهة نظرك.

هم فكروا هكذا، فعلينا أن نفكر مثلهم. ومن هنا يجب على كل العالم العربي وكل الفلسطينيين أن يدعموا السلطة الفلسطينية.

الجواب الثالث:

بالفعل أثرت الاتفاقيات العربية الإسرائيلية على مجرى الصراع ولا بد أن تؤثر. ولكننا نستطيع أن نحد من تأثيرها، وذلك بأن تظل الجماهير العربية تعتبر إسرائيل هي العدو الرئيسي، وأن تظل العقيدة العسكرية للجيوش العربية تعتبر أن إسرائيل هي العدو وأن تظل العقيدة السياسية لكل الجماهير والأحزاب والقوى السياسية العربية تعتبر أن إسرائيل هي الخطر الأول، ويجب أن نربي شعوبنا على ذلك. بحيث يظل السلام الذي بدأ سلاماً بارداً إلى أن نسترد الحقوق العربية الفلسطينية. إسرائيل تقول إنه سلام بارد، إذن فليظل بارداً وليس سلاماً فاعلاً.

فمثلاً بالنسبة للاتفاقيات بين مصر وإسرائيل، عندما نتبنى الرغبة داخل الشعب المصري في عدم التطبيع مع إسرائيل، فإننا سنحاصر التطبيع. فإذا نجحنا في جعل علاقات الشعوب العربية التي عقدت حكوماتها اتفاقيات مع إسرائيل، بعيدة عن إسرائيل، لن تؤثر هذه الاتفاقيات، أو ربما سيكون تأثيرها محدوداً.

القمة العربية الأخيرة أوصت بوقف التطبيع مع العدو الإسرائيلي لحين إتمام الجلاء عن كل الأراضي العربية. أي أن هذا القرار اتفقت عليه كل

الحكومات العربية سواء اتفقنا أو لم نتفق معها فلماذا لا ننفذه؟

في أقل الحالات لا بد من التمسك بقرارات القمة العربية.

الجواب الرابع:

أعتقد أن كل بلد لها ظروفها. فنحن في مصر، بيننا وبين إسرائيل معاهدة صلح، ووضعنا يختلف عن سورية، وفلسطين تختلف عن كلينا.

لقد كان جزءاً من النضال الفلسطيني: السعي لاعتراف إسرائيل بهم وبمنظمة التحرير الفلسطينية. الأمر كان معكوساً تماماً بالنسبة لمصر وسورية وإسرائيل، حيث كانت إسرائيل هي التي تريد أن نعترف بها، ولذلك فالظروف مختلفة. فنحن نجد اليوم أن الفلسطينيين يريدون أن تفتح إسرائيل أبوابها للعمال الفلسطينيين للعمل في إسرائيل، أما نحن فالأمر بالنسبة لنا مختلف تماماً.

في النهاية، المهم أننا نريد أن نحتوي إسرائيل ونحاصرها.. ولن نحتويها إلا بالتنمية البشرية العربية (تعليم وتكنولوجيا، وبحث علمي، وصحة جيدة، ورفع مستوى المعيشة وصناعة جيدة، وزراعة جيدة، وتكامل اقتصادي.. الخ.

الجواب الخامس:

معركة العراق أظهرت أن الرأي العام العربي كان في أغلبه ضد أي ضربة للعراق. هذا الموقف فرض على كل الحكومات العربية موقفاً محدداً وهو رفض الضربة.

لا بد أن نفهم من ذلك أن الرأي العام يشكل قوة. ولو أن الرأي العام ظل ضد المخططات الإسرائيلية، فإن القيادات السياسية ستكون ملزمة بذلك. ويجب ألا يتوقف الأمر عند مجرد الشعور العاطفي، ولكن لا بد أن يتبعه بناء عربي، أي أن يكون هناك خطة عربية لمواجهة التغلغل الإسرائيلي، ومنع التطبيع معها، إلى أن يتم تحقيق الأهداف الوطنية العربية والقومية أي تنفيذ قرارات القمة. نحن نصدر القرارات ولا ننفذها، ولو استطعنا تنفيذها سيكون لدينا أمل بالمستقبل.

خالد محي الدين

رئيس حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

* * *

أجوبة السيد: صخـــر حبش(أبو نزار)

عضو اللجنة المركزية لحركة (فتح)

س١-لماذا هزمنا؟ وأية عوامل ترونها أسباباً في انحسار المشروع الوطني الفلسطيني بدءاً من تحرير كامل فلسطين وصولاً إلى المرحلة الراهنة؟

ج/١ - ونحن على أبواب مرور خمسين عاماً على إقامة دولة إسرائيل بعد نكبة فلسطين والهزيمة التي لحقت بالجيوش العربية، نقول إننا هزمنا لأننا دخلنا الحرب من خلال ما أطلق عليه سبعة جيوش يقودها كلوب باشا البريطاني الذي هو امتداد لوعد بلفور، والسؤال الكبير لماذا هزمنا لا يتوقف عندما تم عام ١٩٤٨ إنما ينسلخ على ما بعد ذلك للواقع الذي نعيشه. فعلى الرغم من تسلسل الهزائم والنكسات وما بينهما من انتصارات تحققت فإن المحصلة العامة لا تزال تشير إلى الهزيمة نحن نستذكر في هذه الأيام انتصار الكرامة الخالدة قبل ثلاثين عاماً ولدينا إمكانية أن نتذكر كيف استطاع الشعب المصري بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر أن يحققوا انتصاراً معنوياً وسياسياً سنة ١٩٥٦ وكيف فرض على إسرائيل أن تنسحب من سيناء ومن قطاع غزة عام ١٩٥٧ دون تطبيع ودون توقيع. ونستذكر عام ١٩٧٣ حيث كان انتصاراً لولا ذلك التدخل المباشر من القوة الأعظم أمريكا التي دخلت المعركة لتحول دون هزيمة الكيان الصهيوني.

الحديث عن الهزيمة والنصر ليس عملية سهلة ولكنها معادلة معقدة ونستطيع القول إننا لا نستطيع أن نحقق انتصاراً ونحن متفرقون مختلفون حول تحديد العدو الرئيسي، حول تحديد التناقض الأساسي. فقد نجح الأعداء في فرض حالة التجزئة والتخلف والتبعية على عالمنا العربي فنشبت بيننا وبين أنفسنا حروب أقسى من تلك التي وقفنا فيها لنقاتل العدو. فقد حاربنا أنفسنا أكثر مما حاربنا العدو. ولقد حوربت ثورتنا الفلسطينية من أنظمة عربية وقتل فيها ومن رجالها في حروب حول تناقضات ثانوية أكثر مما قتل في معارك الكفاح المسلح والانتفاضة الجبارة ضد العدو الصهيوني. هذه حقيقة، فقد استطاع كيسنجر الصهيوني أن يفرض معادلة مدمرة بعد أن كانت الثورة الفلسطينية قد استجمعت قواها في الأردن بعد معركة الكرامة وغارات السلط واستقطاب الحالة

الجماهيرية الكبرى، فإذا به يعلن الموقف الأمريكي الواضح والصريح (أن كل نظام عربي تتواجد فيه الثورة الفلسطينية المسلحة عليه أن يقوم بتصفيتها، وكل نظام يرفض أو يعجز سنقوم نحن بتصفيته). لقد هزمنا لأن العدو استطاع أن يجعل من الثورة الفلسطينية عبئاً على الأنظمة العربية بدل أن تكون إسرائيل هي العبء على الإمبريالية الأمريكية والقوى المعادية لشعبنا.

أما فيما يتعلق بانحسار المشروع الوطني الفلسطيني فهنالك مفاهيم مختلفة، هنالك مفاهيم الاستسلام بأن الكيان الصهيوني حقق إنجازاته وأنه غير قابل للهزيمة. والذي ينطلق من هذا المنطلق لم يعد لديه أي مشروع وطني. أي أن المشروع الوطني انتهى وليس انحسر فحسب. ولكننا نقول الحقيقة أنها معارك تخاض باتجاه فرض وقائع جديدة باتجاه الهدف الاستراتيجي، والهدف الاستراتيجي الذي لا يزال قائماً في ذهن كل الوطنيين الفلسطينيين هو إقامة الدولة الديمقراطية على كامل التراب الوطني الفلسطيني. ولكن يبدو أن هنالك خلاف حول الوسائل للوصول إلى تحقيق ذلك أحد هذه الوسائل في قناعتنا هو أن نصل إلى حالة فرض الكيان الوطني الفلسطيني على أرض فلسطين وبقيادة الشعب الفلسطيني لكي ننسف المقولة الصهيونية بأن فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض هذا أولا بهذا نضع السد المنيع في وجه العدوان الصهيوني ثم إن الوقائع الآتية ستقول إن فلسطين الديمقراطية تتحقق بالوسائل الديمقراطية وليس شرطاً أن يكون القتال هو الطريقة ولذلك فنحن نتطلع إلى أن يكون هذا الانحسار الظاهري هو تراجع مرحلي من أجل وثبة لتطوير واقع السلطة الوطنية باتجاه الدولة الفلسطينية المستقبلة وعاصمتها القدس التي هي خطوة أولى وأساسية نحو الهدف الاستراتيجي العام. ومن هنا فنحن لا نسلم بأن الثورة الفلسطينية هزمت الثورة الفلسطينية ما تزال صامدة في مواقع الكفاح ومواقع النضال وهي تحاول أن تخلق شروخات وأن تخلق ثغرات في الجدار الصهيوني الصلب الذي لا يزال مدعوماً بالقوى الصهيونية في العالم والقوى الإمبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة.

س٢-بعد مئة عام على قيام الصهيونية كحركة سياسية.. هل ترون أن المشروع الصهيوني قد تغير؟ وما هي أبرز ملامح التغيير فيه إن وجدت؟

ج٢ -لا شك أن المشروع الصهيوني الذي قام على أساس إقامة دولة صهيونية في فلسطين الكاملة ثم تطلع نحو إسرائيل الكبرى التي بالمقولات الصهيونية تمتد من الفرات إلى النيل لقد حصل تغير أساسي في هذه المقولة

والأخطر من ذلك بالنسبة للصهاينة هو أنهم بشعارات الخداع التي رفعوها في مطلع هذا القرن وفي مؤتمر بازل وقبل ذلك على لسان بالمرستون وشافشبري والصهيونية السياسية التي بدأت منذ عام ١٨٤٠ وقبل ذلك منذ أيام نابليون بهدف خدمة مصالح الإمبريالية. أعتقد أنها الآن في حالة انحسار. لأنه ثبت أن هنالك على أرض فلسطين شعب، وأنها ليست (أرض بلا شعب) فالشعب موجود والشعب يكافح منذ مئة عام. هذه المئة عام من الصراع استطاع الكيان الصهيوني أن يحقق أهداف جزئية بالنسبة لأهدافه الاستراتيجية هو الآن في مرحلة تراجع عن المفهوم الصهيوني الكامل لصالح المشروع الصهيوني العميل أو التابع للمصالح الإمبريالية، ولذلك هو يتلون بشكل جديد تحت شعارات شرق أوسط جديد، تحت شعارات أن إسرائيل الكبرى ليست هي عبارة عن جسم خالص من اليهود يحكمون منطقة هي كل فلسطين أو أكثر وإنما هي قدرة وصول الهيمنة الإسرائيلية إلى مناطق حدود جغرافية حدود سيطرة، حدود قوة، حدود هيمنة فهذا هو ما تتطلع إليه الصهيونية الجديدة.

التغيير حصل وأهم شرخ حصل في هذا التغير هو ما أحدثه اتفاق أوسلو وعبر اتفاق الاعتراف المتبادل أصبح هنالك واقعياً اعتراف بحقيقة وجود الشعب الفلسطيني من جانب الكيان الصهيوني الذي انطلق أساساً على قاعدة غياب هذا الشعب ومن هنا يمكن الحديث عن أن هنالك تغيرات. ولكن هناك تغيرات خطيرة في الجانب الصهيوني وهي خطيرة لدرجة أنها قد تبدو عبارة عن أهداف لا تزال قائمة وإنما يتلون جلدها حيث أن الصهيونية القديمة غير مؤهلة لأن تفرض وقائع جديدة على عالم عربي ناهض وإمكانية أن يكون عدو حقيقي يستطيع أن يجتث هذه الصهيونية بكيانها من الجذور ولذلك فهي تتحرك باتجاه أن تكون جزء من هذه المنطقة وتسيطر على هذه المنطقة بالهيمنة.

س٣- ما هو تأثير الاتفاقيات المبرمة بين إسرائيل وعدة أطراف.

ج٣- لا شك كما أشرنا حول السؤال الثاني بأن الحركة الصهيونية تسعى لفرض وقائع جديدة في المنطقة هذه الوقائع التي يعتبر أخطر من كرسها وكرس وجود الصهيونية الليكودية في المنطقة هو اتفاق كامب ديفيد، فكامب ديفيد هو المصيبة الكبرى التي لحقت بالأمة العربية أو الهزيمة الأكبر، والأدهى من ذلك أن هذه الهزيمة الأكبر جاءت بعد الانتصار العربي الأكبر عام ١٩٧٣. ولقد الحق السادات هزيمة ذاتية في جسد الأمة العربية ليس ماضياً وليس راهناً وإنما مستقبلاً. فكل الوهن العربي ناتج عن كامب ديفيد خاصة أن كامب ديفيد حكمتها

نظرة ضيقة قطرية. فمصر العظيمة مصر عبد الناصر كانت ستبقى أعظم وأكرم لو لم تدخل أوحال كامب ديفيد.

لقد استطاع فيها العدو الصهيوني أن يسقط السمكة الكبرى مصر في شبكة الإمبريالية وبالتالي تنازلت عن دورها القومي في فلسطين. وفي اتفاقيات كامب ديفيد المتعلقة بفلسطين كان هناك تنازل كامل عن حقوق الشعب الفلسطيني ولعبت دوراً وكأنها بديل للشعب الفلسطيني مما عقد ولا يزال يعقد مسيرة النضال الوطني الفلسطيني.

كل ما جرى كان نتاجاً لذلك الاتفاق، فنتاج لكامب ديفيد حصل التمزق العربي، العالم العربي انقسم بين جبهة صمود وتصدي وجبهة استسلام. حصل أن البوصلة العربية تاهت وأن هنالك ظروف أدت إلى أن لا يكون الجسم العربي متكاملاً لدرجة أدى إلى العدوان الأخطر بعد كامب ديفيد وهو العدوان على العراق الذي شاركت فيه قوى كان المفروض أن تكون حليفة للعراق ضد العدوان الأمريكي عام ١٩٩١ وأن يتم حل قضية الكويت عربياً.

هذا كله هو الذي أدى إلى حالة الضعف والوهن التي أدت إلى أن تخرج أوسلو من رحم الهزيمة، اتفاق أوسلو والذهاب إلى مدريد كان نتاج هزيمة حقيقية. أخطر هزيمة في تاريخ العالم العربي، بالعكس هي أخطر من هزيمة ١٩٤٨ لأنه كان بإمكاننا أن نحولها إلى نصر ولكن لسوء الحظ فإن المصالح المحلية والمصالح الإقليمية والشخصية لعبت دوراً في أن تضرب الأمة من أجل مصالح أفراد. هذه الاتفاقيات بما فيها اتفاقية أوسلو كلها جاءت من خلال موازين قوى مختلفة لصالح العدو الصهيوني، ولذلك فإنه لن يقوم سلام على أساسها. فهي عبارة عن استمرار لاستراتيجية التوتر الدائم التي لن يتم الحسم فيها إلا بالوقوف ملياً وإعادة النظر بكل هذه الاتفاقيات" بكل هذه المواقف، الموقف العربي الواحد، الموقف العربي الصلب الذي تبدو بوادره بعد الوقوف العربي إلى جانب العراق مؤخراً يبشر بخير هذه الوقفة وإعادة النظر في كل هذه الاتفاقيات هي التي يمكن أن تفرض على واقع الصراع الإسرائيلي ما هو لصالح الأمة العربية وما هو لصالح القضية الفلسطينية.

س٤ كيف ترون ضرورة الربط؟

ج٤ –لا شك أننا في واقعنا الفلسطيني الذي هو رأس الحربة في الجسم الصهيوني، ورأس الحربة في الصراع نفسه يجد الآن أن هذا الخاص الوطني الفلسطيني أصبح جزءاً أساسياً من العالم القومي بالنسبة للقوى الأخرى، وعلى

الرغم من بعض المشاكل الخاصة التي تثير المشاكل لأقطار عربية مثل تركيا بالنسبة لسورية أو مشاكل العراق القائمة أو الخليج، أو مصر والسودان. ولكن الجرح النازف في عالمنا العربي هو من وجود إسرائيل سواء في جنوب لبنان أو في الجولان أو في فلسطين لذلك في تقديرنا كما أشرنا قبل قليل فإن الموقف العربي القومي الذي له امتداد في الموقف الإسلامي وله شركاء في العالم من قوى التحرر والتي لها مصالح في الاستقرار والسلام في المنطقة، هذا كله يمكن أن يلعب دوراً أساسياً من أجل السلام في المنطقة، ولكن الأهم منه أن تكون هنالك قاعدة جماهيرية عريضة في أمتنا العربية وأمتنا الإسلامية تدعم مباشرة وتحت عنوان القدس، تحت عنوان الأراضي المقدسة، تحت عناوين أساسية لا يمكن تجاوزها في عملية الصراع. وهذه العملية حقيقية سواء نظرنا إليها سياسياً أو اقتصادياً أو ثقافياً فإن الجماهير الشعبية العريضة تلعب دوراً أساسياً فيها. لماذا، لأنه في السياسة صحيح أن الحكومات تلعب دوراً أساسياً ولكن في الاقتصاد فإن الأسواق التي تريد إسرائيل أن تفتحها يجب أن تكون مغلقة شعبياً. التطبيع الثقافي الذي تحاول إسرائيل أن تدخل فيه لعالمنا العربي لكي تسيطر وتهيمن يجب أن لا يسمح لها بذلك. وكما هي الحال سواء في مصر أو في البلدان التي أقامت اتفاقيات بما فيها الأردن نجد أن جماهير الشعب والاتحادات الشعبية والمنظمات الشعبية كلها ترفض مثل هذا التطبيع الثقافي وترفض التعاون الاقتصادي وتعمل من أجل محاصرة الكيان الصهيوني على طريق إضعافه على طريق مقاومة المشروع الصهيوني حتى لا يمتد وحتى يمكن اجتثاثه عبر التحضير لمراحل قادمة يكون أساسها الحل الديمقراطي العادل الذي يعيش فيه في فلسطين كل المواطنين بغض النظر عن الجنس أو الحرية أو الدين أو العقيدة وتكون القدس عاصمة لها. هذه هي الدولة الديمقراطية المنشودة دولة الحرية والسلام الدائم.

س٥ – في رأيكم وعلى ضوء المستجدات السياسية الراهنة.. كيف ترون أشكال الخروج من المأزق؟

ج٥ –لا شك أن هناك مأزق مزدوج، مأزق تعيشه حركة الثورة الفلسطينية وحركة الجماهير العربية من جهة، ومن جهة أخرى هنالك مأزق لدى الكيان الصهيوني ولذلك يجب علينا أولاً أن نزيد مأزق الكيان الصهيوني وأن نفك مأزقنا، وجزء من مفاقمة المأزق الصهيوني هو عدم إعطائه أي نوع من المداخل التي يستطيع من خلالها إعادة تنظيم الاحتلال وإعادة ترتيب أوضاعه

في ظل الاتفاقيات وكأنها أمر مشروع. فهو يحاول أن يستخدم الاتفاقيات باعتبار أنها تعطيه الحق في إعادة الاحتلال خاصة أن درجة الغموض المدمر الموجود داخل هذه الاتفاقيات هو غير حاسم سواء كان في النسب أو في المساحات أو في الأرض وهو حاسم في موضوع المواعيد التي يعلن الصهاينة جميعهم أنها ليست مقدسة ولذلك فإن العدو الصهيوني يستطيع أن يقرأ الاتفاق على طريقته. فعندما يكون هنالك غموض الذي يستفيد منه هو صاحب القوة الذي يستطيع أن يفرض حقائق على الأرض. والعدو الصهيوني هو الآن الذي يفرض هذه الحقائق على الأرض. ومن هنا فإننا نرى أنه يجب أن يكون هنالك وقفة صادقة فلسطينية ترفض أن تكون المفاوضات الكاذبة والخادعة غطاء لإعطاء شرعية يتم في ظلها بناء المستوطنات وتهويد القدس، وسحب الهويات، وطرد المواطنين، حتى المجازر والقتل يتبعها مفاوضات لماذا؟! علينا أن يكون هنالك وقفة صادقة لكي لا تكون هناك مفاوضات إلا على أساس الاتفاق. هنالك قضايا يجب تنفيذها لأنها استحقاقات لا تحتاج إلى مفاوضات وفي مقدمتها إعادة الانتشار. المفاوضات ضرورية على ما يجب التفاوض عليه، ولا يجوز التفاوض على ما تم الاتفاق عليه، من هنا يمكن أن نخرج من المأزق لأننا حقيقة نكون ندير عملية السياسة بخلق مأزق وخلق أزمات لنتنياهو نفسه الذي هو خبير في الإدارة بالأزمات. منذ أن جاء إلى الحكم حتى الآن وهو يقوم بالإدارة بالأزمات لكي تلهث وراءه كل الأحداث سواء في الواقع الفلسطيني وحتى في أمريكا يجعل المجتمع الأمريكي يلهث وراءه. والكيان الصهيوني بإمداداته واللوبي الصهيوني يخدمه حتى جعل كلينتون يقول مباشرة أنه محبط من سياسة نتنياهو وأنه في وضع البطة الكسيحة غير القادرة على الضغط عليه.

هذا في تقديرنا هو واقع موجود وأزمة مركبة. ولكي نخرج من المأزق علينا أن نخلق مأزق للكيان الصهيوني، لحكومة الكيان الصهيوني لكي نفرض حالة من التعادل وحالة من التماثل التي يمكن أن تعود فيها الاتفاقيات رغم صعوبتها ورغم أنها خارجة من رحم الهزيمة إلا أن فيها بذور الإشراق التي إذا استطعنا من خلال التمترس خلف استحقاقات الشعب الفلسطيني في الاتفاقيات بما يتعلق بالقدس ومنع الاستيطان والحدود الآمنة وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة نستطيع أن نتطلع إلى مستقبل أكثر إشراقاً يتطلع نحو الدولة الفلسطينية الديمقراطية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

* * *

أجوبة سماحة الشيخ العلامة
محمد حسين فضل الله

عندما ندرس التاريخ الذي سبق المعركة ورافقها فإننا نجد أن الذين واجهوا المشروع الصهيوني لم يدركوا جيداً طبيعة اللعبة الدولية التي كانت تخطط جيداً لسقوط فلسطين من أيدي أهلها. لذلك كان التحديق فقط في وعد بلفور كقرار يثير الاحتجاج ولا يحرك المواقع السياسية العربية والفلسطينية بالذات لمداخلات دولية تحاصرة أو تجمده. وربما كان الواقع العربي بشكل عام في المستوى الذي لا يملك فيه قراره الذاتي باعتبار أن البلدان العربية آنذاك كانت مستعمرة أو شبه مستعمرة مما جعل مسألة الاخراج الصهيوني والدولي في الحرب التي أثيرت في ١٩٤٨ كان إخراجاً يراد من خلاله إعطاء شرعية سياسية لشرعية إسرائيل على أساس الانتصار في الحرب لتكون "حرب التحرير".

وهكذا انطلقت القضية الفلسطينية لا لتجمع العرب أو لتؤكد قرارهم بل لتثير مشاكل لها أول وليس لها آخر في عملية تخوين هذا لذاك، بدءاً بالأسلحة الفاسدة التي أنتجت ثورة ٢٣ يوليو مروراً بالانقلابات العسكرية حركة في الحرب المتحركة مع الصهاينة من دون تخطيط وفي انطلاق الأيديولوجيات ودخول المسألة الفلسطينية في دائرة الحرب الباردة بين الشرق والغرب ليغرق الفلسطينيون ومن معهم من العرب في لعبة اليسار واليمين. إننا نستطيع اختصار أسباب الهزيمة بأن الواقع العربي والفلسطيني لم يكن يملك جدية واقعية عملية تخطيطية من أجل الحصول على فلسطين.. حتى أن عملية الرفض كانت لا تملك المرونة التي تستطع فيها أن تحرك المطالب بطريقة تواجه فيها التعقيدات الدولية، فكان العرب ينتقلون من رفض إلى تنازل مما يوحي بأن ليس هناك مشروعاً عربياً، حتى أننا لاحظنا في عام ١٩٦٧ عندما سئل بعض القادة العرب الكبار في مشارف الحرب: هل أعددتم خطة "لتحرير فلسطين؟ وكان الجواب: أن لا خطة!! إنما يختصر سبب الهزيمة هو حرب (اللاخطة) وسياسة اللاخطة) وواقع العلاقات العربية -العربية (اللاخطة) وواقع المعارضة والموالاة في

الفصائل الفلسطينية في (اللاخطة)! ومن الطبيعي أن (اللاخطة) لا يمكن أن تنتج نصراً في جميع الحالات.

إنني أتصور أن القضية قد انحسرت لأننا قد انحسرنا في وعينا للقضية، وأصبحت القضية لعبة كرة نركلها بأقدامنا ليسجّل كل واحد منا على الآخر لا على إسرائيل هدفاً معيناً عندما تدخل الكرة في ملاعبنا ولا تدخل في الملعب الإسرائيلي.

إن المسألة عادت في بعض تطورات الواقع العربي إلى أن العرب بدأوا يفكرون كيف يتحررون من القضية الفلسطينية بدلاً من أن يحرروا فلسطين من اليهود وهذا هو سر المشكلة التي وصلنا إليها.. إنها سياسة التعب التي تطلّ على أكثر من إحباط وأكثر من يأس ولذلك أردنا أن يكون الحل كيفما كان ونحن نعرف أن أمة تفكر بـ الكيفما كان هي أمة سوف تخضع لما يكلله الآخرون.

الجواب الثاني

إنني أعتقد أن المشروع الصهيوني لم يتغير في الاستراتيجية، ولكنه تغير في التكتيك بطريقة متطورة، لأن المشروع الصهيوني كان ينطلق من السيطرة على فلسطين، ولكنه تحول إلى مشروع يعمل على السيطرة على الواقع العربي سياسياً واقتصادياً وأمنياً معتمداً على التعقيدات الموجودة في العلاقات العربية وانعدام الوزن العربي بفعل الحروب العربية العربية والحرب العراقية الإيرانية وما إلى ذلك مما جعل من إسرائيل التي عملت على أن توحي إلى أمريكا والإدارة الأمريكية وكل الإدارات الأمريكية بأن المصلحة الأمريكية هي المصلحة الإسرائيلية الأمر الذي جعل السياسة الأمريكية في المنطقة هي سياسة إسرائيلية، وهذا ما نلاحظه في هذه الأيام.

إن المشروع الصهيوني يتطور باتجاه تحقيق أكبر قدر من المصالح للصهاينة في العمق العربي.. لتكون إسرائيل في داخل فلسطين المحتلة الدولة الأقوى سلاحاً والأقوى سياسة واقتصاداً وحركة في الأمن، بينما نجد أن المشروع العربي (اللامشروع) لأنه كان مشروعاً أقرب إلى الجانب العاطفي منه إلى الجانب السياسي يتراجع حتى يعيش في المتاهات والتنازلات والتطلع إلى تسوية على أي صورة كانت التسوية.. وهذا ما يفسره الواقع الفلسطيني كعنوان كبير للواقع العربي.

الجواب الثالث

إن الاتفاقيات المبرمة استطاعت أن تخرج الإنسان العربي في ذهنيته السياسية فيما يتصل بالقضية الفلسطينية من حالة المواجهة للمشروع الصهيوني إلى حالة القبول به كمبدأ فقد أصبح العرب منذ اتفاقيات كمب ديفيد وما أفرزته من عملية تدجين سياسي وإيحاء للعرب بأن ملف الحرب قد أغلق، لأنه "لا حرب بدون مصر" كما كانت العناوين والمانشيتات الصحفية تتراكم أمام عيون الإنسان العربي، لذلك فإننا نلاحظ في هذا المجال بأن لاءات الخرطوم التي انطلقت بعد الهزيمة تحولت إلى الإلغاء.. ثم بعد ذلك بدأت التنازلات وبدأت الأحاديث (بالتنكيت) على أحمد سعيد وأحمد الشقيري وما إلى ذلك، وأصبحت مسألة الحلم العربي أو الفلسطيني في استرجاع فلسطين مسألة نكتة سياسية تدل على لا واقعية الإنسان العربي والفلسطيني وأصبحت مسألة السياسة الواقعية تعني مسألة الاستسلام للأمر الواقع والقبول بما تقدمه إسرائيل للفلسطينيين أو ما ترضى عنه أمريكا.. لأن الفلسطينيين لن يحصلوا على أكثر من ذلك! وهكذا جاء أتفاق أوسلو الذي تثير كل مادة فيه آلاف علامات الاستفهام وبدأ الفلسطينيون يركضون في التيه الإسرائيلي -تيه المفاوضات- التي تهرب من جزئية إلى جزئية لتضييع القضايا الكبرى في هذا المجال، وهكذا لاحظنا أن بعض الفلسطينيين الذين صفقوا لاتفاقيات أوسلو يقفون الآن ويحاولون أن يحدقوا بشيء من اتفاق أوسلو على الأرض فلا يجدون هناك غير الضباب الذي لا يخفي شيئاً وراءه. وهكذا كان اتفاق وادي عربة.. الاتفاق الذي يعمل على أساس أن يخرج هذا البلد العربي من دائرة الصراع بالمطلق ليدخل في دائرة الانفتاح الذي يبرر الواقع الإسرائيلي كله ويعتبر أن عمليات الانتفاضة هي عمليات إرهابية وأن الذين يسقطون هناك بفعل جهاد للمجاهدين (شهداء) ويعتبر أن رابين يمثل البطل السياسي الشهيد الكبير الذي يتمنى بعض الناس أن يكون مصيره كمصيره! إن هناك شيئاً من السقوط العربي الذي يزحف ويزحف ويلهث وراء سراب يحسبه الظمآن ماءاً ولكنه لا يجد شيئاً.. ويجد الحقيقة الصارخة عنده... وهو أن الواقع العربي بدأ ينسحب من ذاته ليتخذ لنفسه أكثر من صورة بديلة. والمأساة السياسية هي المأساة الإنسانية في أن أمة تنسحب من ذاتها. من الطبيعي أننا لا نتحدث عن الأمة في الواقع الشعبي التي صودرت بفعل الذين وظفتهم المخابرات الدولية ولا سيما المخابرات الأمريكية ليكونوا في المواقع العليا للأمة ليحرسوا مصالح الآخرين. إن المسألة: هي أن الأنظمة

تستعجل الحل الإسرائيلي لأنها بدأت تفكر بلا واقعية شيء أي شيء اسمه الحل العربي.

لكننا نتصور أن هذه الاتفاقيات إذا نجحت على مستوى الأنظمة فإن مفاعيلها السلبية على واقع الأمة سوف تتعمق في جراح الأمة لتنتج القضية من جديد في المستقبل، ولن تظل أوضاعنا كما هي عليه الآن.

الجواب الرابع

إن المسألة هي انتاج الخاص الوطني والعام القومي لأنني أتصور أن الأنظمة هي التي صادرت الإنسان العربي في وطنه وعملت على أن تضغط عليه بمختلف الضغوط المعيشية والأمنية بالمستوى الذي جعلته ينشغل بحياته الخاصة بعيداً عن العامة، بالإضافة إلى التمزقات الطائفية أو المذهبية أو الحزبية. مما جعله يبتعد عن التفكير بالوطن وبقضاياه الكبرى.

كما أن التعقيدات بين البلدان العربية نفسها جعلت المسألة الإقليمية في البعد الواقعي للشخصية العربية أكثر منها من المسألة القومية.. مما يجعل أن العروبة تحولت من حالة سياسية حركية إلى حالة عاطفية شعورية لذلك أعتقد أن المسألة المطروحة هي إنتاج انفتاح الإنسان على وطنه وعلى عروبته ليخرج من هذا القمقم الخارجي أو العاطفي أو الشخصي أو العائلي أو الحزبي.

نتصور أن علينا أن نلتفت في هذه المرحلة إلى العنصر الإسلامي الذي لا يزال يقاتل من الموقع الصلب في إنتاج الروح الجهادية التي أنتجت الفتوحات والتي تعيش التوتر السياسي ضد إسرائيل بالدرجة التي لا تعترف فيها بشرعية إسرائيل بالمطلق. إن علينا أن نعود إلى نقطة الصفر التي انطلق منها اليهود ولكن بشكل معاكس.

فكما ركزوا في كل أجيالهم منذ ١٠٠ سنة أن فلسطين يهودية فعلينا أن نركز في وعي أجيالنا أنها فلسطينية عربية إسلامية تطل وتنفتح على المسيحية.

إن ذلك هو الشرط لخلق مقاومة فاعلة مستقبلية تنطلق من واحات الحاضر لتعرف كيف تنتج المستقبل من عمق الدماء.

الجواب الخامس

من الصعب أن نتحدث عن طريقة الخروج من المأزق بطريقة مبسطة إن

علينا أن نواكب المستجدات السياسية الراهنة وأن نفتح الثغرات في داخلها ليتحرك الرفض بطريقة الواقعية بحيث يتحرك التكتيك في خط الاستراتيجية. إن المسألة أن تعود العلاقة العضوية بين العروبة والإسلام.

وأن نطلق فلسطين في وجدان المسلمين والعرب والفلسطينيين لتأخذ فلسطين كل الأبعاد التي يمكن أن تحرك الوجدان الإقليمي في المسألة الفلسطينية، والقومي في المسألة العربية، والديني في المسألة الإسلامية، وفي هذا الإطار لا بد لنا من أن نحرك كل القيم الروحية والإنسانية والوطنية والقومية في وجدان إنساننا في الداخل والخارج بمناسبة مرور مئة عام على المؤتمر الصهيوني وعلينا أن نبدأ مئة عام على إنتاج القضية الفلسطينية في المستقبل.

ممثلاً بالحكمة القائلة

اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك (في دائرة المسؤولية) كأنك تموت غداً.

* * *

أجوبة الأستاذ جورج حداد

الجـــواب الأول:

لماذا هزمنا؟!

كان من غير الطبيعي أن ننتصر، وألاّ نهزم. فالانتصار له آلية من العوامل والأسباب والقواعد، إذا تعذر وجودها تعذر تحقيقه.

هزمنا في الماضي، ولم تزل هزائمنا تتلاحق آخذة برقاب بعضها بعضاً، لأننا.. ما زلنا نكرّس أسبابها. فعندما تغيب أو.. تغيب هوية الأمة الأصيلة والأصلية، ويغيب العمل بصرامة المسؤولية القومية، وبكل ما ينبثق عنها، من معايير والتزامات، يصبح العمل التحرري والتحريري، محصوراً ضمن، الأطر المفتعلة الطارئة.. أطر سايكس- بيكو التي أقامها التحالف الاستعماري اليهودي، بقصد واضح، هو هدر طاقات الأمة الواحدة، في الهلال السوري العربي الخصيب، وتشتيتها، وإبقاء أجزائها في حالة عجز دائم.

وعندما تصبح قضية الأمة الشاملة، مجموعة من (القضايا) والمسائل الكيانية الإقليمية "المستقلة" المتنافسة، ماذا نتوقع؟ هل سوى التراجع والانحدار، ثم المزيد من التراجع والمزيد من الانحدار؟

ولعلى في هذا، ما يجيب عن السؤال حول "أسباب الانحسار في المشروع الوطني الفلسطيني".

إن.. (رؤية الكوارث بعد وقوعها) لا يعتبر عملاً عظيماً ولا رائداً والانجرار بما خطط المستعمرون والصهاينة، لا يمكن أن يقود إلاّ للنتائج السلبية التي عانيناها وعايناها!!

إن انحسار المشروع الوطني الفلسطيني، وإن بصورة أشد حدة، وأفظع إجراماً، بحكم كون تبعته الأرضية، نقطة تجمع وارتكاز في المشروع الصهيوني

مثل غيره من أشكال الانحسار في المشاريع الوطنية الأخرى، مثل المشروع الوطني الأردني، والمشروع الوطني اللبناني.. والعراقي والشامي الخ.

أضف إلى ذلك.. أن غياب الوعي الصحيح الجذري، بالخطر اليهودي وأبعاده ومضامينه العقيدية والتراثية، هو ما سهل الانجراف بالتيارات الفكرية التضليلية المدفوعة ضد شعبنا، بهدف حرف نضاله، وتشتيت قدراته و(تغبيش) رؤيته للحقائق المتعلقة بطبيعة الغزو وأهدافه المرحلية وغاياته البعيدة.

· الجواب الثاني:

صحيح أن الصهيونية هي حركة سياسية، ولكنها بالوقت نفسه، تعبير عن مفاهيم ومعتقدات يهودية متحجرة، تمتزج فيها الخرافات بالأساطير والتأويلات بالمنهوبات والمقتبسات! ولهذا.. فإن أي تغيير يطرأ على مسيرة المشروع الصهيوني يظل مرتبطاً بالتغيير في المفاهيم والمعتقدات أو التأويلات التي يتم اختراعها لمسايرة الظروف الدولية والمحيطة، بكل مرحلة من مراحل المشروع الرهيب!

أما التباين في وجهات النظر، بين هذا التيار والجناح اليهودي أو.. ذلك، فيقتصر على الجانب التكتيكي، وليس على الشأن الاستراتيجي فهناك الآن، في قيادة اليهودية العالمية، من يرى أن الهيمنة الاقتصادية (الشرق أوسطية) يمكنها أن تحقق الغايات نفسها، بدون الحروب وتعرض الدم اليهودي (المقدس) للسفك! وهذه هي ميزة من اصطلح على نعتهم، زوراً، حمائم.. صقوراً!!

الجواب الثالث

أما عن تأثير الاتفاقيات المبرمة، بين إسرائيل وبعض الأطراف العربية، فقد كان مذهلاً وصاعقاً في حجم الخراب والأذى الذي لحق بالقضية القومية، ومسألة التحرير، على الصعد المادية والنفسية والحقوقية. فقد اخترقت جبهة الصمود والمقاومة ورفع الحصار عن العدوان، وتم شرعنة الاغتصاب، ليس أمام العالم، شعوباً ودولاً فحسب، بل أمام أجيالنا الصاعدة كذلك! لقد كانت هذه المعاهدات والاتفاقيات، بمثابة عمليات اختراق والتفاف، في غاية الخطورة، على مجرى الصراع العربي الإسرائيلي المصيري، لصالح العدوان والاغتصاب، وزادت من ثقل الأعباء وحجم المعاناة التي ينهض بها المناضلون من أحرار الأمة الرافضين لمنطق الغاب وشريعة المخلب والناب!

الجواب الرابع:

في الواقع الطبيعي الحياتي، لا يوجد ما يفصل بين الخاص الوطني والعام القومي. إذ ليس من تعارض ولا تناقض بين الخاص والعام، في الشأن القومي العام، إلا حيث يكون المنطلق خاطئاً، والرؤية مشوشة أو غائمة أو معدومة!!

فمثلاً.. إن فلسطين والأردن، هما في الأصل، أسمان لموقعين في أرض الوطن الواحد، مثلهما في ذلك مثل أسماء أخرى كالجليل أو البلقاء أو عجلون أو حوران أو البقاع أو الجزيرة، فهي مجرد أسماء جغرافية، ألبسها الاستعماريون، لأول مرة في تاريخ أمتنا الممتد إلى أكثر من ستة آلاف عام. رداء سياسياً مزنراً "بحدود" مفتعلة!

وهنا ينبغي التأكيد أن مصلحة الأمة.. أي أمة، واحدة وليس مجموع مصالح إقليمية كيانية. ذلك أن للأمة، دورتها الحياتية الواحدة في جميع الشؤون: الاقتصادية والاجتماعية والأمنية والثقافية والنفسية.

فإذا بترت هذه الدورة، لسبب أو لآخر، خارجي أو داخلي، فإن سلبية النتائج، لا تنحصر بجزء دون آخر، من أجزاء الوطن الواحد والشعب الواحد! بل تنعكس على الجميع، دون استثناء قطعاً.

هذا ناموس حياتي في الأجسام الحيّة، لا يقبل الفذلكة أو الاجتهاد. فعندما تلتهب القدم أو الأذن، فإن الجسم كله يصاب بالحمى ومظاهر الاعتلال!

إن العودة إلى واقع الأمة الطبيعي الأصيل، من حيث كونها، في جميع أقاليمها وأرجائها وكياناتها، وحدة في الحياة، وفي المصير أو في المصلحة، هو الحل الأوحد والأمثل لإشكالية "الخاص الوطني والعام القومي" وعندئذ لا يعود ثمة حاجة إلى "ربط" مفتعل أو هش بين الخاص والعام، في مختلف شؤون الحياة، على تنوع حاجاتها!

هذه يعني.. أن وحدة الأمة، أي.. وحدة مجاري حياتها، هو وحده الكفيل بإزالة حالة العجز، وتوفير عامل القوة وضبط إمكانيات المجتمع وإمكاناته. فلا تهدر ذرة جهد واحدة، في غير موضعها المناسب! ولا أراني بحاجة إلى التذكير، بأنه في حال فقدان القوة المادية والنفسية، تظل مقاومة المشروع الصهيوني، محكومة بالفشل الصارخ المحتوم، حتى لو أطلقوا عليه اسم "السلام".

الجواب الخامس

للخروج من المأزق الراهن، يستوجب العمل والتركيز على استنهاض الوعي وإيقاظ فعالية العقل، في إنسان بلادنا، فلا يعود يؤخذ بأشكال الفهلوة والشعوذة السياسية!

إن العقل الفاعل، هو الذي يقود إلى التشخيص السليم للعلة أو المشكلة. فالمشكلة أي مشكلة، لا تحل إلا بمعرفة دوافعها وغاياتها! والعقل الفاعل.. هو الذي يحصر سبل الإنقاذ "بالبطولة المؤيدة بصحة العقيدة".

إن في طليعة الشروط، للخروج الناجح من المأزق، هو معرفة (من نحن؟)، لأن.. على ضوء المعرفة اليقينية للحقيقة العلمية الإنسانية التاريخية الجغرافية تتحدد أشكال الخروج، وتتحدد أساليبه وأهدافه!!

* * *

أجوبة الفريق سعد الدين الشاذلي

بطل العبور عام ١٩٧٣

السؤال الأول:

لماذا هزمنا؟ وأية عوامل ترونها أسباباً في انحسار المشروع الوطني الفلسطيني بدءاً من تحرير كامل فلسطين وصولاً إلى المرحلة الراهنة؟

الإجابة :

عناصر القوة والضعف:

-تقاس عناصر القوة والضعف الاستراتيجية لأي دولة أو مجموعة من الدول بثلاث عناصر رئيسية هي اتساع الاقليم، الثروة الطبيعية، عدد السكان. فإذا ما عملنا مقارنة بين الدول العربية وإسرائيل فيما يتعلق بهذه العناصر، فإننا نجد أن الدول العربية تتفوق على إسرائيل تفوقاً ساحقاً، كان من المفترض أن يؤهلها لكي تنتصر على إسرائيل انتصاراً حاسماً، لو توفرت النية لدى الزعامات العربية لتحقيق هذا الهدف.

-مساحة الدول العربية تقدر بحوالي ١٤ مليون كيلو متر مربع، بينما مساحة إسرائيل بما في ذلك الأراضي الفلسطينية المحتلة هي ٢٧٠٣١ كيلو متر مربع ويتمتع الوطن العربي بثروات طبيعية هائلة في مقدمتها البترول حيث تمتلك ٥٢٪ من الاحتياطي العالمي.. ثم المياه حيث يمر خلالها ثلاثة أنهر كبرى هي النيل ودجلة والفرات.. بينما تعتبر إسرائيل من أكثر البلاد فقراً في ثرواتها الطبيعية. فلا بترول ولا معادن ولا مياه.. فموارد إسرائيل من المياه حوالي ٢٠٠٠مليون متر مكعب سنوياً، أي أن نصيب الفرد في فلسطين إسرائيلياً كان أو عربياً أقل من ٣٥٠متر مكعب سنوياً لجميع الأغراض (الزراعة والصناعة

والاستهلاك المنزلي) وإذا كان عدد السكان اليهود في فلسطين حالياً هو أربعة ملايين وتسعمائة ألف، فإنه يقابلهم ٢٥٥ مليون عربي. وإذا كان علينا أن نعترف بأن الفرد الإسرائيلي هو أكثر علماً وتأهيلاً من الفرد العربي، فإنه من الممكن التغلب على هذا التفوق بالتوسع في التعليم النظري والفني من ناحية، وحسن استغلال ثروتنا البشرية من ناحية أخرى.. وعلى سبيل المثال فإن عدد العرب من خريجي الجامعات يزيد كثيراً عن عدد سكان إسرائيل رجالاً ونساء وأطفالاً!!

-وهذا التفوق الساحق لا بد وأن يقودنا إلى التساؤل لماذا تتفوق علينا إسرائيل في جميع النواحي؟ لماذا يصبح متوسط الإنتاج للفرد في إسرائيل التي ليس لها أي ثروات طبيعية ١٧٤٠٠دولار سنوياً، بينما يكون في السعودية التي تمتلك أكبر احتياطي في العالم من النفط ١١٠٠٠دولار، وبينما يكون في مصر -التي تصل مواردها المائية ٦٠ مليار متر مكعب سنوياً -إلى ٧٥٠ دولار؟؟ ولماذا أصبحت إسرائيل أقوى عسكرياً عن دول الجوار العربية مجتمعة في مجال الأسلحة التقليدية بالإضافة إلى أنها تحتكر وحدها -دون الدول العربية- امتلاك أسلحة التدمير الشامل النووية والكيماوية والبيولوجية؟

يرجع ذلك إلى عاملين رئيسيين الأول هو غيبة الديمقراطية. والثاني هو الدعم الأمريكي والغربي للدولة اليهودية.

غيبة الديمقراطية:

-يتمتع الحاكم في الأنظمة العربية بسلطات كاسحة- فالفصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية الذي هو أساس النظم الديمقراطية، غير مُراعى في الأنظمة العربية.. وهذا هو السبب الرئيسي لأبدية استمرار الحاكم العربي في منصبه إلى أن يتوفاه الله أو يقتل اغتيالاً أو ينحى في انقلاب عسكري، ولعل الرئيس السوداني سوار الذهب هو الحاكم العربي الوحيد الذي قام بتسليم السلطة لخلفه طائعاً خلال الخمسين سنة الماضية. وبالرغم من وجود مجالس تشريعية أو مجالس شورى في بعض الدول العربية، إلا أن هذه المجالس مهمتها هو أن تبصم على ما يريده الحاكم. كما أن تشكيلها يتم إما بالتعيين أو نتيجة انتخابات مزورة. وبالرغم من وجود سلطات قضائية من المفترض استغلالها في بعض الدول العربية إلا أنه يوجد موازياً لها قضاء عسكري يخضع خضوعاً تاماً لسلطة الحاكم.. وبالتالي فإنه يمكن القول أن الشعب العربي غائب تماماً عن

المشاركة في اتخاذ القرار.. وأصبح الحكام في واد والشعب في واد آخر. وأصبح الشاغل الأكبر للحاكم هو كيف يستطيع أن يؤمن نفسه ضد من يطمع في الاستيلاء على منصبه.. وانعكس ذلك بالسلب على اهتماماته بتطوير بلاده اقتصادياً وسياسياً. بل إنه في بعض الحالات، ونتيجة قناعاته بأن شعبه لا يثق به، وأن شعبه قد يثور ضده، أن يستعين بقوات أجنبية ليفرض سلطاته على شعبه. وما لم تتغير هذه الأوضاع، وما لم نأخذ بالنظام الديمقراطي بحيث يمكن للشعب أن ينتخب حكاماً بحرية تامة ويحاسبهم ويعزلهم إذا خرجوا عن التفويض الذي يعطيهم إياه، فإن إسرائيل -والتي تسمي نفسها واحة- الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط- ستبقى متفوقة على الدول العربية.

الدعم الأمريكي لإسرائيل:

-لا شك أن الدعم الأمريكي لإسرائيل في المجال السياسي والاقتصادي والعسكري قد لعب دوراً هاماً في تطويرها والوصول بها إلى ما هي عليه حالياً من قوة.. ولكن من المؤكد أن الأنظمة العربية لم تمارس أي ضغوط ضد أمريكا بالقدر الذي يدفعها إلى أن تغير سياستها تجاه إسرائيل. فالدول العربية تملك إمكانيات اقتصادية هائلة. ولو وضعت هذه الدول مصالح أمريكا الاقتصادية في الميزان في مقابل مصالح أمريكا تجاه إسرائيل لتغير الموقف الأمريكي تغيراً جذرياً ولكن توفر القدرة شيء والرغبة في ممارستها شيء آخر.

وهذا هو ما نفتقره في معظم الأنظمة العربية. وهذا يعود بنا مرة أخرى إلى مسؤولية الأنظمة العربية عن حالة التردي الذي وصلنا إليه.

السؤال الثاني

بعد مائة عام من قيام الصهيونية كحركة سياسية.. هل ترون أن المشروع الصهيوني تغير؟ وما هي أبرز ملامح التغيير إن وجدت؟

الإجابة:

-يعتبر ثيودور هيرتزل هو مؤسس الحركة الصهيونية، ويعتبر كتابه عن الدولة اليهودية الذي نشر عام ١٨٩٤ هو المرجع الأساسي للتعرف على مبادئ الصهيونية في صورتها الأولى، وتتلخص أفكار هيرتزل فيما يلي:

١-أن اليهود الذين يعيشون في جميع أنحاء العالم يشكلون شعباً واحداً وأن

عليهم أن يرفضوا الاندماج مع الشعوب التي يعيشون فيها.

٢-إنشاء دولة يهودية يتجمع فيها كل يهود العالم

٣-يتم إنشاء هذه الدولة في مكان شاغر (خالي من السكان) ويلاحظ أنه طبقاً لمفهوم القرن التاسع عشر فإن المكان كان شاغراً إذا لم يكن يسكنه أو يستعمره شعب متحضر قادر على استعمار الأرض والاستفادة من خيراتها.

-كانت النزعة القومية- وليست الدينية- هي التي تطغى على تفكير هيرتزل ولذلك فإن مكان الدولة اليهودية لم يكن يهمه كثيراً، فيمكن أن تقوم تلك الدولة في أوغندا كما اقترح البعض، ويمكن أن تقوم في الأرجنتين كما اقترح عليه آخرون، ويمكن أن تقوم في فلسطين، وقد اختار هيرتزل أرض فلسطين من بين جميع الأراضي المرشحة لإقامة الدولة اليهودية، لكي يجتذب اليهود من ذوي النزعة الدينية الذين يعتقدون بأن القدس كانت هي عاصمة الأرض التي وعدهم الرب بها والتي تمتد من النيل إلى الفرات.

-وقد ساعد في هذا الاختيار النزعة الاستعمارية البريطانية التي كانت تهدف إلى إنشاء دولة عازلة بين مصر وبين دول المشرق العربي حتى لا يتكرر مرة أخرى تجمع عربي أو اندماج بين مصر ودول المشرق العربي كما حدث أيام محمد علي باشا.

-ومن هنا فإنه يمكن القول بأن الهدف الاستراتيجي للمشروع الصهيوني هو إقامة دولة يهودية تمتد من النيل غرباً إلى نهر الفرات شرقاً.. ومن التخوم التركية شمالاً إلى المدينة المنورة جنوباً.. وهذه هي حدودهم التوراتيه كما يدعون. وهذا الهدف لم يتغير مطلقاً خلال المائة سنة الماضية.

وحيث أنه لم يكن من الممكن تنفيذ هذا المشروع دفعة واحدة، فإن الصهاينة يقومون بتنفيذه على مراحل، مع مراعاة كانت دائماً تصب في نفس اتجاه الهدف الاستراتيجي.

-وقد مر هذا المشروع بمراحل متعددة نذكر منها ما يلي:

أ-شراء الأراضي في فلسطين والاستيطان فيها كأفراد عاديين واستمر هذا الوضع حتى الحرب العالمية الأولى.

ب-الحصول على وعد بلفور من الحكومة البريطانية في ١٩١٧/١١/٢ والذي تقول فيه "إن حكومة صاحب الجلالة تنتظر بعين العطف إلى

تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين".

ج-وفي خلال الانتداب البريطاني الذي امتد بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وحتى ١٥ مايو ١٩٤٨ ازدادت كثافة الهجرة اليهودية إلى فلسطين وارتفع عدد المستوطنين اليهود في فلسطين من ٥٠٠٠٠عام ١٩١٨ كانوا يمثلون ٧٪ من السكان إلى ٦٥٠٠٠٠ عام ١٩٤٨ يمثلون ٣٤٪ من السكان.

د- ومنذ إنشاء دولة إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ وحتى الآن ارتفع عدد اليهود في فلسطين إلى ٤مليون وسبعمائة ألف، ويمثلون ٨١٪ من السكان بينما يتراجع عدد العرب إلى مليون ومائة ألف.

هـ- واتسعت مساحة الأرض التي يحتلها اليهود باطراد لتصبح ٣٠٩٨١ كيلو متر مربع (٢٧٠٣١ كامل أرض فلسطين +١١٥٠ الجولان السورية+٢٨٠٠ الجنوب اللبناني) وإن احتلال سيناء عام ١٩٦٧ تم الانسحاب منها عام ١٩٨٢، هو انسحاب تكتيكي لا يعني مطلقاً أن إسرائيل تنازلت عن هدفها الاستراتيجي الذي يرمي إلى إنشاء دولة يهودية تمتد من النيل إلى الفرات.

السؤال الثالث:

ما هو تأثير الاتفاقات المبرمة بين إسرائيل وعدة أطراف عربية (كامب ديفيد، وادي عربة، اتفاقيات أوسلو) على مجرى الصراع العربي الإسرائيلي؟

الإجابة:

المستقبل البعيد في صالح العرب

-بداية نقول أن الصراع العربي الإسرائيلي هو صراع وجود، وليس صراع حدود، ولن ينتهي هذا الصراع إلا بانتصار حاسم يقوده المتشددون من الطرفين، وحيث أن موازين القوى الاستراتيجية تميل بشكل كبير في صالح العرب كما أسلفنا عند الإجابة عن السؤال الأول.. وحيث أن العرب يحظون بتعاطف مليار و٢٠٠ ميلون مسلم، بينما تحظى إسرائيل بتعاطف ٨مليون يهودي خارج حدودها فإن النتيجة الحتمية التي يمكن أن يتوصل إليها أي محلل استراتيجي محايد هي أن الانتصار النهائي لا بد وأنه سيكون في صالح العرب

في المستقبل البعيد. ومن المؤكد أن الزعماء الإسرائيليين والأمريكيين- ولا سيما الاستراتيجيون منهم- يعلمون هذه الحقيقة. ولذلك فإنهم يريدون أن يستغلوا حالة الضعف والتفكك التي تعاني منها الدولة العربية حالياً، وأن يستدرجوهم إلى التوقيع على معاهدات يعترفون فيها بحق الوجود لتلك الدولة اليهودية وأن يتنازلوا عن حق الوجود للعرب الذين كانوا يعيشون على أراضيهم منذ ألفي سنة.

-وما اتفاقيات كامب ديفيد، ووادي عربة، واتفاقيات أوسلو إلا تجسيداً لهذه السياسة الصهيونية الإمبريالية.. والتي تهدف جميعها إلى تقليص الوجود العربي لكي يحل محله الوجود الصهيوني. ونسي الزعماء العرب أو تناسوا أن التنازل عن أرض فلسطين ليس سوى مرحلة من المراحل سوف يتبعها توسع صهيوني آخر يهدف إلى إقامة الدولة اليهودية التي تمتد من النيل إلى الفرات. ومن المؤكد أن تلك المعاهدات في صالح إسرائيل لأنها بموجب تلك المعاهدات فإنها تأخذ ولا تعطي مما يقربها من هدفها الاستراتيجي- أما بالنسبة للعرب فإنهم يتنازلون عن حقوقهم دون مقابل، وبالتالي فإنه يباعد بينهم وبين هدفهم النهائي الذي سيقوده المتشددون في المستقبل.

عدم التوقيع هو السياسة الأمثل.

-وفي ظل هذا الزمن الردئ الذي نعيشه فإن عدم التوقيع على معاهدات جديدة، والعمل على إلغاء تلك المعاهدات القائمة هو السياسة الأمثل. إن التوقيع على تلك المعاهدات والاتفاقيات هو اعتراف بشرعية الاحتلال الصهيوني للأراضي العربية -في حين أن عدم التوقيع عليها لا يكسب هذا الاحتلال أي شرعية، ويترك الباب مفتوحاً أمام حركة النضال العربي من أجل استرداد أراضيهم.

السؤال الرابع:

-كيف ترون الربط بين الخاص الوطني والعام القومي من أجل بناء الجبهة الوطنية الشعبية العريضة لمقاومة المشروع الصهيوني سياسياً واقتصادياً وثقافياً؟

الإجابـة:

-ما من أحد منا يعيش في تلك المنطقة من العالم إلا وهو يخضع ويتأثر بالبيئة والمجتمع الذي يعيش فيه. تجاذبه عواطف متعددة بدرجات متفاوتة في دوائر أربع. الدائرة الأولى هي الأسرة والعشيرة التي نشأ فيها وترعرع فيها، والدائرة الثانية هي الوطن الصغير الذي ارتبط به وجدانياً وعاطفياً بحلوه ومره، والدائرة الثالثة هي القومية العربية التي وحدت بين وطنه الصغير والأوطان الأخرى المحيطة به في اللغة والتاريخ، فكانت وستكون له دائماً سنداً وقوة. ثم تأتي بعد ذلك الدائرة الرابعة وهي العقيدة الدينية التي بدونها يصبح الإنسان وتصبح الأوطان كالقشة تتقاذفها الرياح دون هدف، وإني لا أرى شخصياً أي تضارب بين هذه الدوائر الأربعة. بل أنه من الواجب علينا أن نربط بينها جميعاً في نسيج واحد بحيث لا نسمح لأحد من هذه العوامل أن يطغى أو أن يستبعد من هذا النسيج.

-إننا نعيش الآن في عصر التكتلات الكبرى. فلا مجال للحياة بالنسبة إلى الأوطان الصغيرة. فكيف يمكن لمجموعة من الأفراد يقل عددهم عن ١٥٠ ألف نسمة أن يشكلوا قطراً عربياً يستطيع أن يحافظ على استقلاله السياسي والاقتصادي والدفاع العسكري عن كيانه ضد الطامعين في ثرواته، بل أن ذلك أصبح ينطبق حتى على مصر التي يزيد عدد سكانها عن ٦٠ مليون نسمة والتي تعتبر أكبر دولة عربية. ولذلك فإن الانتماء إلى القومية العربية والدعوة إليها هو في صالح كل العرب وكل الأوطان العربية، حتى ولو أدى ذلك إلى التضحية أحياناً ببعض المصالح الوطنية الآنية- لأن العبرة هي بتحقيق المصالح القومية والتي لا بد وأنها ستحقق مصالح الجميع ولو بعد حين، وأن المبالغة في التمسك بالسيادة الوطنية والعزوف عن تقبل بعض التضحيات من أجل تحقيق أهداف قومية هو خطأ سوف يكون هؤلاء العازفون عنه أول من يكتوي بناره.

-ونأتي بعد ذلك إلى الخلاف القائم بين من ينادون بالقومية العربية مع استبعاد الإسلام من حلبة الصراع- وبين الذين ينادون بأن يكون الصراع الديني هو الأساس مع استبعاد القومية العربية من حلبة الصراع.

وكلاهما من وجهة نظري قد جانبه الصواب. فالعرب هم بمثابة القلب على خريطة الأمة الإسلامية من حيث الموقع الجغرافي- ويدين بالدين الإسلامي أكثر من ٨٥ في المائة من السكان العرب (أقل التقديرات للأقليات الدينية في العالم

العربي هي سبعة ملايين وأكثرها هو اثني عشر مليوناً)- وبالتالي فإنه من العبث أن نستبعد العقيدة الدينية- التي هي أمضى أسلحتنا- من حلبة صراع العرب ضد أعدائهم وأعداء الأمة الإسلامية- ويجب علينا ألا ننسى أن العرب أعزهم الإسلام عندما نصروه وانتصروا له.. وإنهم لم يذلوا ولم تتفرق ريحهم إلا بعد أن توقفوا عن اتخاذ الإسلام منهجاً ودستوراً، وإن حلف الناتو الإمبريالي بزعامة أمريكا قد أعلن على لسان ويلي كلايس WILLY KLAES أمين عام الحلف في يناير ١٩٩٥، أنه بعد زوال التهديد السوفيتي فإن العدو الأول للحلف هو المد الإسلامي- وبالتالي فليس أمامنا نحن العرب من سبيل إلا أن نتمسك بعقيدتنا الدينية لكي نتصدى إلى الهجمة الصهيونية الإمبريالية التي تتربص بنا- ولكن هذا لا يعني مطلقاً أن يستبعد العرب من غير المسلمين من حلبة الصراع ضد أعداء وطننا العربي الكبير.

السؤال الخامس

في رأيكم وعلى ضوء المستجدات السياسية الراهنة- كيف ترون أشكال الخروج من المأزق؟

الإجابة

تشخيص المرض

-نحن العرب في موقف صعب ومعقد. واحد وعشرون كياناً عربياً تتفوق إسرائيل على كل منهم تفوقاً كبيراً في جميع المجالات- ولكن إذا تم تجميع هذه الكيانات واجرينا مقارنة بينها وبين إسرائيل فإنها تصبح متفوقة على إسرائيل تفوقاً ساحقاً، ولكن هذا التجميع لا يمكن أن يتم إلا بموافقة الأنظمة العربية- والغالبية العظمى من الأنظمة العربية تعارض هذا التجميع لأنه سيؤدي إلى زوال الكثير من الأنظمة وتقليص ثروات بعضها من أجل إخوانهم الآخرين.

والشعب العربي لا يشارك في اتخاذ القرار الذي يتعلق بمصيره نتيجة لغيبة الديمقراطية والصهيونية والإمبريالية يعملان على ترسيخ تجزئة الوطن العربي، بل والعمل على زيادة هذه التجزئة بخلق دويلات عربية لا تستطيع أن تعيش إلا في ظل تبعية وولاء للقوى الأجنبية.

تحرير الإنسان العربي:

-إن تحرير الإنسان العربي ودفعه للمشاركة في اتخاذ القرارات المصيرية هو الخطوة الأولى للخروج من هذا المستنقع. ولن يتأتى ذلك إلا إذا تحققت الديمقراطية الحقيقية. ديموقراطية تسمح للشعب العربي بأن ينتخب حكامه ويحاسبهم ويعزلهم- كما يحدث في الدول الغربية- وذلك في إطار انتخابات نزيهة لا تزييف فيها. وعلى الشعب العربي في كل وطن عربي أن يكافح بكافة الوسائل المتاحة من أجل تحقيق هذا الهدف. وأن تحقيق هذا الهدف في دولتين أو أكثر سوف يؤدي إلى تعبئة مواردها من أجل تحقيق الهدف الأكبر وهو التصدي للهجمة الصهيونية الإمبريالية.. كما أنه سيكون نموذجاً حياً لكي تسير الدول العربية الأخرى على نهجه.

* * *

إجابات على الأسئلة المتعلقة بمرور نصف قرن على النكبة

أجوبة المناضلة الفلسطينية: ليلى خالد

السـؤال الأول:

للوقوف على أسباب الهزيمة وبالأحرى الهزائم المتكررة، لا بد من النظر للموضوع من جانبيه الموضوعي والذاتي.

وبالدرجة الأولى فإن طبيعة العدو الذي نواجه وطبيعة المشروع الذي خطط له ونفذ جزءاً منه هو بطبيعة الحال أحد الركائز الهامة في رؤية الهزيمة التي منينا بها.

إن العدو الذي نواجه يعتبر بحق أكبر حزب منظم في التاريخ وعلى المستوى العالمي، وأقصد بذلك الحركة الصهيونية، وهذه الحركة التي تم التأسيس لها على أيدي أناس نظروا لأنفسهم أنهم قادة العالم في المستقبل، أمثال هرتزل وجابوتنسكي وغيرهما، وقد استندوا في مشروعهم إلى أفكار توراتية وإلى أيديولوجيا مغرقة في رجعيتها، وكان لا بد من ترجمة هذه الأفكار بمشروع تمتد مساحته عبر العالم بتنظيم عالي المستوى ويجمع فيه يهود العالم أولاً، ويجند له كل التحالفات التي تتلاقى مع أفكاره، وكان لا بد من إيجاد قاعدة مادية لهذا المشروع للانطلاق منه ولتحقيق أهداف الحركة نفسها، وعليه فقد كانت الخطوة الأولى من أجل إنشاء هذه القاعدة هو التوجه لقوى دولية لدعم المشروع الصهيوني.

وقد وجد هذه المشروع مؤيدين له على رأسهم الدولة العظمى بريطانيا التي

كانت تستعمر نصف الكرة الأرضية، وبعد جهود حصلت الحركة الصهيونية على وعد بريطاني بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين سنة ١٩١٧، وهكذا كان، ومنذ إقرار ذلك الوعد ازداد العمل وبذلت كل الجهود لتحقيق هذا الهدف.

لم تكتف الحركة الصهيونية بهذا الوعد، بل لقد عملت على تجنيد قوى أخرى لتجسيد هذا الوعد، وعليه فقد استحصلت على قرار في الأمم المتحدة- أعلى هيئة دولية- بتقسيم فلسطين بحيث يتحقق الوعد بإنشاء القاعدة المادية للحركة الصهيونية- أي إقامة وطن لليهود في فلسطين.

وبطبيعة الحال فقد تم استغلال النازية إبان الحرب العالمية الثانية لتكثيف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ثم لاستخدام هذا الدور لإيجاد مزيد من التأييد لإقامة دولة لليهود.

وهكذا كان، فما أن انتهى الانتداب البريطاني لأرض فلسطين سنة ١٩٤٨ حتى كانت العصابات الصهيونية المتواجدة آنذاك في فلسطين تعلن عن قيام دولة إسرائيل، متسلحة بقرار دولي وبالوعد الذي تم الحصول عليه من بريطانيا.

ولا يفوتنا أن نذكر أن ثلاث قواعد الرئيسة حكمت الحركة الصهيونية في محاولاتها لتنفيذ الجزء الأول من مشروع إقامة الكيان:-

الأولى: امتلاك القوة العسكرية

الثانية: امتلاك المال

الثالثة: السيطرة على وسائل الإعلام

وهذا ما حصل فعلاً إذ أن تنفيذ قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين قد سبقه هجرات متكررة من اليهود إلى فلسطين، وإنشاء تنظيمات مسلحة ثم الاستناد إليها في مواجهة الحالة الشعبية الفلسطينية/ الرافضة للهجرة الصهيونية والمقاومة لها وللانتداب البريطاني الذي كانت قواته تدعم هذه التنظيمات المسلحة والتي اتخذت شكل العصابات الفاعلة في فلسطين.

ولست هنا بصدد الاستعراض التاريخي للحركة الصهيونية، ولكننا بصدد إبراز أهم الملامح لكي ندرك طبيعة هذا العدو.

لم تكتف الحركة الصهيونية بالإعلان عن قيام دولة إسرائيل، بل إنها اعتبرت ذلك البداية، فكان لا بد من تدعيم هذه الدولة بكل الإمكانات كي تصبح دولة عصرية تمتلك السلاح والمال والعلاقات لأن الهدف ليس فقط إنشاء الدولة، بل الاستمرار بها كقاعدة للانطلاق منها للهيمنة على المنطقة كلها، خاصة وأن

المنطقة العربيـة تمتلك أهم ثروة طبيعيـة -أي النفط- وقد استشرفت الحركـة الصهيونية أهمية هذه المنطقة استراتيجياً ولذلك عملت كل ما في وسعها وما زالت لتحويل الدولة العبرية إلى قوة تمتلك السلاح والتكنولوجيا كي تكون قادرة على الهيمنة على المنطقة، هذا بالإضافة إلى تمويلها بالبشر عبر استقدام اليهود من شتى بقاع الأرض للاستيطان في فلسطين.

ولتحقيق هذه الأهداف مجتمعة فقد خاضت الدولة اليهودية حروباً ضد العرب وعلى كل الجبهات وكسبت هذه الحروب، كما احتلت مزيداً من الأرض من خلال حروبها هذه.

لقد تلاقت أهداف ومصالح الحركة الصهيونية مع مصالح الاستعمار القديم، وكذلك الاستعمار الحديث المتمثل في أمريكا الدولة القوية بعد الحرب العالمية الثانية، فنسجت أوثق العلاقات بينها وتم تجنيد أمريكا لتقديم كل الدعم اللازم للدولة الجديدة.

وجرى العمل وما زال حتى يومنا هذا بين إسرائيل والولايات المتحدة على حماية المصالح المشتركة بينهما في المنطقة بكل الوسائل.

هذه هي باختصار صورة العدو ومشروعه في منطقتنا

فماذا كان على الضفة الأخرى في المواجهة؟؟.

لن ندخل في سرد تاريخي إلا أن عناوين مختصرة ستعطي الإجابة نحددها على النحو التالي، وذلك فيما يخص الحالة العربية:

١-حالة التجزئة والتي تعمقت على مدار السنوات الطويلة وصلت إلى حالة من القطرية البغيضة

٢-ضرب كل محاولات الوحدة العربية (مصر وسورية)

٣-اشتداد حالة القمع من قبل الأنظمة الحاكمة في مواجهة الحالة الشعبية الرافضة لواقعها المرير.

٤-غياب كامل للديمقراطية وضرب حقوق الإنسان في العالم العربي

٥-تبعية اقتصادية شبه كاملة للسوق الرأسمالية، وعدم امتلاك الثروات لتطوير صناعات وبنى رأسمالية اقتصادية تواكب العصر

٦-اشتداد حالة التآمر والضرب من قبل العسكر للحركة الشعبية

٧-معظم حالات النهوض ضربت وقمعت [الثورات المسلحة- الانتفاضة الشعبية في فلسطين]

٨-كافة الشعارات الثورية- السياسية أو الاجتماعية- لم تجد لها ترجمات فعلية في الواقع العملي.

٩-انهيار المنظومة الاشتراكية وتأثيرها السلبي على مجمل الحركة الجماهيرية العربية.

هذه الأسباب وغيرها قد جعلت إمكانية تطور المشروع الوطني العربي عامة والفلسطيني خاصة محكومة بالفشل، وبالتالي الانحسار الذي نراه في أيامنا هذه، مما يؤكد أن عوامل الهزيمة قد طال حتى الشعارات، وهذا بعد أن ثبت فشل البرامج التي وضعت للمواجهة.

فالمنطقة برمتها ما زالت تعيش إرهاصات كبيرة، وتحتاج إلى جهود استثنائية وكبيرة جداً لكي تعيد للمشروع الوطني ركائزه وروافعه الضرورية للنهوض من الحالة الراهنة إلى حالة أعلى تصبح إمكانية الخروج من المأزق مسألة واقعية.

السؤال الثاني

لا أعتقد أن المشروع الصهيوني بجوهره قد تغير، لكن أشكال تطبيقه ربما طرأ عليها بعض التغيير فمثلاً مسألة التوسع بالأرض أي الاستيلاء عليها بالقوة قد استبدلت بمسألة الهيمنة الاقتصادية.

وهذا نجد تجلياته في عقد معاهدات الصلح مع بعض الدولة العربية وإقامة علاقات مع البعض الآخر بهدف الدخول الاقتصادي معها للوصول إلى حالة من التطبيع شاملة.

وبالطبع مسألة امتلاك الأسلحة والتكنولوجيا تبقى قائمة ليس هذا فحسب بل تطويرها لحماية الإنجازات والمصالح التي تشكلت بعد إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين.

وقد تأكد هذا الأمر بعد انعقاد المؤتمر الأخير للحركة الصهيونية العام الماضي في سويسرا، حيث تم الاحتفال بأربع مناسبات:

١-مائة عام على إنشاء الحركة

٢-ثمانين عاماً على وعد بلفور

٣-خمسين عاماً على قرار التقسيم

٤-ثلاثين عاماً على توحيد القدس واعتبارها العاصمة الموحدة الأبدية

وقد رسم المؤتمر للمئة عام القادمة خطة جديدة تعزز الإنجازات التي تحققت من ناحية وإضافة أهداف جديدة لتعزيز هذه الإنجازات، وهذه الأهداف تتمحور حول مزيد من السيطرة وتعزيز النفوذ في المنطقة وفي العالم.

السؤال الثالث:

مما لا شك فيه أن الاتفاقات التي عقدت مع الكيان الصهيوني لها أكبر الأثر على مجرى الصراع العربي الصهيوني، ويتجلى هذا الأثر بتراجع البرامج التي تدعو إلى تحرير فلسطين من ناحية، وتعقيد الظروف لأية قوى ما زالت تحمل مشروعها الوطني من ناحية ثانية.

ويكفي القول أنه قد تم للحركة الصهيونية ما أرادته من هذه الاتفاقات، أي الاعتراف بحقها في الوجود على الأرض العربية في فلسطين، وضرب كل قرارات الشرعية الدولية، مما يحيل حقوق الشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير أمراً بعيد المنال.

وعلى الرغم من كل هذه الاتفاقات فإن عوامل الصراع نفسها لم تنته، فما زالت إسرائيل ترى في نفسها القوة الأولى في المنطقة التي تعمل على ضرب أية عوامل نهضوية.

ومما يؤكد ذلك أي بقاء الصراع- هذه الممانعة الشعبية لنتائج الاتفاقات المبرمة. إذ لم تستطع هذه الاتفاقات فرض حالة التطبيع مع هذا الكيان من قبل الجماهير العربية إضافة لحالة الممانعة الشعبية للتطبيع في مصر والأردن.

وهذا سيكون له أثر في حالة اشتداد الصراع لاحقاً، لكنه سيكون محاطاً بظروف أعقد مما كان عليه الحال قبل توقيع هذه الاتفاقات مع الأنظمة.

السؤال الرابع:

إن مقاومة المشروع الصهيوني سياسياً واقتصادياً وثقافياً يحتاج بالدرجة الأولى إلى قوى صلبة البنيان ذات برامج واضحة تحدد فيها خطط عمل ترصد لها كل الإمكانات لتحويلها إلى واقع وهذه القوى لا يمكن لها النهوض دون عملية

مراجعة شاملة للمرحلة السابقة واستخلاص دروسها حتى تتمكن من المضي قدماً بهذه البرامج.

فعلى الصعيد السياسي لا بد من وجود جبهات قطرية للقوى الوطنية لها برنامج من شقين، برنامج وطني خاص وبرنامج قومي عام تكون بنوده منسجمة مع بعضها البعض.

وبعد ذلك تطوير أية محاولات قومية للارتقاء بها إلى جبهة شعبية عريضة تضم في صفوفها كافة القوى المناهضة للمشروع المعادي بكل أبعاده مع توفير مقومات الصمود بالدرجة الأولى للوصول إلى مرحلة الهجوم والاشتباك مع المشروع في كافة المجالات وعلى كافة الصعد، مع تجنيد كافة الطاقات لإحداث اختلال في ميزان القوى لصالح هذه الجبهة العريضة هذا من جهة، ومن جهة أخرى بذل كافة الجهود للإطاحة بهذه الأنظمة السياسية التي تحمل عصا القمع وتمنع حالة النهوض المنشودة.

إن السيطرة على الثروات في المنطقة العربية من قبل الجماهير وقواها الحية هي الهدف الذي يجب أن تسعى له حتى تكون قادرة على المواجهة على الصعيد الاقتصادي من ناحية أخرى.

وبطبيعة الحال فإن المواجهة على المستوى الثقافي سيكون لها الأثر الفعال في تعبئة الجماهير في عملية الاختراق الذي أحدثها المشروع الصهيوني عبر اعتراف الأنظمة لكيانه والتعامل معه يكون كجزء طبيعي من المنطقة، فالجبهة الثقافية ضرورية لتثمينها خاصة في هذه المرحلة فهي آخر القلاع الآن، والحفاظ عليها من الاختراق هي مهمة وطنية لكل الوطنيين.

كل هذا من جهة، ومن جهة ثانية لا بد من العمل على الصعيد الدولي كي تجد هذه الجبهة لها تحالفات ومؤيدين تناصرها في مواجهتها للمشروع الصهيوني، تماماً كما كان الحال إبان الحقبة النازية، فقد تضافرت الجهود الدولية من أجل إنهاء النازية كوجود عسكري وكإيديولوجي. وبدون ذلك فستبقى الأمور تراوح في مكانها، وعلى العكس فسوف تتراجع.

السؤال الخامس:

إن الخروج من المأزق الراهن يحتاج لجهود استثنائية، وقوى استثنائية أيضاً ذات برامج علمية قادرة على حشد كافة الطاقات من أجل تحويل هذه

البرامج إلى واقع علمي.

ولا يمكن الخروج من المأزق دفعة واحدة بل بخطوات متدرجة وثابتة. وكما أشرنا في السؤال السابق فإن جبهة شعبية عربية عريضة مطلوبة وبإلحاحية شديدة تتجاوز فيها حالة القطرية في كافة أنحاء الوطن العربي.

إن ترجمة مقولة التكامل العربي على المستوى السياسي والاقتصادي هي مسألة ضرورية أيضاً لمواجهة المخاطر التي تتهدد كافة الوضع العربي.

كما أن الديمقراطية كأسلوب حياة مطلوب إشاعتها في نظمنا وإدارة شؤون مجتمعاتنا سوف يؤهل قوى فتيه قادرة على النهوض بأوضاع عالمنا العربي، وتكون قادرة على إنجاز المهام الكبيرة والخروج من المأزق الذي نحن فيه.

مسألة هامة أخرى تحتاج هي الأخرى لمزيد من التفعيل ألا وهي مقاومة كل أشكال التطبيع مع الكيان الصهيوني، بحيث تصبح هذه المقاومة مقدمة لمقاومة أشمل وهي مقاومة المشروع الصهيوني برمته. وهذا يقودنا للقول أن إبقاء الاشتباك دائماً مع العدو لإحداث اختلال في ميزان القوى لصالح جماهيرنا العربية هو ضرورة وحاجة من أجل إحداث النهوض بتراكم إنجازات صغيرة تصبح لاحقاً انتصارات تؤدي إلى النصر الكامل على المشروع المعادي.

* * *

أجوبة الدكتور أحمد برقاوي

كاتب وناقد، أستاذ الفلسفة في جامعة دمشق.

السؤال الأول:

لماذا هزمنا؟ سؤال تتطلب الإجابة عليه رصداً لكل تاريخنا المعاصر، ولشروط واقعنا التي أنتجت الهزيمة. وهذا أمر ليس بيسير. أما وأنه لا بد من الإجابة فلنختصر قائلين:

إذا ما عنينا بالهزيمة، انهيار المشروع القومي العربي أو إخفاقه في إنجاز أهدافه، فإن للهزيمة معنى يختلف عن معنى الهزيمة إذا ما عنينا بها هزائمنا الحربية العسكرية مع العدو الصهيوني.

ومعنى الهزيمة أيضاً مختلف، إذا ما عنينا به عجز الثورة الفلسطينية في استمرارها بالكفاح ودخولها لعبة التسوية من موقع الضعف الذي أدى بها إلى أوسلو وتبعاته.

في المعنى الأول: فإن القضية أعقد مما نتخيل، وآلية ذلك أن الإخفاق هنا مصدره بنية المجتمع العربي، التي هي بالأصل بنية ما قبل الأمة.

أي أن البنى التقليدية: العشائرية المناطقية الطائفية، مع ما تحمله هذه البنى من أنماط من القيم والأفكار، وقعت في تناقض مع مشروع قومي يسعى نحو تجاوزها ولأن تجاوزها حركة موضوعية أساساً فإن الأيديولوجيا وحدها غير قادرة على تغيير الواقع بمجرد الرفض.

ولهذا، فإن التناقض بين الأيديولوجيا والتاريخ قد أدى في النهاية إلى ظاهرة الإخفاق، التي يعتقد البعض أنها مجرد إخفاق أفكار لا إخفاق واقع.

هذا ناهيك عن أن أية قوى طبقية صاعدة لم تظهر بوصفها حاملة لواء

المشروع، وإن مشروعاً لا تقف وراءه قوة طبقية صاعدة أو تحالف طبقي صاعد، لن يصيبه النجاح.

فالأفكار وحدها لا تصنع التاريخ أيضاً.

وبالتالي فإن القوى ذاتها التي تبنت المشروع القومي وجدت نفسها في إطار الصراعات الواقعية والنزوع نحو السلطة، قد عادت إلى بناها التقليدية.

في المعنى الثاني للهزيمة: فإن أحداً لا يستطيع عزله عن الواقع العربي ذاته الذي خلق الحقل الطبيعي للهزيمة. أي أن انتصار عدونا القومي، ليس ناتجاً عن قوته فقط، بل عن حالة العرب أيضاً.

من هذه الزاوية فإن حروبنا الخاسرة مع العدو هي التعبير العملي عن حالتين: حالة الدولة القطرية المناقضة لمفهوم المصلحة الوطنية، وحالة التخلف المتنوع والذي لا انفصال بينه وبين بنية الدولة القطرية.

وفي المعنى الثالث للهزيمة: يجب الاعتراف، بأن شرطين أساسيين قد مهدا السبيل إليها، أي إلى الهزيمة الفلسطينية.

الحالة التي ذكرنا من وضع عربي، وحالة الثورة ذاتها التي عكست بسلوكها وطبيعة عملها وطريقة تحكمها حالة الوضع العربي ذاته. أنها وقد وجدت نفسها بعد سنين من الكفاح العملي عزلاء من مصادر القوة الداخلية والقوة العربية. في وضع كهذا من الضعف ما كان يمكن ل.م.ت.ف التي تتحكم بها قيادة بيروقراطية أن تنجز انتصاراً يحقق أحلامها الكبيرة. وهي إذا اعتقدت أن أحلاماً صغيرة قابلة للتحقق اصطدمت بأحلام الصهيونية الأكبر. حتى بدت أحلامها الصغيرة هي الأخرى صعبة المنال.

فالنزعة الكلانية المسيطرة على سلوك المنظمة حالت دون جبهة شعبية عريضة. وجسدت التشرذم المميت في العمل الوطني، معتقدة أن الخارج قادراً على تحقيق ما لم تستطع تحقيقه.

السؤال الثاني:

أعتقد أن المشروع الصهيوني كحركة وأيديولوجيا هو الآخر يعاني من أزمة شديدة. ومصدر الأزمة قائم في أن الدولة الغريبة التي نشأت في ظروف عالمية ومحلية تاريخية محددة تجد نفسها في ظروف عالمية وداخلية جديدة.

إنها إذ تحتفظ بأيديولوجيا خلقت عصبية في لحظة من اللحظات فإنها

تتجاهل حياة الأيديولوجيا ذاتها.

فالأيديولوجيا التي انتصرت كفت عن أن تكون أيديولوجيا مستقبل لأنها تنهزم بانتصارها.

ولهذا فإن مأزق المصير الذي يشغل وعي الدولة الصهيونية هو ظاهرة لم تكن بالأصل حاضرة سابقاً.

ويتعين مأزق المصير في سؤال: ما هو مستقبل وجود دولة غريبة مرفوضة بالمنطقة؟ هنا، فإن الصهيونية لا تستطيع الإجابة على سؤال كهذا.

لأنه ليس من قبيل الأسئلة التي تجيب عليها الأيديولوجيا وإذا يتحصن الصهيوني بصهيونيته فإنه لا يستطيع أن يجيب إلا بالقول: سأبقى هكذا عنوة وبالقوة.

ولكن تناسب القوى متغير، كما هو متغير أيضاً وعي الناس. وبالتالي فإذا كانت الحرب أو الاستعداد للحرب ونفي الآخر هي المصير النهائي للدولة اليهودية، فإن مصيراً كهذا هو ولا شك قائم إلى حد بعيد على المستوى التاريخي.

إن الصهيونية غير قابلة للتغيير، وكل محاولة لتجديدها هو نفيها. ويجب أن لا نرى في مواقف بعض القوى اليسارية في "إسرائيل" تغيراً في الأيديولوجيا الصهيونية، بل انحيازاً عنها.

السؤال الثالث:

إن أية اتفاق أو اتفاقيات تعقد بين "إسرائيل" وأية دولة عربية أو طرف عربي في ظل غياب توازن القوى الحاصل الآن، هو اتفاق يعزز من قوة إسرائيل ويمدها بأسباب السيطرة.

والدولة القطرية اللاوطنية، التي لا تأخذ مصالح البشر بعين الاعتبار، إنما تعقد الكفاح الوطني العربي والفلسطيني، إذ تسوره باتفاقات لا متكافئة، وباسمها يمكن أن يزداد القمع للحركة الوطنية المناهضة "لإسرائيل".

ومع ذلك لا أظن أن ما أبرم من اتفاقات من قبل أطراف عربية مع العدو: أمر سيلغي الصراع، بل قد يخفف منه الآن.

ولما كانت المنطقة العربية غير مستقرة. وعرضة لهزات سياسية، أعتقد أنها قادمة لا محال، فإن مصير هذه الاتفاقات ستحددها الحركة اللاحقة للتاريخ.

السؤال الرابع:

أعتقد أن مشكلة المشكلات الراهنة للعرب ليس هو الربط بين الخاص الوطني والعام القومي، بل مشكلة الدولة القطرية ذاتها.

وبالتالي قبل التفكير في بناء حركة وطنية شعبية عريضة لمقاومة المشروع الصهيوني، أي إسرائيل، فإن علينا أن ننجز مهمة قيام الدولة الوطنية الديمقراطية. وفي عملية الكفاح من أجل قيام الدولة الوطنية الديمقراطية في كل قطر من الأقطار، فإن تحالفاً بين القوى الوطنية الديمقراطية قد ينشأ مع الزمن. طارحاً بالضرورة سبل الخلاص المتعددة، الخلاص من أشكال الاضطهاد، سواء الذي تمارسه الدولة القطرية، أو الذي يمارسه العدو القومي، وإذا كان البعض يرى مثلب الحركة القومية في عدم أخذها بعين الاعتبار الخصوصية القطرية فإن: إن كان حسن النية قلنا: أن الخصوصية التي يبالغ بها الآن محدودة التأثير. إنما يراد بها أن تكون علاقة تمايز.

أية خصوصية ثقافية أو اجتماعية لكل بلد من بلدان المشرق العربي، وخاصة بلاد الشام والعراق. أننا إذ لا ننفي الخصوصية، فإننا لا نعتبرها عامل سلب للكفاح.

ولكن الكفاح محكوم بدولة هي الآن ذات سيادة مزعومة. من هنا تبرز خصوصية الكفاح في كل قطر عربي.

وهي ليست خصوصية ثقافية، تحدد تمايزاً مطلقاً بين أقطار الوطن العربي.

وعلى أية حال، فإن الكفاح الوطني هو بالضرورة كفاح قومي. وإذا انتصر مفهوم الوطن والمواطن فإن ذلك سيكون انتصاراً لمفهوم الأمة.

وبالتالي ستولد بالضرورة، حركة عامة وستجد نفسها أمام أهداف كبرى. وتعيد إنتاج المشروع القومي في ضوء إنجازاتها، لا في ضوء خصوصياتها.

السؤال الخامس:

لأن المشكلة الراهنة هي مشكلة السلطة السياسية في الوطن العربي بما يتمخض عنها من نتائج مجتمعية وسياسية واقتصادية. فإن الخروج من المأزق الراهن يحتاج إلى جملة توسطات. أهم توسط منها تفكك العلاقة بين الدولة والثورة والدولة والملكية أقصد بفك العلاقة، أن لا تعود الدولة وسيلة للثورة، ولا

تغدو الدولة ملكية خاصة لفئة أو لفرد.

وهذا يتطلب قبل كل شيء كفاحاً من أجل الديمقراطية، هذا الكفاح في صورته العامة يجب أن يكون شعبياً وليس نخبوياً، أو سرياً.

إنه كفاح علني، يبدأ من الأحزاب مروراً بالعصيان وانتهاءاً برمي الحجر.

والدولة ليس باستطاعتها أن تقمع حركة شعبية واسعة إلى ما لا نهاية، لا سيما وأنها دولة، رغم كل أدوات القمع التي تملكها هي ضعيفة، بل إن ضعفها هو الذي يفسر استشراس قمعها.

إن الحركة الشعبية داخل كل قطر، وبالعلاقة مع الأقطار الأخرى، وهي تطرح كل مشكلاتها مشكلة الخبز والحرية والاستقلال والكرامة الوطنية والتحرر، والمواجهة مع العدو القومي، فإنها تحقق تدريجياً الأهداف التي بمقدورها أن تحققها. أي لا تستطيع حركة شعبية داخلية أن تحقق كل ما تريد دفعة واحدة. إن توسطات الأهداف وتوسطات النجاح، وتوسطات الإخفاق، كل ستصب في لحظة التحرر الضرورية تاريخياً.

أجوبة الأستاذ/ أمين اسكندر

منسق عام الحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية ومقاطعة (إسرائيل) في مصر

السـؤال الأول:

في اعتقادي أن أسباب هزيمتنا كمشروع نهضة وتحرر عربي، وفي القلب منه مشروع تحرير فلسطين يرجع إلى:

أ- بنية التخلف العربية، تلك البنية المجتمعية الشاملة التي ما زالت واقعة في أسر الخرافة والأسطورة على محور طريق التفكير، والتداخل الطبقي الاجتماعي وعدم التبلور على محور المجتمع وهشاشة الهوية وعدم نضجها على المستوى الحضاري، وتحكم الفكر الماضوي في التفكير المستقبلي، والصراع بين البادية والحضر على مستوى الأمة.

ب-عدم الإيمان بالعلم، وبالتالي بالتخطيط العلمي، طويل المدى، ولعل ذلك قد كشفت عنه كافة المعارك التي هزمنا فيها، كما كشفت عنه حياتنا اليومية وطريقة تفكيرنا ومدى ما نصرفه ونعطيه من اهتمام بالتعليم والبحث العلمي في كافة أقطارنا العربية ومدى ملاءمة المناخ العام للبحث العلمي واشتراطات إبداعه التي تبدأ بالديمقراطية ونسبية الحقيقة من أجل سيادة العقل والعقلانية.

ج-عدم الإيمان بالديمقراطية

وتلك قضية معقدة، تبدأ من بنية المجتمع العربي نفسه، والشخصية العربية التي تحتاج إلى مخطط طويل المدى (حضاري وثقافي وعقلاني) يستهدف تخليص تلك الشخصية وذلك المجتمع من السلبيات التي تراكمت بفعل التاريخ والجغرافيا، والتي تراكمت من جراء الفشل في

معالجة الإشكاليات المتعددة التي يعاني منها الواقع العربي المعاش. كما أن قضية الديمقراطية تحتاج إلى نضال طويل بعد الإيمان بها، وتحتاج إلى تأهيل يبدأ بالمدرسة ومناهج التعليم، وينطلق من الأسرة ولا يقف عند دور وسائل الإعلام والأحزاب السياسية، كما أنه لا ينتهي عند تداول السلطة، أنها طبيعة حياة وسلوك بشر. لذلك كان من الطبيعي أن نفتقد الرأي الآخر، والطرف الآخر، وجدل التطور والتقدم الناتج من صراع الأفكار مع الواقع، وصراع الواقع مع الأفكار، كما أننا فقدنا نسبية الأفكار البشرية لتمسكنا بإطلاقية الشمولية والواحديه والتبسيطية التي نزعت لتسييد حل واحد صحيح لأي مشكل، لكن الحقيقة في عالمنا الإنساني مركبة وإنسانية وابنة بيئة متعددة الدرجات والمستويات ولا ينتج عن ذلك سوى حلول متعددة حسبما تفرز العوامل المتعددة المشتركة في تفسير الظاهرة –المشكل، وبالتالي فلا بد أن تكون نسبية.

د–الفشل في تنشئة طليعة عربية مؤمنة بقضايا الأمة: لعل ذلك يتبين لنا من تقويم مسيرة النضال العربي ومقارنتها بالصفوة الصهيونية التي عملت من أجل مشروعها الاستيطاني الاستعماري العنصري الصهيوني حيث نرى أولاً: إيمان مكثف بغاية وهدف حتى ولو كان ضالاً وترى بعد ذلك إرادة فولاذية لإعماله، ونرى توظيفاً وتكاملاً للأدوار والمفاعيل من الرجال حتى البلدان ونرى تفكيراً علمياً لدخول المستقبل وتحدي الواقع متكامل مع تفكير خرافي أسطوري لتأسيس وقائع الماضي من أجل صناعة الجذور وبالتالي تغذية الغاية والهدف.

أما عن أمتنا العربية، رغم قدم التاريخ إلا أنه ما زالت تعيش عصر وحالة التفاخر والتباهي، دون أن تعيش القدرة على الاستمرار واختراق المستقبل، ورغم كافة الإمكانيات التي لدينا لكن ما زلنا نعيش الهدر الذي يصل إلى خيانة الأمانة. فشلنا في تحديد الهدف بدقة وفشلنا في توظيف إمكانياتنا لصالح ذلك الهدف وفشلنا في سياسة النفس الطويل، واعتبرنا النضال لمدة أربعين عاماً أو أكثر تضحيات كبيرة جداً، واستشهاد الآلاف منا إراقة للدماء، وتناسينا بعمد أو نسينا بجهل أن التاريخ طويل جداً، وأن مسيرة التطور تحتاج إلى الإرادات القوية والعقول المبدعة، وأن الحياة نفسها صراع مع الواقع والطبيعة والمثل والقيم. من أجل كل ذلك ظهر عندنا وفي صفوفنا من يئسوا من أحوالنا فتعرضوا لاختراق منظم من قبل إنجازات العدو، وظهر من عندنا من تنكر لحقوقنا ووقع

صكوك التنازل عنها، وظهر من عندنا من تحالف مع العدو على المستوى السياسي والعسكري وحتى الثقافي.

لكن علينا أن نتذكر الوجه الآخر، حيث ظهر من عندنا من استشهد ومن سوف يستشهد ومن يقاوم على كافة المستويات. لكن الأمر في النهاية يتوقف عند فشل مسيرة النضال العربي من ١٩٤٨ حتى الآن في القدرة على تنشئة أجيال عقائدية صلبة لا تفرط في الحقوق ذات نفس نضالي طويل، قادرة على امتلاك ناصية العلم وبالتالي المستقبل. فما زالت قوانا ونخبنا وطلائعنا العربية مختلفة ما إذا كانت عربية أم لا؟ وما زالت سلطاتنا غير شرعية (بمعنى تحقيق ما يجمع عليه مواطنيها)، وما زلنا غير قادرين على الوقوف على المشترك الناتج من جغرافيا وتاريخ تلك الأمة.

من المؤكد أن تلك العوامل المشتركة أثرت كثيراً على المشروع الفلسطيني، لكن بالإضافة إلى ذلك هناك انزلاق حدث من الطليعة الفلسطينية، معظمها إلى الإقليمية والنزوع إلى الفلسطينية عن عمد أو عن غفلة حقيقية الصراع وتشابكاته وهوية فلسطين وجغرافيا الحدود والأمن المشترك ومركزية القضية. كما أنه حدث انزلاق آخر نحو الربط الوثيق بين الثورة الفلسطينية والدولة الإقليمية في الأقطار العربية، مما رتب العاب المخابرات والأجهزة، والأهم من ذلك كله البداية غير القومية لأداة النضال الفلسطيني. ولعل ما كشفت عنه مسارات التسوية يؤكد لنا مدى الربط الذي تم وسوف يتم بين الكيان الفلسطيني الوليد والمشروع الصهيوني الشرق أوسطي.

السؤال الثاني:

المشروع الصهيوني لم يتغير نحن الذين تغيرنا.

ما زالت الأسطورة هي التي تسيّر هذا المشروع، وما زالت العنصرية هي الحاكمة لذلك المشروع، فهم شعب الله المختار وباقي شعوب الأرض أغيار، وما زال الاستيطان هو جوهر الفكرة الصهيونية، وما زالت الحركة استعمارية بمعنى الاستيلاء على الأرض وعدم وجود حدود ثابتة، بل ما زالت هي أشرس وأقسى أنواع الاستعمار، حيث لا أمد له وإنما ادعاء دائم بالحق والإقامة عليه وطرد أصحابه، وما زالت القوة هي المهيمنة على سلوك هذا المشروع، من القوة النووية إلى قوة التعذيب في السجون بقانون. إذن ما الذي تغير؟

الهدف مـا زال هـو هـو، والمراحـل متعددة حسبما ينتـج الظـرف والبيئـة، والأدوات والسلوك مـا زالـت هـي نفسـها أدوات وسلوك المراحـل الأولـى مـن الاستيطان الصـهيونـي. عنـف وطـرد وتهجير قسـري واسـتيلاء علـى الأرض وتهويد الأمكنة.

حتى بعد نجاح تلك الحركة في توقيع معاهدات واتفاقيات للتسوية و(السلام) نستطيع أن نؤكد أن مرحلة جديدة قد بدأت تستهدف الهيمنة علـى المنطقـة ككـل، وتستهدف السيطرة على مقعد قيادة هذه المنطقة وتستخدم نفـس الأدوات القديمـة، مضافاً إليها السيطرة والغزو الثقافي والاقتصادي موظفـة فـي ذلـك بيئـة مـا بعـد الحرب الباردة.

السـؤال الثـالث:

-تأثير الاتفاقات المبرمة بين إسرائيل وعدة أطراف عربية.

أ-تجزئة وأقلمة الصـراع العربي الصهيوني وتحويله إلى نزاع مصـري- إسـرائيلي وسـوري -إسـرائيلي، ولبنـاني- إسـرائيلي، أردنـي- إسرائيلي، وفلسطيني- إسرائيلي.

ب-تجزئة واختراق للأمن القومي العربي وذلك عبر:

أولاً: الربـط باتفاقيـات تنص علـى أن تلك الاتفاقيـات هـي بمثابـة آخـر الحروب

ثانياً: إلزام التطبيع بين كل من إسرائيل وكل دولة عربية.

ثالثـاً: إلزام كـل دولـة عربيـة وقعـت تلـك الاتفاقيـات بالتعـاون الأمنـي المشترك

رابعاً: إلزام كل دولة عربية وقعت تلك الاتفاقيـات بـنزع السلاح وتحديد حجم تسليحها ونوعيته لمناطق حدودية معينة مثلما حدث في سيناء حيث تم تقسيمها إلى مناطق (أ، ب، جـ، د) وكل منطقة لها تسـليح معين متفـق عليـه، وعدد مـن القوات ومحظـور عليهـا إدخـال أي شيء آخر على تلك المنطقة سواء معدة أو فرد زيادة وتمـر قـوات مشتركة وتابعة للأمم المتحدة للتفتيش.

خامساً: اختراق بوابات الأمن العربي من برية وبحرية فهناك بوابة الأمن البرية الواقعة على الأرض في شرق الوطن العربي والجامعة لكل

من العراق وسورية وفلسطين ولبنان وهي البوابة الفاصلة الواصلة بين الحضارة الغربية الأوروبية والتركية والفارسية من جانب آخر، وهي بوابة تأخذ شكل القوس الممتد من رأس الخليج العربي لفلسطين ولعلها من أهم بوابات أمتنا العربية، حيث يتجسد فيها بشكل واضح تعانق الأمن القطري مع الأمن القومي بشكل لا فكاك منه.

وبقليل من التأمل، سوف نكتشف العلاقات والروابط العضوية بين بوابات أمن الصراع العربي الصهيوني وبوابات أمن الوطن العربي.

فالخط الأول: سلسلة جبال طوروس، والخط الثاني: فلسطين، والخط الثالث: سيناء وتلك هي خطوط الدفاع عن الجبهة الشرقية للوطن العربي، وهي، إحدى بوابات مصر في الصراع العربي الإسرائيلي، وبعقد كامب ديفيد بين (إسرائيل) ومصر، وكل من الاتفاقيات التي وقعت بين كل من منظمة التحرير الفلسطينية والأردن وإسرائيل فقد تم اختراق واسع لتلك البوابة الشرقية، أما بوابة الصراع الثانية هي بوابة باب المندب الواصلة بقناة السويس مما يجعلها خطاً حاكماً في البحر الأحمر وهي قناة الوصل بين المحيط الهندي والبحر المتوسط والذي عن طريقه تمر العلاقات الاقتصادية والتجارية بين قارة آسيا و(إسرائيل) والغرب الأوروبي و(إسرائيل) ويكشف غلق باب المندب في حرب أكتوبر ١٩٧٣ عن أهمية ذلك المحور، وهكذا بعد اتفاقيات التسوية تلك أصبح لبوابات، الأمن العربي دوراً مختلفاً عن دورها في زمن الحرب، في الحرب تكون خاضعة للجيوش والمعدات العسكرية، أما بعد التسوية فهي خاضعة للمنتجعات السياحية والمشروعات الترفيهية، وهي مناطق رخوة تمتد فيها شبكة التعاون بين إسرائيل وكل دولة على البر وفي البحر وتلك أخطر نقاط الاختراق الذي تم.

خامساً: التمهيد منذ كامب ديفيد حتى الآن وعبر كافة الاتفاقيات التي وقعت بتغير خريطة المنطقة لصالح إسرائيل والعمل على تغير هوية المنطقة لصالح دمج إسرائيل وهذا ما عرف بعد ذلك بالشرق الأوسط الجديد.

سادساً: تفريغ المنطقة من القوة العربية أو ذلك عبر تحييد القوة الأمريكية وإخراجها عن طريق معاهدة كامب ديفيد، وربطها بمنظومة التسليح الأمريكية والتدريبات المشتركة والربط بين المعونة الأمريكية لمصر لتوريد الأسلحة للجيش المصري، وهذا بالإضافة إلى إلحاق الأردن والكيان الفلسطيني بإسرائيل

عبر المعاهدات والضمانات وتنسيق الأجهزة الأمني وإدخال الولايات المتحدة طرف في تلك التعاقدات.

بعد كل ذلك نستطيع أن نؤكد أن تلك الاتفاقيات قد ألحقت بالمستقبل العربي كثيراً من القيود شديدة الوطأة على الأجيال القادمة.

السؤال الرابع:

-الربط بين الخاص الوطني والعام القومي من أجل بناء الجبهة الوطنية الشعبية، في اعتقادي لا بد أولاً من تقويم مسيرة النضال العربي منذ ٤٨ حتى الآن، حتى يتبين لنا الصالح من الطالح على مستوى العقائد والبرامج والقوى والرجال، فلم يعد صالحاً أن تمارس نفس الممارسات بنفس الأخطاء، لم يعد صالحاً أن تتمسك بعض القوى حتى الآن بقرار التقسيم وموقفها المؤيد له، لم يعد صالحاً أن تؤيد بعض القوى مواقف منظمة التحرير الفلسطينية أياً كانت بحجة إنها صاحبة المصلحة والمعبّر الوحيد عن الشعب الفلسطيني، لم يعد صالحاً أن تخلط بعض القوى الفلسطينية بين شرعية مقاومة ما هو قائم وبين الحفاظ على الأدوات النضالية.. الخ.

ومن خلال ذلك التقويم، ومن خلال إيماني بالمبدأ القومي، أرى أننا مطالبون أولاً ببناء الحركة العربية الواحدة على المستوى القومي، وبناء التحالفات والجبهات الوطنية على المستوى القطري، على المحور الأول تكون القضية وأجندة الأعمال:

١-تجسيد العمل على بناء الوحدة من أسفل أي بمشاركة الجماهير والعمل على خلق وبناء مؤسسات شعبية وحدوية.

٢-تبني إستراتيجية لمقاومة الصهيونية ومقاطعة إسرائيل .

٣-تبني إستراتيجية جديدة لحركة تحرير فلسطينية جديدة .

أما أجندة أعمال المستوى الوطني:

١-النضال الديمقراطي .

٢-مقاومة التطبيع .

٣-العمل على إيجاد قواسم مشتركة بين القوى والفاعليات السياسية وبالذات الأجيال الجديدة.

٤-تبني مشروع ثقافي للمقاومة يكون بديلاً عن ثقافة السلام.

السؤال الخامس:

-ما هي أشكال الخروج من المأزق: أولاً، لا بد من توفر قوى تكون قادرة على نقد المسيرة وقادرة أيضاً على الاستعداد للتخلص من الأدوات التي تأكد فشلها مهما كانت تاريخيتها، فلا قداسة للأدوات.

بعد ذلك تكون هناك مبادرة تأتي من مرجعية لها مصداقية لتقديم ورقة أو أوراق حول تقويم مسيرة النضال العربي.

بعد ذلك لا بد من تشكيل الحركة العربية الواحدة على المستوى القومي، ولا بد من عقد مؤتمر لحق العودة تجتمع فيه القوى الفلسطينية والقومية المؤمنة والقادرة على بداية طريق نضال ثوري جديد منسق الصورة وبناء حركة تستند إلى حق العودة للاجئين إلى ديارهم.

أمين اسكندر

منسق عام الحركة الشعبية لمقاومة الصهيونية ومقاطعة (إسرائيل)

قيادي ناصري

مؤلف كتاب: عبور الهزيمة: ذاكرة ورؤية

محرر: تحالف كوبنهاجن- رؤية نقدية.

١٩٩٨/٣/٥ الخميس.

* * *

إجابة املي نفاع

رئيسة جمعية النساء العربيات، نشطة أردنية في مجال حقوق المرأة.

السؤال الأول: لماذا هزمنا؟ وأية عوامل ترونها أسباباً في انحسار المشروع الوطني الفلسطيني بدءاً من تحرير كامل فلسطين وصولاً إلى المرحلة الراهنة؟

الجواب: لم نهزم لأن قضيتنا خاسرة أبداً، قضيتنا عادلة. ولكن القضية العادلة حتى تنتصر يتوجب أن تهيأ لها المقومات الأساسية لكي تنتصر، وهذا الذي لم يتوفر لنا، ولم نكن مؤهلين له. لم نتعامل مع قضيتنا منذ البداية بعقلية علمية موضوعية تبني الأساس المتين للانتصار. ومن أهم أسباب الاخفاقات التي لحقت بقضيتنا، عدم توفر القيادة الواعية القادرة على تعبئة الجماهير وكسب الرأي العام العالمي على أساس برنامج كفاحي يوحد قدرات وطاقات الشعب الفلسطيني لمواجهة التآمر البريطاني المكشوف والهجرة اليهودية غير الشرعية إلى فلسطين –تلك الهجرة التي جرى التهيئة لها ودفعها من خلال أساليب متعددة شارك فيها قادة الحركة الصهيونية.

لم تدرك جميع القوى الوطنية الفلسطينية، في هذا الوقت المبكر، بأن المعركة الأساسية يجب أن توجه ضد الوصايا البريطانية من أجل الاستقلال الناجز لفلسطين والتصدي للهجرة اليهودية إلى الأراضي الفلسطينية ولم تتبين طبيعة موازين القوى على حقيقتها.

هذا بالإضافة إلى الوضع العربي الذي كان سائداً، حيث كشفت نتائج كارثة عام ١٩٤٨ وما بعدها بأن بعض الأنظمة العربية لم تملك قرارها السياسي المستقل، وقسم منها كان ضالعاً بالمخطط البريطاني الصهيوني. فخذلت الشعب الفلسطيني الذي قدم تضحيات كبرى وأبدى استبسالاً منقطع النظير في الدفاع عن أرضه عبر انتفاضات وثورات خاصة ثورة عام ١٩٣٦.

السؤال الثاني: بعد مئة عام على قيام الصهيونية كحركة سياسية.. هل ترون أن المشروع الصهيوني قد تغير؟ وما هي أبرز ملامح التغيير فيه إن وجدت.

المشروع الصهيوني لم يتغير وذلك بسبب اعتماده على فكر وفلسفة عنصرية عرقية، دينية، اثنية رجعية معادية لمبادئ وقيم الحضارة ولا يمكن أن يتغير المشروع الصهيوني إلا إذا تغيرت المنطلقات التي يستند إليها وذلك إما بتغيير المجتمع وتحوله من مجتمع عنصري، عرقي يعتمد الخرافة إلى مجتمع مدني يعتمد على العقلانية والواقعية، وإن سياسة حكومة نتنياهو تجسيد فاضح لهذه السياسة العنصرية التوسعية العدوانية، والتي تجد الدعم والمساندة من إدارة الولايات المتحدة الأميركية التي يعشعش فيها عناصر صهيونية موغلة في عدائها للشعب الفلسطيني، والتي تحاول بشتى السبل عرقلة إيجاد أية تسوية عادلة وشاملة تضمن الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني، حقه في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته الوطنية المستقلة على أرضه، ويتم تزويد حكام إسرائيل العنصريين بجميع أشكال الدعم العسكري والسياسي والاقتصادي، باعتبار إسرائيل أداة ردع تحمي مصالحهم في المنطقة العربية لمواصلة نهب ثرواتها الطبيعية والتحكم بمداخلها وممراتها المائية لمواجهة التكتلات المنافسة لها في المنطقة، ولكي تستند إلى قاعدة اقتصادية قوية تمكنها من تنفيذ سياستها في السيطرة السياسية على العالم.

السؤال الثالث: ما هو تأثير الاتفاقيات المبرمة بين إسرائيل وعدة أطراف عربية: كامب ديفيد، وادي عربة واتفاقيات أوسلو على مجرى الصراع العربي الصهيوني؟

الاتفاقات التي وقعتها أطراف أساسية في الجانب العربي مع إسرائيل لم ولن تؤثر على الصراع العربي الإسرائيلي إلا حين يتوفر في إسرائيل قيادة تحترم وتلتزم بهذه الاتفاقات، وتشعر أنها ستكون لصالح بقائها ووجودها المستقبلي.

فإسرائيل بحكامها الحاليين تعتقد أنها قادرة أن تناور وتلتف حول أية اتفاقية توقعها كون الولايات المتحدة الأميركية قادرة أن تحميها وتؤمن لها الدعم الكافي للسير في سياستها المبنية على الغطرسة والقوة. كما أنها تعتمد بذلك على ضعف خصومها الذين لا يستفيدون من قدراتهم وإمكاناتهم بالضغط عليها، وعلى

إجبارها للرضوخ للشرعية الدولية وقرارات هيئة الأمم المتحدة، والاتفاقات الموقعة معها.

اتفاقية كامب ديفيد

كان من أخطر التطورات التي شهدتها المنطقة توقيع مصر على اتفاق كامب ديفيد، وخروج هذا البلد العربي الأكبر والأكثر إسهاماً في الحروب العربية الإسرائيلية وصاحب النصيب الأكبر في أعباء وتضحيات هذه الحروب من صف المواجهة مع إسرائيل بكل ما استتبع ذلك من اختلال كبير في الجبهة العربية. لقد وجهت مصر بتوقيع كامب ديفيد ضربة قوية للتضامن العربي وشقت طريق الحلول الانفرادية مع إسرائيل، ودشنت عهد انفراط العقد العربي، الذي وجد تعبيره المأساوي في الغزو الإسرائيلي للبنان، وحصار بيروت وإخراج منظمة التحرير منها عام ١٩٨٢، ثم تجسد الانهيار العربي الرسمي بأجلى صورة في الغزو العراقي للكويت والنتائج الكارثية لحرب الخليج.

لقد طرأ تبدل على شروط ومضامين الحل السياسي للصراع العربي الإسرائيلي بعد كامب ديفيد، مع أن الجماهير العربية ظلت تتمسك بنهج النضال ضد العدوان والاحتلال. وسطرت ملاحم كفاحية مجيدة في هذا النضال تجلت بأنصع صورها في المقاومة اللبنانية الباسلة للاحتلال الإسرائيلي وللوجود الأمريكي، وكذلك في تفجر الانتفاضة الفلسطينية الباسلة وتحولها إلى نهج ثابت في حياة الضفة والقطاع لبضع سنين.

مع ذلك فان قوى وأنظمة عربية عديدة صارت بعد كامب ديفيد، ترى أن الطريق إلى حل الصراع العربي الإسرائيلي يمر عبر استرضاء إسرائيل والولايات المتحدة وراحت تعمل تحت شعار (إنقاذ ما يمكن إنقاذه) (وأوراق الحل بيد أمريكا) وهي شعارات محملة باليأس من جدوى النضال ومشبعة بروح التنازلات، والتسليم بشروط الحلول الإسرائينية الأمريكية.

ورغم ذلك فإن إسرائيل قد صارت هنا أيضاً أكثر تشدداً وباتت استحقاقات الحل عندها تتجاوز كثيراً إنهاء حالة الحرب أو مجرد الاعتراف بوجود إسرائيل إلى ضرورة التطبيع العربي الكامل معها وفتح الأبواب العربية أمامها سياسياً واقتصادياً وثقافياً.

إن هذه الاشتراطات الإسرائيلية، تلاقت وتناغمت مع الاستراتيجية الأمريكية الجديدة للشرق الأوسط والتي تبلورت في التسعينات خصوصاً بعد

حرب الخليج وانهيار الاتحاد السوفياتي. وهذه الاستراتيجية تقوم على بناء نظام وسوق شرق أوسطية تنتفي فيها الأولويات والروابط العربية وتشارك فيها إسرائيل وتركيا وغيرهما من البلدان وهو المشروع الذي نشطت بتنفيذه بعد حرب الخليج.

. وعندما شرعت الولايات المتحدة بالدعوة إلى مفاوضات عربية إسرائيلية كان الانقسام العربي قد بلغ حداً يستحيل معه أخذ موقف موحد في مواجهة المبادرة الأميركية، ولذلك كان الاشتراك في مؤتمر مدريد في بعض وجوهه بديلاً عن مزيد من التشرذم العربي، والاستفراد الإسرائيلي بهذا الطرف أو ذاك.

لقد كانت المواقف العربية في الطريق إلى مدريد، وأثناء انعقاده تتسم بحد معقول من الاتزان والتماسك، غير أن الأمور بعد انفضاض مؤتمر مدريد وانتقال المفاوضات إلى واشنطن سارت في اتجاه مغاير.

لقد أبدت إسرائيل تعنتاً واضحاً، وبتغطية كاملة من الولايات المتحدة ثم إن المفاوضات العربية الإسرائيلية انقسمت إلى مسارات متعددة، وبعد ذلك ابتدأت المفاوضات المتعددة الأطراف كمسار مواز للمفاوضات الثنائية.

اتفاق أوسلو

وراحت إسرائيل والولايات المتحدة تركزان على تعميق الهوة بين كل مسار وآخر وإثارة الريبة والشكوك بين المفاوضين العرب. وإلى جانب ذلك تم التركيز على المفاوضات المتعددة لفتح فرص التطبيع أولاً بين البلدان العربية وإسرائيل وكانت ذروة التطورات المفاجئة في هذه المفاوضات هي انخراط منظمة التحرير وإسرائيل في مفاوضات سرية لعدة أشهر، توجت باتفاق أوسلو ثم اتفاقات القاهرة حول الحكم الذاتي في غزة وأريحا.

إن النهج الذي اعتمد في المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية السرية والأوهام التي أغرقت بها اتفاقات أوسلو والقاهرة كحل للقضية الفلسطينية، وما تضمنته هذه الاتفاقات من التزامات سياسية واقتصادية وأمنية ألحق مزيداً من الضعف بمركز القضية الفلسطينية في إطار المفاوضات العربية الإسرائيلية، وساعد في تعزيز برنامج المفاوضات المتعددة الأطراف والأغراض، وأعطى ذريعة لأطراف عربية عديدة للشروع في إجراءات تطبيعية مع إسرائيل بصرف النظر عن طبيعة وآفاق حل الصراع العربي الإسرائيلي.

وخلال الفترة اللاحقة تعرض الأردن إلى ضغوط أمريكية متواصلة بهدف جره إلى مفاوضات منفردة مع إسرائيل فقد شددت أمريكا حصارها العدواني على ميناء العقبة، ومارست عبر صندوق النقد الدولي ونوادي الدائنين في باريس ولندن ابتزازاً كبيراً للأردن في أزمة ديونه الخارجية، ودأبت على التلويح له في ذات الوقت بوعود الدعم المالي وحل مشكلة الديون وتدفق الاستثمارات إذا ما دخل في صلح كامل مع إسرائيل، وبعد توقيع الاتفاقات الفلسطينية الإسرائيلية عملت الولايات المتحدة على إثارة نوازع الخوف لدى الأردن من نتائج تقدم المفاوضات على المسار الفلسطيني ثم السوري كذلك.

لقد جاءت معاهدة الصلح الأردنية -الإسرائيلية في سياق تسارع مفاجئ وغير طبيعي لمسار المفاوضات الأردنية الإسرائيلية، وقد تم التوقيع عليها بالتعارض مع كل التأكيدات الأردنية الرسمية السابقة على الالتزام بالحل الشامل للصراع العربي الإسرائيلي. لقد جاء هذا الاختراق الكبير في المسار الأردني ليقضي على مبدأ الحل الشامل، ويسمح بتعميم نهج الحلول المنفردة الذي ابتدأ في كامب ديفيد، وتواصل في اتفاق أوسلو، ويوجه ضربة قاصمة للمقاطعة العربية مع إسرائيل وتحويل الأردن إلى بوابة عبور نحو الشرق وخصوصاً نحو أسواق بلدان النفط.

أما السلام الذي تبشر به معاهدة الصلح الأردنية الإسرائيلية فإنه وهم كبير لن يتحقق إن لم يتم التوصل إلى حل عادل لكل جوانب الصراع العربي الإسرائيلي وفي مقدمتها القضية الفلسطينية.

إن فرض الحلول المنفردة يضع المنطقة أمام احتمال التوصل إلى اتفاقات عربية إسرائيلية مع الإبقاء على القضية الفلسطينية بدون حل وهذا يعني الإبقاء على أسباب التوتر والتفجر قائمة في الشرق الأوسط.

لقد نجح الجانب الإسرائيلي بالاستناد إلى دعم وتأييد الولايات المتحدة الأميركية في التلاعب بالأولويات والتي كان يفترض أن تشكل المدخل المنهجي والمنطلق المنطقي لبلوغ الحل الشامل. واتضح كذلك أن الاتفاقيات الثنائية التي تم التوصل إليها مع إسرائيل، قد اشتملت على قضايا تمس أطرافاً عربية أخرى لم يجر التشاور معها بشأنها.

لقد حققت إسرائيل نجاحاً في توقيع هذه الاتفاقيات لأنها أعطت أولوية للقضايا التي تحقق لها مكاسب ملموسة كالقضايا الاقتصادية وقضايا التطبيع وقضايا الاندماج الاقتصادي والسياسي في المنطقة بينما دحرت إلى الخلف واجلت البحث في القضايا الأساسية التي تشكل المدخل الفعلي للحل العادل والشامل.

السؤال الرابع: كيف ترون ضرورة الربط بين الخاص الوطني والعام القومي من أجل بناء الجبهة الوطنية الشعبية العربية العريضة لمقاومة المشروع الصهيوني سياسياً واقتصادياً وثقافياً؟

لم تكن القضية الفلسطينية في يوم من الأيام قضية الشعب الفلسطيني وحده، أنها قضية كل العرب، وبقائها دون حل عادل وشامل هو بسبب عدم الربط الجدلي بين خصوصيتها كقضية لشعب عربي فلسطيني وقضية عربية. إن تجربة الخمسين عاماً الماضية من النضال البطولي للشعب الفلسطيني أكدت أن الجهد العربي ولا سيما الجهد الرسمي العربي في دعم النضال الفلسطيني قد استخدم لصالح الخاص العربي لكل بلد عربي بمفرده ولحل التناقض بين الشعوب العربية والسلطات الحاكمة في كل قطر عربي.

إن التلاحم الكفاحي العربي الفلسطيني المبني على الصدق والإخلاص والمعرفة العلمية لقوانين الصراع كفيل بدفع النضال المشترك خطوات إيجابية للإمام وهذا يتطلب تدارك النواقص والأوضاع السلبية وجهوداً جدية لتأمين الاستحقاقات التي تشكل شروطاً لا بد منها في هذه العملية المعقدة.

السؤال الخامس: في رأيكم وعلى ضوء المستجدات السياسية الراهنة كيف ترون أشكال الخروج من المأزق؟

ليس مستحيلاً الخروج من المأزق الحالي، فالاعتماد على الجماهير ووعيها والتحلي بالعقلانية الموضوعية، وليس العقلانية الاستسلامية، ووضع الأسس العلمية المستندة إلى تقدير موازين القوى، وحشد التأييد العالمي والذي يتزايد وينمو لصالحنا وتتزايد فيه عزلة حكام إسرائيل، واتخاذ الخطوات الفعلية في تهديد مصالح الإمبريالية الأميركية في المنطقة عملياً وسائل هامة في هذا الاتجاه.

فمثلاً فشل الولايات المتحدة في مؤتمر قطر الاقتصادي لفرض إسرائيل بالقوة على التعاون مع الدول العربية نتيجة مواقف كثير من الدول العربية قد

أوضح أن هناك أسلحة وأوراق بيد العرب قادرة إذا ما استخدمت بإرادة عربية خالصة أن تؤثر، وكذلك مؤتمر القمة الإسلامي في طهران ومقرراته، واجتماع وزراء خارجية الدول الإسلامية في الدوحة مؤخراً أمثلة يجب دراستها والاستفادة منها في سياستنا المستقبلية وبالتالي لا بد من التأكيد على ما يلي:

١-تحقيق موقف عربي موحد من خلال إعادة الحد الأدنى للتضامن العربي وإحياء دور الجامعة العربية.

٢-تأمين أوسع وأعمق أشكال التنسيق بين الأطراف العربية الأساسية الأردن وسورية والفلسطينيين.

٣-التمسك بالثوابت القومية والوطنية على أساس الالتزام بالقرارات الدولية ولا سيما ٢٤٢ و٣٣٨ و٤٢٥ على قاعدة الأرض مقابل السلام وتحقيق الانسحاب من جميع الأراضي العربية المحتلة: الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس العربية والجولان والجنوب اللبناني.

٤-الالتزام بمبدأ الحل الشامل والتمسك بحق الشعب العربي الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره ومساندة كفاحه من أجل بناء دولته الوطنية المستقلة وبعودة اللاجئين والنازحين الفلسطينيين إلى وطنهم.

٥-تعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية على قاعدة الثوابت الوطنية

٦-مواصلة الجهود لكسب الرأي العام العالمي الذي تحاول إسرائيل تضليله وتحييده.

٧-تشكيل جبهة شعبية عربية واسعة على نطاق المنطقة لدعم نضالات الشعب الفلسطيني ومنع كافة أشكال التطبيع الاقتصادي والثقافي والسياسي مع العدو الإسرائيلي.

* * *

أجوبة المفكر والكاتب الفلسطيني

الدكتور: أحمد صدقي الدجاني

الجـواب الأول:

أول مـا يتبـادر إلـى الذهن فـي محاولـة الإجابـة علـى هـذا السـؤال، هـو استحضار المقصود بالهزيمة، ودلالـة ضمير المتكلم، ذلك أن موضـوع قضيـة فلسطين والصراع العربي الصهيوني الذي يدور حوله السؤال، له أبعاده الوطنيـة والقومية والحضارية والعالمية، ولكل من هذه الأبعاد دائرتـه التـي يمكـن التعبير عنها بضمير المتكلم.

الهزيمـة مـن (الهـزم) الـذي هـو (غمـر الشـيء حتـى يتحطـم) ويعبـر عنـه (بالحطم والكسر) وهي اصطلاحاً تدل [على التوقـف عـن الفعـل لانعدام الإرادة الناجم عن تحول في الفكر والتصور أثناء مواجهـة "عـدو"، وتتجلـى فـي التسـليم "لمطالب هذا العدو بعد" الاستسلام "لما يعرضه عنوة].

والهزيمة تتجسد في اتفاق (الاستسلام) آخر الأمـر، هـو مـن نـوع اتفاقـات "الإمـلاء" DURESS، يجـري إمـلاؤه DICTATED بعـد أن تتوقـف المقاومـة العسكرية في أعقاب ضعف صور المقاومة الأخرى الروحية والفكريـة والثقافيـة والاقتصادية ويمثل هذا الاتفاق توقف المقاومة السياسية. وتقع الهزيمة هنـا علـى الصعيد الرسمي الذي وقع الاتفاق والتزم به وقد يشهد الصعيد الشـعبي استمرار المقاومة في بعض صورها أو كلها تعبيراً عن رفض الاتفاق المحلي، فـلا تكـون الهزيمة كاملة ويبقى تحت الرماد "وميض نـار يوشك أن يكـون لهـا ضـرام" ولا يلبث الانتفـاض الشـعبي أن يفرض نفسـه علـى الصعيـد الرسـمي، ويـبرز قيـادة شعبية تستمد شرعيتها من المقاومة وهذا كثير الحدوث في الصراعات الممتدة.

ضمير المتكلم، كما يتضح من الشق الثاني في السؤال منصرف إلى الدائـرة الوطنية الفلسطينية، وهي تقع في الدائرة القومية العربية الأوسع، التي هي جـزء

من دائرة الحضارة العربية الإسلامية، إحدى الدوائر الحضارية في عالمنا.

انحسار المشروع الوطني الفلسطيني "بدءاً من تحرير كامل فلسطين وصولاً إلى المرحلة الراهنة" التي شهدت توقيع اتفاقيات أوسلو لإقامة حكم ذاتي انتقالي فلسطيني على جزء صغير من فلسطين، جاء في أعقاب حرب حزيران يونيو ١٩٦٧ التي انتصر الكيان الإسرائيلي فيها، المدعوم من قوى الهيمنة الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، على مصر وسورية، واحتل سيناء والجولان فضلاً عن القدس الشرقية والضفة الغربية وقطاع غزة، وهي الأراضي الفلسطينية التي لم يحتلها عام ١٩٤٨.

أبرز الأسباب "الأساسية عميقة الغور" التي أدت إلى هذا الانحسار في المشروع الوطني الفلسطيني، هو ما طرأ من تحول بفعل "النكسة" العربية على الشعار القومي العربي الخاص بتحرير فلسطين، الذي أصبح "إزالة آثار عدوان ١٩٦٧" وما اتصل به من قبول فكرة التسوية السياسية والسير فيها. والتحرك في حدود قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر في ١٩٦٧/١١ وقد أوصل هذا التحول على الصعيد الرسمي العربي إلى التخلي عن هدف تحرير فلسطين عملياً والتركيز على هدف تحرير الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧، تدريجياً تكيفت قيادة العمل الفلسطيني التي برزت بعد النكسة وتولت زمام منظمة التحرير الفلسطينية مع هذا التحول، وقبلت عام ١٩٧٤ قرار قمة الرباط العربية أن تكون المنظمة هي الممثل الشرعي والوحيد لشعب فلسطين، وأن تشارك بدورها في التسوية السياسية، وأن تصوغ برامجها المحلية بدءاً من مشروع النقاط العشر بصورة تناسب ذلك، وصولاً إلى قبول أوسلو في دورات مجلسها الوطني المتعاقبة. وتكشف دراسة حركات التحرر التي واجهت الاستعمار الاستيطاني، أن قوى الهيمنة التي تدعم المستعمر المستوطن تعمد أولاً إلى محاولة إخضاع الدول المحيطة بالقطر الذي يجري استعماره استيطانياً لتمنع مساندة هذه الدول لحركة التحرير التي تقاوم المستوطن أولاً، ثم لتفرض على هذه الدول من خلال (اتفاقات إملاء) ملاحقة أي عمل مسلح ضد المستعمر المستوطن ينطلق من أراضيها.

وهكذا فإن أحد ابرز أسباب التحول الفلسطيني الرسمي عن هدف التحرير: فلسطين كلها هو ما حدث من تحول عربي رسمي عن هذا الهدف، استتبعه التخلي عن الالتزام بالعمل القومي المساند للعمل الوطني.

سبب آخر اقترن بالسبب السابق هو أن جلّ الدول العربية المشاركة في

الصراع العربي الصهيوني، انعطفت بعد حرب رمضان ١٠/١٩٧٣، إلى متابعة السير في مساعي التسوية السياسية مع قبول الشرط الأمريكي بإيقاف جميع أشكال المقاومة المسلحة ضد الاحتلال، باسم "التخلي عن العنف واعتماد التفاوض سبيلاً وحيداً للوصول إلى التسوية" وقد قبلت قيادة العمل الفلسطيني هذا الشرط حين وافقت على المشاركة الفلسطينية المحدودة في مؤتمر مدريد يوم ١٩٩١/١٠/٣٠ المعروف باسم مؤتمر سلام الشرق الأوسط، ملبية الشروط التي وضعها (مصمم المؤتمر) الأمريكي ثم وقعت على "نبذ الإرهاب" في اتفاق الاعتراف المتبادل بين الحكومة الإسرائيلية وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية يوم ١٩٩٧/٩/٩.

وهكذا ساد (أنموذج تفاوض شكلي) تخلى فيه الطرف الفلسطيني عن جلّ أوراقه وأهمها ورقة (المقاومة المسلحة) الأمر الذي جعل شمعون بيريز يصف هذا الأنموذج حين كان وزير خارجية في وزارة اسحق رابين "بيريز يفاوض بيريز" فيختار ماذا يعطي وماذا يمنح من الفتات لأن الفلسطينيين المفاوضين لا يملكون أوراقاً بأيديهم يتفاوضون عليها، وقد كشفت عملية التباحث في مرحلة ما قبل التفاوض المعلن منذ عام ١٩٩١ بين قيادة العمل الفلسطيني والإدارة الأمريكية ثم الحكومة الإسرائيلية عن قصور حاد في وفاء هذه القيادة ومتطلبات التفاوض ناجم عن نقص العناية بعلم التفاوض الذي يوضح التوقيت الأنسب للتفاوض وكيفية حصر أوراقه والتعامل بها.

لقد تفاعل هذا السياق مع معاناة مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية من ضعف قوي انتابها إثر الخروج من بيروت وحدوث انشقاقات في فصائلها، في ظل ضعف قوي مماثل انتاب النظام العربي منذ إبرام مصر اتفاقيات كامب ديفيد عام ١٩٧٨، واقترنت هذه المعاناة بوقوع عناصر قيادية فلسطينية وعربية في شرك "وعود أمريكية عرقوبية" نجحت في استمالتهم إلى عالم المباحثات السرية. وأدى ذلك كله إلى أن تفقد قيادة العمل الفلسطيني فضيلة الصبر على المكاره في ساحة النزال في وقت كانت الانتفاضة قد مست العدو (بفزع) وجعلته متطلعاً للهروب من (جحيم غزة) فكان أن قبلت شروطه بدل أن تصبر حتى يفرض عليه تصاعد الانتفاضة قبول شروطها هي.

إن سبر أغوار (واقعنا) في دوائره الفلسطينية والعربية والحضارية الإسلامية، بنظرة نافذة، ترينا أن ما حل بنا من (هزيمة) بفعل تلك الأسباب على الصعيد الرسمي، لم يعم أعضاء النظام العربي الإسلامي، فقد تمسكت أكثر من

دولة عربية بالدفاع عن حق المقاومة بكل أشكالها للاحتلال لكل من كانت أرضه محتلة، وعارضت محاولات دمغ المقاومة بأنها إرهاب، وعبرت عن ذلك عملياً بمساندة المقاومة المسلحة في جنوب لبنان وفي فلسطين المحتلة، فكان أن جذبت إلى موقفها هذا دولاً عربية أخرى وغير عربية أيضاً، وحدث مثل ذلك في الدائرة الإسلامية، الأمر الذي أثمر على الصعيد الدولي إفشال محاولة الولايات المتحدة الأمريكية فرض (مكارثية عالمية) في مؤتمر شرم الشيخ تواجه المقاومة بزعم الإرهاب، كما أثمر عرقلة المحاولات الأمريكية لفرض نظام الشرق الأوسط بقيادة الكيان الإسرائيلي على منطقتنا، وها نحن نرى اليوم تحولاً في الدائرة العربية بدأ منذ آخر عام ١٩٩٤ مع قمة الاسكندرية الثلاثية وبلغ ذروة في القمة العربية أول صيف ١٩٩٦، أثمر عودة الفعالية للنظام العربي واكبه تحول في الدائرة الفلسطينية، منذ هبة القدس أول خريف ١٩٩٦.

نرى أيضاً بوضوح أن الهزيمة لم تنفذ إلى الصعيد الشعبي غير الرسمي حيث استمرت جل القوى الشعبية واضعة نصب العين مقاومة العدوان الصهيوني المستمر وتحرير الأراضي العربية المحتلة، وعبرت عن ذلك عملياً بصور كثيرة منها (مقاومة التطبيع) والدفاع عن حق المقاومة المسلحة ودعمها معنوياً ومادياً، كما نرى بوضوح أن هذه المقاومة المسلحة استمرت في صورة حرب شعبية متوسطة المدى في جنوب لبنان، وفي صورة عمليات فدائية في فلسطين المحتلة. ونرى تنامي مقاومة تضاعف إرهاق العدو. وبرؤية فكرية وثقافية واقتصادية ودبلوماسية وسياسية، وانتشار شعار (لا للحل العنصري في فلسطين) وشعار (شرط السلام العادل نبذ اليهود للصهيونية) وشعار (فلسطين العربية الديمقراطية الواحدة) وهذا الذي نراه يضر بقدرة المقاومة على الانتقال بالموقف الرسمي العربي من إحباط أجواء الهزيمة إلى تبني "استراتيجية" المواجهة في صراع النفس الطويل مع إتقان ما تتطلبه من "تكتيك".

الجواب الثاني:

بعد مائة عام على قيام الصهيونية كحركة سياسية.. هل ترون أن المشروع الصهيوني قد تغير؟ وما هي أبرز ملامح التغيير فيه إن وجدت؟

لم يطرأ تغير أساسي في "الصهيونية" فكرة وحركة بعد مضي أكثر من قرن على قيامها، وإنما حدثت تغيرات ثانوية، وتحولات. فالصهيونية لا تزال على صعيد الفكر، فكرة غريبة استعمارية استيطانية عنصرية اصطنعت "قومية"

لليهود بزعم أنهم يشكلون "شعباً واحداً" وأنهم غير قابلين للاندماج، مما يجعلهم هدفاً دائماً للاضطهاد. وتعمم هذه الفكرة الصهيونية قراءة لتعاليم الدين اليهودي تزعم أن فلسطين وما حولها من النيل إلى الفرات هي "وطن" هذا الشعب. كما تعمم قراءة تاريخية تزعم بأن "الشعب اليهودي" له تاريخ متصل في فلسطين. والصهيونية لا تزال على صعيد الحركة تسير على نهج برنامج مؤتمرها الأول في بال عام ١٨٩٧ من حيث تشجيع الاستعمار الاستيطاني اليهودي في فلسطين، وإحكام قبضتها على اليهود في العالم، وإثارة مشاعر العنصرية فيهم، والتحالف مع قوى الهيمنة الغربية وخدمة مصالحها في دائرة الوطن العربي ودائرة الحضارة الإسلامية في العالم الإسلامي، بغية بلوغ السيطرة عليهما.

إن المشروع الصهيوني اليوم -كما يتجلى على أرض الواقع- يجاهر بعزم الصهاينة على "الاستيطان" في كل جزء من أرض فلسطين، وعلى "تهويد" القدس وجعلها عاصمة أبدية (كذا!) للكيان الإسرائيلي، وعلى الاستمرار في احتلال هضبة الجولان. وهو لا يخفي توجهاته لطرد "الفلسطينيين" من وطنهم باسم "الترانسفير"، ولا العنصرية الصهيونية في ممارسته التي تخدم هذه التوجهات وقد أبرم قادة هذا المشروع داخل الكيان الإسرائيلي وخارجه تحالفاً استراتيجياً مع الولايات المتحدة الأمريكية جعل من (فلسطين المحتلة)" أكبر حاملة طائرات أمريكية" في المنطقة على حد تعبير ناطق عسكري أمريكي، ويسعى هذا التحالف لفرض نظام يحكم سيطرة قوى الهيمنة الغربية على المنطقة ويحمل اسم "نظام الشرق الأوسط".

هذا الثبات على الخطوط الأساسية للصهيونية فكرة وحركة لا يعني أنها لم تشهد تحولات خلال القرن الذي مضى على انعقاد مؤتمرها الأول بفعل ممارساتها على أرض الواقع.

وترسم هذه التحولات خطاً بيانياً متموجاً. فالقيادة الصهيونية للكيان الإسرائيلي لا تزال تدعو بإلحاح اليهود أن يهاجروا من أوطانهم إلى (أرض الميعاد) وهي تسهم أحياناً في تنظيم حملات تهجير لهم، مثل حملة التهجير الكبرى ليهود الاتحاد السوفيتي السابق التي شجعتها الولايات المتحدة الأمريكية، في نهاية الحرب الباردة، وقد سبقتها حملة تهجير الفالاشا من وطنهم اثيوبيا أوائل الثمانينات. ولكن قطاعات واسعة من صهاينة الكيان الإسرائيلي لا تنفي ضيقها من "أعباء التهجير" والاستيعاب التي تقع على كاهلها.

والقيادات الصهيونية للتجمعات اليهودية مع دعمهم الكيان الإسرائيلي غير

المحدود لا يبدون الحماس المطلوب في الاستجابة عملياً (للتهجير) في أكثر الدول الغربية.

تحول هام حدث للصهيونية داخل الكيان الإسرائيلي يبدو بجلاء وبعد مضي خمسين سنة على إقامته يتمثل في احتدام صراع بين صهاينة علمانيين وصهاينة متدينين ويعبر هذا الصراع في أحد وجوهه عن تنافس بين الصهاينة الاشكناز الغربيين والصهاينة السفارديم الشرقيين وينجذب إلى خوض هذا الصراع شباب يهود أمريكيون يهاجرون إلى الكيان الإسرائيلي ويسهمون في ملء المستعمرات الاستيطانية ويجمعون بين جنسيتين. وينجم عن هذا الصراع حماس (للنزوح) من الكيان والعودة إلى الوطن في أوساط التجمع الإسرائيلي. وقد جاء في نشرة حاخامين من أجل حقوق الإنسان في ١٩٩٧/١٢ التساؤل (كيف ينظر الله إلينا؟ وما حكمه علينا؟ حين يرى يهوداً يهاجمون يهوداً عند الحائط الغربي).

التحالف الاستراتيجي الصهيوني مع قوى الهيمنة الغربية، على الرغم من أنه خط ثابت، إلا أنه يخضع لتحولات بين فترة وأخرى. وقد بدأت بعض الدول الغربية الأوروبية تشعر بثقله على مصالحها، وعمدت الولايات المتحدة الأمريكية التي لا تزال متمسكة به خدمة لمصالحها، إلى تفسيره على هواها حين نشبت أزمة الخليج الثانية فحظرت على الكيان الإسرائيلي القيام بأي تحرك أثناء الأزمة والحرب لإخراج العراق من الكويت مطلع عام ١٩٩١.

تبقى الإشارة إلى أن المناخ العالمي المحيط بالصهيونية اليوم مختلف عن ذلك الذي كان قبل قرن. فهي القاعدة الاستعمارية العنصرية الاستيطانية الوحيدة الباقية في آسيا وافريقيا، بعد أن سقطت مثيلاتها في افريقيا، وآخرها في جنوب افريقيا التي تحررت عام ١٩٩٤ ويبرز في هذا المناخ حساسية شديدة ضد الممارسات العنصرية الصهيونية تدعو إلى المخاطر ما قاله يعقوب ثالمون في "محاسبة النفس"، أثر حرب رمضان من أن الاستعمار الاستيطاني الصهيوني جاء متأخراً نصف قرن ونضيف نحن "وليس من السهل أن يصمد أمام إرادة التحرير بل هو مستحيل".

الجواب الثالث:

ما هو تأثير الاتفاقات المبرمة بين إسرائيل وعدة أطراف عربية: كامب ديفيد، وادي عربة، وأوسلو على مجرى الصراع العربي الصهيوني؟

مثل توقيع مصر على اتفاقات كامب ديفيد عام ١٩٧٨ ثم معاهدة ١٩٧٩ مع الكيان الإسرائيلي بداية مرحلة جديدة في الصراع العربي الصهيوني على صعيد العلاقات الرسمية العربية بهذا الكيان، فلأول مرة في تاريخ الصراع اعترفت دولة عربية به رسمياً ورسمت خط حدود سياسية معه. وقد تكرر هذا الأمر مع الأردن في اتفاق وادي عربة عام ١٩٩٤. وكانت حكومة لبنان قد أبرمت اتفاق أيار ١٩٨٣ ولكن المقاومة الشديدة له أثمرت إلغاءه في خريف ذلك العام. وقد جاءت اتفاقات أوسلو ٩٢-٩٤-٩٥ حاملة معها اعترافاً فلسطينياً رسمياً بالكيان الصهيوني الإسرائيلي في خطوط ما قبل حرب عام ١٩٦٧ ومتضمنة في طياتها الالتزام بالتفاوض على البقية من فلسطين في الضفة والقطاع للوصول إلى ما سمي بالحل النهائي، لأن العدو الصهيوني اعتبرهما من (أرض إسرائيل) المتنازع عليها مع الفلسطينيين.

كان لهذه الاتفاقات آثارها القوية على الصراع ومجراه. فقد فرضت على الأطراف العربية الموقعة عليها فضلاً عن الاعتراف بالكيان الإسرائيلي دولة، الامتناع عن تأييد أي عمل لتحرير فلسطين المحتلة عام ٤٨ والالتزام باحترام (أمن إسرائيل).

وحفلت هذه الاتفاقات التي أشرفت الولايات المتحدة على إبرامها والتوقيع عليها في البيت الأبيض، بنصوص ملأت مئات الصفحات وآلامها تتصل بمختلف نواحي العلاقات الثقافية والاقتصادية والتربوية والتعليمية والأمنية والسياسية، وتستهدف في مجملها تمكين الكيان الإسرائيلي في المحيط العربي. وهذا هو الهدف الذي استهدفه (مصمم) "عملية سلام الشرق الأوسط" الأمريكي التي بدأت في أعقاب زلزال الخليج بانعقاد مؤتمر مدريد يوم ١٩٩١/١٠/٣٠ بمشاركة بقية الأطراف العربية وأطراف دولية.

التطبيق العملي لهذه الاتفاقات كشف استمرار الكيان الإسرائيلي في تبني فكرة الصراع ضد محيطه العربي لصالحه ولصالح قوى الطغيان التي يتحالف معها، واعتماد أساليب في هذا الصراع تناسب مرحلة اتفاقات السلام التي أبرمها. وتتضمن هذه الأساليب تكثيف التجسس والاختراق، وتدبير عمليات تخريبية تستهدف الأمن والاقتصاد وتنظيم حملات إعلامية تسيء لعلاقات الطرف العربي المستهدف دولياً وتضرب نشاط السياحة فيه. وكثيرة هي الأمثلة التي تتداعى إلى الخاطر على هذه الأساليب في ممارسات العدو الصهيوني، من الجاسوس عزام وأمثاله إلى محاولة اغتيال المجاهد خالد مشعل إلى حملات

العداء ضد مصر في الكونغرس الأمريكي، ناهيك عن حوادث الاعتداء على السياحة.

نستطيع أن نرى بوضوح أيضاً أن الأطراف العربية في هذه الاتفاقات، تأكدت من النوايا الصهيونية تجاهها، وبدأت تتابع هذه الأساليب الجديدة، وتتصدى لها بما يناسبها من أساليب في مرحلة الاتفاق. وهكذا عاد الصراع إلى الاحتدام بينها وبين الكيان الإسرائيلي في حدود ما رسمته الاتفاقات من خطوط حمر، ومن المتوقع أن يشتد هذا الاحتدام.

لقد شهدت هذه المرحلة الجديدة تصاعد المواجهة العسكرية في جنوب لبنان بين الكيان الإسرائيلي المعتدي الذي يحتل قطاعاً هناك والمقاومة اللبنانية التي تنال دعم لبنان شعباً وحكومة ودعم سورية. ودلل استمرار المقاومة وتصعيدها على نجاح في الدفاع عن حق المقاومة الذي استهدفه التحالف الإسرائيلي الأمريكي بأشد حملات التشويه. ومكن هذا النجاح من مواجهة مخطط المكارثية العالمية الأمريكية كما سبق أن أشرنا.

كذلك شهدت المرحلة الجديدة استمرار عمليات الفداء داخل الكيان الإسرائيلي التي تزعزع أمن أفراده وتردع الممارسات الصهيونية العنصرية ضد شعب فلسطين العربي. وقد حدث هذا الاستمرار بالرغم من كل قيود الاتفاقات وتميز بحدوث تطوير إبداعي في بعض هذه العمليات. الأمر الذي يقطع بإمكان إبداع أساليب جديدة في المقاومة المسلحة الفدائية، في ظل ما تلاقيه من مساندة شعبية واسعة. ولاقت أيضاً أن هذه المرحلة الجديدة تشهد تصاعد صور أخرى من المقاومة الروحية والفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية والدبلوماسية في فلسطين المحتلة بأجزائها، تحاول الإفادة من حقائق ما بعد أوسلو على أرض الواقع.

مجمل القول أن الاتفاقات التي فرضتها الولايات المتحدة الأمريكية على أطراف عربية في الصراع العربي الصهيوني أثرت سلبياً على الصراع في جوانب كثيرة، ولكنها لم تستطع أن تحول دون بروز الاستجابة العربية للتحدي الصهيوني الذي استغل الاتفاقات لتصعيد عدوانه. وتبدو هذه الاستجابة العربية اليوم واعدة وقادرة على متابعة خوض الصراع وإرهاق العدو.

الجـواب الرابـع:

كيف ترون ضرورة الربط بين الخاص والعام القومي من أجل بناء الجبهة الوطنية الشعبية العربية العريضة لمقاومة المشروع سياسياً واقتصادياً وثقافياً؟

الحاجة ماسة للربط بين الخاص الوطني (الفلسطيني) والعام القومي (العربي)، والأهم الحضاري (الإسلامي) وحركة التحرر (العالمية)، لمقاومة المشروع الذي تستهدف قوى الهيمنة الغربية الموجدة له منه التسلط على هذه الدوائر جميعها. فالقارونية الغربية حين مكنت الصهيونية العنصرية من استعمار فلسطين استيطانياً، لم تكن تستهدف اغتصاب بيت المقدس وفلسطين فحسب، وإنما استهدفت أيضاً التسلط القهري على الدائرة القومية العربية ودائرة الحضارة الإسلامية التي شارك في تشييدها مؤمنون مسلمون ومسيحيون ومن ملل أخرى وأقوام، وكذلك ضرب قوى التحرير في عالمنا.

الوقت أيضاً مناسب لتحقيق هذا الربط، بعد أن كشفت مجريات أحداث فترة ما بعد زلزال الخليج عما وضعه التحالف الصهيوني الإسرائيلي مع الاستعماري الأمريكي من مخططات شريرة للسيطرة والتسلط القهري على هذه الدوائر جميعها، ظهرت بوضوح في المفاوضات الثنائية والمتعددة الأطراف في عملية (سلام الشرق الأوسط). وبعد أن كشفت أيضاً عن قدرة هذه الدوائر على حشد إمكاناتها لمقاومة هذه المخططات وإفشالها كما رأينا في إفشال المؤتمر الاقتصادي الذي انعقد بالدوحة ١٩٩٧/١١، وفي تعبئة الطاقات في المؤتمر الإسلامي الذي انعقد بطهران ١٩٩٧/١٢.

هذا الربط يتطلب بداية التأكيد على أن يكون الانطلاق من أن قضية فلسطين والقدس في قلبها هي قضية فلسطينية عربية إسلامية تهم حركة التحرر العالمية. وهي من ثم مسؤولية مشتركة على هذه الصعد. كما يتطلب هذا الربط فلسطينياً الحفاظ على الكيان الفلسطيني الواحد، ممثلاً في منظمة التحرير الفلسطينية التي يقف في ساحتها جميع أبناء فلسطين داخل الوطن المحتل وخارجه وإعادة بناء مؤسساتها من خلال تحقيق وحدة وطنية متماسكة بين جميع قوى الشعب وفعالياته وفصائله. ويتطلب هذا الربط عربياً تقوية النظام العربي ومقاومة استبداله بنظام الشرق الأوسط، والتزام جميع أعضائه بمقرراته ومنهم قيادة منظمة التحرير الفلسطينية. ويتطلب أيضاً في الدائرة الإسلامية تقوية نظام المؤتمر الإسلامي وتمتين الأواصر بينه وبين النظام العربي، وفق آلية محكمة.

ويتطلب أخيراً تنظيم أقوى الصلات بحركة التحرر العالمية.

أنواع المقاومة التي نواجه بها هذا المشروع الصهيوني العنصري، تشمل المقاومة الروحية والفكرية والثقافية والاقتصادية والسياسية والدبلوماسية والعسكرية. وقد شرحناها وضربنا أمثلة عليها في افتتاح المؤتمر القومي- الإسلامي الثاني ١٩٩٧/١٠ وفي "كتاب تفاعلات حضارية وأفكار للنهوض "وكذلك في الحديث عن المشروع النهضوي العربي أمام مؤتمر الأحزاب العربية ١٩٩٦/١٢ وشرحها مفكرون عرب آخرون اسهموا في بلورة فكر عربي مقاوم.

مجالات هذه المقاومة واسعة تشمل كل جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها، وهي تتدرج من المقاومة بالقلب فالنظر والانفاس فاللسان فاليد، والإشارة هنا للحديث الشريف عن مقاومة المنكر باليد وباللسان وبالقلب وهو أضعف الأيمان، ولأبيات لخليل مطران عن المقاومة بالقلم فإذا ما جرى تكسيره فباللسان ثم بالعين فالبزغات. ذلك أن شعار المرحلة الجديدة كما ارتفع.. في المؤتمر القومي- الإسلامي الثاني والعديد من المؤتمرات هو "فلنعتصم بالمقاومة" بكل أنواعها. وكل فرد يسهم بنصيب فيها من النقطة التي يقف عليها. وكل الأمة في مواجهة العدو في سفينة واحدة تضم جميع المقاومين. ولا بديل عن أن ترسو هذه السفينة على شاطئ السلامة في ميناء الانتصار.

الجواب الخامس:

في رأيكم في ضوء المستجدات الراهنة.. كيف ترون أشكال الخروج من المأزق؟

الإجابات التي طرحناها على الأسئلة الأربعة السابقة أوضحت رأينا في كيفية العمل على الصعيدين الرسمي والشعبي وهي تبين في مجملها أن الوقوع في المأزق يحدث عن الكف عن المقاومة، تماماً كما أن خروج من وقع فيه يكون بالعودة إلى المقاومة والتزام سبيل الجهاد بمفهومة الواسع، وصولاً لتحرير فلسطين والقدس والانتصار على الصهيونية العنصرية والقارونية الطاغوتية، وتحقيق أهداف مشروع الأمة الحضاري تحريراً. ووحدة وشورى ديمقراطية وعدلاً وتنمية وتجدداً حضارياً يسهم في عمران العالم، الذي يعيش فيه المستأمنون بعد أن ينبذوا الصهيونية العنصرية لهم ما لنا وعليهم ما علينا، كما كان شأنهم في حضارتنا العربية الإسلامية.

* * *

أجوبة دولة السيد طاهر المصري

رئيس الوزراء الأردني الأسبق

الحركة الصهيونية نشأت في أوروبا وهي نتاج تعبئة دينية حازمة ومستمرة على مدى قرون طويلة مورست على اليهود بدقة وإلحاح والتزام وقبول لا مثيل لها في تاريخ العالم. وكانت المعتقدات اليهودية والذهنية التي ترتبت على ذلك تؤدي إلى تقوقع اليهود داخل أطر ضيقة وانغلاق شديد سمي فيما بعد بالغيتو. وهذا أدى بدوره إلى محاصرة هذه المجتمعات للأقلية اليهودية مما جعلها تعتمد على نفسها وتبني أنظمتها الداخلية بشديد من الكتمان وبتقيد كبير، فالتحدي والظروف المعيشية والتمييز ثم المفاهيم الدينية المعتمدة في كثير من الأحيان على الخرافات، كانت الأداة التي استعملها رواد الحركة الصهيونية ومفكروها.

وقد تزامن هذا الوضع الفكري والاجتماعي لليهود في أوروبا مع بدايات الثورة الصناعية الكبرى فيها وبداية فصل الدولة عن الكنيسة، مما أفسح مجالاً للدعاة اليهود أن يكونوا، ولو بقدر صغير جداً، جزءاً من هذه النهضة وأن يتعلموا من الأوروبيين خلال القرون الثلاث قبل الحرب العالمية الأولى، مظاهر الحياة الجديدة من ديموقراطية وعلمانية ومن أفكار اجتماعية واقتصادية ومن تطور علمي وفني وأدبي، واقترب المفكرون والماليون والسياسيون اليهود من كثير من مراكز صناعة القرار في أوروبا، في الوقت الذي بدأت بوادر انهيار الخلافة العثمانية بالظهور في النصف الثاني من القرن الماضي، ونتذكر هنا أن أوروبا في تلك الحقبة كانت تستعمر العالم وتستغل خيراته وكان لليهود في ذلك حصة.

في المقابل كان العرب يرزحون تحت الحكم العثماني ويعانون من بؤس وتأخر شديدين فرضه مرض الدولة العثمانية وهرمها. وانهمكت النخبة السياسية والدينية الإصلاحية العربية في البحث عن الهوية وإعادة تأكيدها وفي النضال

للحصول على الحقوق السياسية. ولم تكد هذه الحركات تتلمس طريقها وتأخذ واقعاً ملموساً عند بدايات القرن العشرين ومع حلول الحرب العالمية الأولى، حتى فرض الأوروبيون المستعمرون أجندتهم على شعب المنطقة وعلى الأقاليم العربية، وقد فعلوا ذلك خدمة لمصالحهم. واستطاعت الحركة الصهيونية التي أصبحت ذات تأثير هام على السياسة الأوروبية ربط مصالحها مع مصلحة أسياد النظام العالمي في ذلك الحين بريطانيا وفرنسا وقسموا العرب عبر سايكس-بيكو واستغلوا التناقضات والجهل والتأخر. وبقي العرب على هذا المنوال منذ ذلك الحين إلى وقتنا هذا.

بل أن الوضع قد ازداد سوءاً عندما تقدمت باقي أقاليم العالم اقتصادياً وسياسياً، وأصبحت معظم الدول ذات أنظمة ديموقراطية وتبني مجتمعات عصرية بدرجات متفاوتة. بل أكثر من ذلك، فإن الدول الديموقراطية، وبالذات الاستعمارية سابقاً منها(وأقصد هنا أوروبا) أصبحت تعمل بجد وثبات على إلغاء الدولة القطرية تدريجياً لصالح دولة الاتحاد الكبرى. بينما نحن لم ننشئ بعد الدولة القطرية الحقيقية، التي هي في رأيي الخطوة الأولى الحقيقية نحو بناء الوحدة العربية. الدولة القطرية بمفهومي هي تلك الدولة التي تتبع النظام الديموقراطي النيابي، والتي تؤمن بالتعددية السياسية وتديرها مؤسسات المجتمع المدني. الدولة القطرية الحقيقية هي التي يسير دستورها على مبدأ فصل السلطات ويعيش مجتمعها في ظل سيادة القانون وتكافؤ الفرص. فأين نحن الآن من هذه الأسس والمبادئ بل البديهيات في المفهوم الديمقوقراطي.

ولهذا فإنني أقول أن أول خطوة على طريق بناء النظام العربي الجديد والخروج من عصر الذل والهوان الذي تعيش فيه الأمة العربية، هي خطوة بناء الدولة القطرية طريقنا الأكيد إلى الوحدة العربية، بناء الدولة الديموقراطية الحقيقية والمجتمع المدني، الدولة التي تزاوج في مجتمعها بين إرثها العربي الإسلامي العريق وبين متطلبات العصر.

وحتى نكون واقعيين، يجب أن نعترف بأن الوحدة العربية الشاملة التي نريدها، لن تتحقق بجرة قلم. بل هي عمل دؤوب متواصل ومتراكم. ولابد أن يبدأ هذا العمل من القاعدة ليصل إلى القمة. الوحدة العربية يجب أن تتحقق أولاً داخل كل إقليم عربي. وتلتقي فيما بعد دولة الوحدة في ذلك الإقليم مع دولة الوحدة في الأقاليم الأخرى في اتحاد. الأقاليم العربية في تقديري هي: إقليم المشرق العربي ويضم سورية لبنان العراق الأردن وفلسطين. وإقليم الجزيرة

العربية ويضم كل دولها. وإقليم المغرب العربي ويضم ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا. وإقليم وادي النيل ويضم مصر والسودان والصومال.

المصالح الاقتصادية يجب أن تكون عنصراً هاماً من عناصر ربط هذه الدول ببعضها البعض والأقاليم ببعضها البعض. وهذا الربط يجب أن يكون ربطاً حقيقياً ومتكاملاً يؤدي فوائد ومنافع لكل إقليم.

الحركة الصهيونية وإسرائيل والغرب يعلمون جيداً أن اتحاد الدول العربية على موقف ما أو اتفاقهم على سياسة ما، يمكنهم من الوصول إلى هدفهم. لذلك، ذهبت كل الجهود العربية للوصول إلى اتفاق حول حل القضية الفلسطينية أدراج الرياح. وتمت مقاومة فكرة المؤتمر الدولي لحل القضية الفلسطينية وتطبيق مبادئ وقرارات الشرعية الدولية. ولكن بعد حرب الخليج عام ١٩٩١ وانهيار كل مظاهر التضامن والاتفاق والتعاون العربي، هرعت الولايات المتحدة لجمع العرب وإسرائيل حول طاولة المفاوضات. وهي الدولة الأولى التي كانت ترفض مثل هذا الأمر. أما الآن، فإنها قد تأكدت أن عناصر الاستفراد بكل بلد عربي قد تأمنت أكثر من أي وقت مضى. والاستفراد هو الذي يحقق لإسرائيل أكبر قدر من أهدافها. تندرج اتفاقية كامب ديفيد، واتفاقية أوسلو واتفاقية السلام الأردنية الإسرائيلية، تحت هذا العنوان: (الاستفراد). وحققت إسرائيل في كل حالة أهدافها المرحلية ومراميها. الفرصة الأهم التي أتيحت للعرب للخروج من الاستفراد هو في عقد مؤتمر مدريد. ولكن الولايات المتحدة، راعية المؤتمر، ومن خلفها إسرائيل، كانت تعلم مسبقاً أن شكوك الأطراف العربية ومخاوفها من بعضها البعض أكبر في كثير من الأحيان من شكوكها ومخاوفها تجاه الولايات المتحدة. وتفرق العرب المفاوضون بعد مدريد. ولأغراض الأمانة الفكرية أريد أن أسجل أن انهيار العمل العربي المشترك بعد حرب الخليج لم يكن العامل الوحيد الذي أدى إلى التحرك الأمريكي لحل الصراع العربي الإسرائيلي والقضية الفلسطينية. فهناك عوامل أخرى منها انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة وتقلص الدعم المعنوي السياسي لوجهة النظر العربية. وكذلك انحسار الأرصدة العربية وعدم وجود تسليحي بديل لتلك الدول التي تستخدم الأسلحة الروسية.

نعود إلى الحركة الصهيونية لنقول أن مشروعها لازال مستمراً بل يتصاعد. والمشروع الصهيوني هو مشروع يعتمد على سياسية المراحل وتراكمي. في بداية القرن لم يكن في فلسطين إلا بضع عشرات الآلاف من

اليهود. وكانوا هم الأقلية والفلسطينيون الأكثرية. ولكن المشروع الصهيوني لم يأبه بذلك، بل ركز على الأرض وعلى حيازتها. وعندما تمكن من الأرض بطرقه المختلفة أعلن قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ أي بعد ٥٠ عاماً بالتمام والكمال على عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل. ومنذ ذلك الوقت، تاريخ إنشاء إسرائيل، أصبحت هي الوريث الشرعي للحركة الصهيونية.

وبعد حوالي ٢٠ عاماً من إنشائها، قامت إسرائيل باحتلال باقي فلسطين وبدأت بتنفيذ مرحلة جديدة من مخطط الحركة الصهيونية. وبدأت مرة أخرى تستحوذ على الأرض وتبني المستوطنات في الضفة الغربية وغزة. وفي هذه المرة أيضاً، كانت إسرائيل تعلم أن الفلسطينيين هم الأكثرية والمستوطنون هم الأقلية. ولكنها تخطط لقلب المعادلة السكانية بوسائلها الخاصة وعبر فترة زمنية. وعندما تصبح بنود المعادلة لصالحها، سوف تعلن عن ضم باقي فلسطين إلى السيادة الإسرائيلية. ومن هنا تنبع المخاوف من إقامة الوطن البديل. وأعتقد أنها مخاوف حقيقية، بل أتمادى وأقول أن إسرائيل والولايات المتحدة تعملان على تهيئة الظروف لإنجاب هذا المخلوق غير الشرعي.

والمشروع الصهيوني يستعمل الآن أساليب مختلفة لتحقيق أهدافه. فأدوات إسرائيل أثناء الحرب الباردة، اختلفت عنها في عصر العالم أحادي القطبية، عصر المصالح الاقتصادية والعولمة، عصر التكنولوجيا والعلم وثورة المعلومات، بل عصر الأنظمة الديموقراطية. وأصبحت إسرائيل تستعمل الأدوات التي تناسب العصر. وهي تفتح لها دائماً آفاقاً جديدة. الباب الجديد التي ولجت إليه مؤخراً وسوف يظهر أثره في السنوات القادمة، هو نجاح إسرائيل في الربط مع كنائس مسيحية تدعو إلى الديانة اليهودية- المسيحية المشتركة، وتؤمن بالتوراة مثل إيمانها بالإنجيل. وهي بالتالي تؤمن بإسرائيل كمعتقد ديني، تماماً كما يؤمن اليهودي بإسرائيل. وقد أصبحت هذه الفئات تعد بعشرات الملايين في الولايات المتحدة وحدها.

وخطوات الفاتيكان تجاه إسرائيل واليهود منذ عام ١٩٦٣ وصولاً إلى عقد اتفاقية هامة جداً بينهما عام ١٩٩٣ ثم عام ١٩٩٧ وصولاً إلى الإعلان البابوي قبل أسابيع حول محرقة النازية لليهود، وما هي إلا خطوات على نفس الطريق.

لقد كان القرن التاسع عشر هو عصر الصراع بين القوميات. وكان القرن العشرين هو عصر الصراع بين الأيديولوجيات، فهل يكون القرن الواحد والعشرين هو عصر الصراع بين الأديان؟

وذكرى مرور خمسين عاماً على إنشاء إسرائيل واغتصـاب فلسطين يجب أن تكون وقفة تأمل للماضي وللمستقبل. يقول المؤرخ الفيلسوف توينبي إن الأمـم عندما تواجه تحدياً حقيقياً إما أنهـا تواجهه وتعيش وإمـا أن تهرب من التحدي وتندثر. نحن أمة عربية واجهت التحديات عبر آلاف السنين وانتصـرت وبقيت. ولكننا في هذا العصر، لازلنا لا نواجه التحدي بما يستحقه من نضـال. فهذا التحدي هو أخطر ما واجهناه لأنه ليس إلاستعماراً احلالياً. يقتلع السكان ويلغي مظاهر التراث والجذور، ليأتي بسكانه وينشأ تراثه وثقافته.

* * *

أجوبة الأستاذ: محمد مساعد الصالح

كاتب وصحفي،
رئيس تحرير جريدة الوطن الكويتية الأسبق

س١: لماذا هزمنا.. وأية عوامل ترونها أسباباً في انحسار المشروع الوطني الفلسطيني بدءاً من تحرير كامل فلسطين وصولاً إلى المرحلة الراهنة.

الجواب: لماذا انهزمنا أو بالأحرى لماذا انتصر الكيان الصهيوني يستدعي أن نستعرض إنجازات الحركة الصهيونية التي جعلتها تنتصر وننهزم نحن هذه الأسباب نجملها بالنقاط التالية:

١- نجحت الحركة الصهيونية عبر تنظيمها المحكم في ربط كافة التجمعات اليهودية في العالم.

٢- استطاعت الحركة الصهيونية أن تنشئ علاقة قوية مع بريطانيا ثم أمريكا باعتبارهما دولاً إمبريالية تربطهما مصالح مع الكيان الصهيوني.

٣- استطاعت الحركة الصهيونية في إقناع آلاف اليهود بالهجرة إلى فلسطين التي سمتها أرض الميعاد مستفيدة من الاضطهاد الذي تعرض له اليهود كما حدث في ألمانيا.. بل أن الحركة الصهيونية صارت تفتعل عداءاً بين اليهود والمواطنين لإقناعهم بالهجرة إلى فلسطين.

٤- ومن أجل استيعاب اليهود للسكن في الأرض الجديدة في فلسطين فإنها شجعت إقامة المستوطنات ومن خلال السكن للمستوطنين الجدد في هذه المستوطنات استطاعت الصهيونية من تشكيل العصابات المسلحة مثل الهاغاناه ثم الأرغون ثم شتيرن مستفيدة من تشجيع سلطة الانتداب

البريطانية التي لقيت منها كل موازرة وتشجيع.. في مقابل هذا كان العرب خاضعين للاستعمار المباشر أو غير المباشر من قبل بريطانيا وفرنسا وطبيعي أن تلعب بريطانيا حليفة الصهيونية من عدم تمكين العرب لمقاومة الحركة الصهيونية الزاحفة إلى فلسطين.. بل كان الشعب العربي مشغولاً في الكفاح ضد الوجود الاستعماري في شتى أنحاء الوطن العربي.

س ٢: بعد مئة عام على قيام الصهيونية كحركة سياسية.. هل ترون أن المشروع الصهيوني قد تغير.. وما هي أبرز ملامح التغيير إن وجدت.

الجواب: الحركة الصهيونية وضعت مخططاً علمياً لإنشاء دولة إسرائيل التي قسمت العرب إلى شرق وغرب.. ولا تزال في خطتها هذه ولا تغيير استراتيجي في تحقيق أهدافها.. وإذا كان هناك تغيير فهو في الوسائل أو التكتيك.. فاتفاقية كامب ديفيد مع أكبر دولة عربية قد حيدت أكبر قوة عسكرية وبشرية في الوطن العربي.. كما أنها أعطت المجال للدول العربية الأخرى للحل المنفرد فكان اتفاق منظمة التحرير الفلسطينية مع إسرائيل في اتفاقية أوسلو ومع الأردن في اتفاقية وادي عربة.. ولا تزال إسرائيل تعرض الانسحاب من جنوب لبنان في محاولة لجعل سورية منفردة.. وهكذا بدلاً من أن يجابه العرب الكيان الصهيوني كوحدة قائمة بذاتها نجد أن اتفاقية كامب ديفيد قد فتحت المجال للحلول الفردية بالإضافة إلى الشروط المجحفة التي تضمنتها هذه المعاهدات مثل التطبيع السياسي والثقافي..

س ٣: ما هو تأثير الاتفاقيات المبرمة بين إسرائيل وعدة أطراف عربية.. كامب ديفيد.. وادي عربة واتفاقيات أوسلو على مجرى الصراع العربي الصهيوني.

الجواب: هذه المعاهدات تمثل انحرافاً في المسار القومي لتحرير فلسطين من الاغتصاب الصهيوني.. ويخطئ من يظن أن بالإمكان أن يتعايش العرب مع الكيان الإسرائيلي.. كما أنه من السذاجة الاعتقاد أن هذه المعاهدات ستنهي الصراع العربي الإسرائيلي لمصلحة العرب.. وما يحدث هذه الأيام بين الفلسطينيين وإسرائيل خير مثال.. فالخلاف بين أمريكا وإسرائيل يدور حول الانسحاب من ١٣ في المائة من أراضي الضفة الغربية وبين ما تريده إسرائيل من الانسحاب ٩٪، حتى مطار غزة ليس من حق السلطة الفلسطينية فتحه ولا تستطيع هذه السلطة مباشرة أي عمل إلا بعد الاستئذان من إسرائيل وكذلك الأمر

بالنسبة للدول العربية التي وقعّت اتفاقيات مع إسرائيل فإرادتها ليست حرة ولا تستطيع ممارسة دورها كدول مستقلة. وعلى سبيل المثال ورغم الاعتداءات الإسرائيلية على جنوب لبنان.. ورغم التشدد الإسرائيلي تجاه العرب فإننا لم نسمع عن سحب سفير عربي من تل أبيب.. فأي استقلال وأي تحرير إرادةٍ هذه التي ترددها أجهزة الإعلام العربية الرسمية.

س٤: كيف ترون ضرورة الربط بين الخاص الوطني والعام القومي من أجل الجبهة الوطنية الشعبية العربية العريقة لمقاومة المشروع الصهيوني سياسياً واقتصادياً وثقافياً.

الجواب: في رأيي المتواضع لا حل للصراع إلا إذا توحد العرب فإسرائيل قامت لتعزّز التجزئة ونجحت في ذلك مع الأسف الشديد.. فإذا كان العرب قد دخلوا الحرب عامٍ ١٩٤٨ سبعة كيانات عربية فإنه كان من المفترض أن يكونوا حالياً كياناً واحداً لمجابهة إسرائيل.. ولكن ما حدث هو العكس.. فقد صار العرب ٢٢ كياناً.. وهذه مشكلتنا الرئيسية وإذا كانت الوحدة العربية صعبة التحقيق في وجود ٢٢ حاكم عربي ليسوا على استعداد للتخلي عن كراسيهم.. كما أنه ليس بينهم شكري القوتلي أو سوار الذهب فإنه لا أقل من البدء في التنسيق والتكامل.. ولنبدأ في الاقتصاد فهو المحرك للعمل السياسي.. أننا إذا أردنا الانتصار على إسرائيل فلا بديل من تحقيق الوحدة العربية.

س٥: على ضوء المستجدات السياسية الراهنة.. كيف ترون أشكال الخروج من المأزق.

الجواب: على الشعب العربي أن يؤمن بالأولويات.. وأولها هي أن الوجود الإسرائيلي خطر داهم على الوجود العربي ومن هنا فإنه يجب حشد كل الطاقات مع العدو الصهيوني.. إذ لا تقدم عربي بوجود الكيان الصهيوني ومن هنا فإنه يجب تحقيق الإصلاحات التالية:

١- وجود نظام عربي ديمقراطي حيث ينتخب الشعب حكامه وحيث لا يخشى الحاكم من شعبه.. فالملاحظ أن ترسانات الأسلحة في الأقطار العربية كلها مخصصة لخدمة الحاكم وليس لمحاربة العدو الإسرائيلي.

٢- ضرورة تطبيق التكامل الاقتصادي كمرحلة من أجل تحقيق وحدة عربية شاملة.

٣- وإلى أن يتحقق ذلك فالمطلوب تنمية الضفة الغربية وقطاع غزة ليمكن بناء الكيان السياسي إذ لا يمكن أن يضطر العمال الفلسطينيون إلى المشاركة في بناء المستوطنات الإسرائيلية.. كما لا نستطيع توجيه اللوم لهؤلاء العمال في ظل الضائقة المالية التي يعيشون فيها.. وإذ كان العمال العرب يشاركون في بناء المستوطنات فالمؤسف حقاً أن العمالة الآسيوية تملأ بلدان الخليج لتساهم في التشييد الهامشي لأنها لا خبرة لديها كما أن تدني الأجور تجعل هؤلاء لا يعملون

محمد مساعد الصالح

* * *

أجوبة المفكر العربي

د. محمد جابر الأنصاري

١٩٩٨/٣/١٧

الجـواب الأول

فيمـا يختـص بالسـؤال الأول... أرى بدايـة أنـه كـان هنـاك فارقـاً فـي القـوة الحضارية بين العرب عموماً وبين المعسكر الغربي المتبني لإسرائيل منذ أن بـدأ الصـراع العربـي الإسرائيلي، أيضـاً فـإن إسـرائيل نفسـها بخصائصهـا المعينـة المجتمعيـة.. إذا مـا قورنـت بـأي مجتمـع عربـي فإنهـا تمتلـك عنـاصر قـوة فيمـا يختـص بـالصراع التكنولوجـي والعلمـي والعسـكري، وهـذه القـوة انعكسـت فـي المجال السياسي بطبيعة الحال، وهذه.... خاصيـة مهمـة من خصـائص العصـر الحديث، إذ في هذا العصـر لا يمكـن لأيـة قـوة تمتلـك فروسـية القتـال أن تحقـق نصراً ما لم تمتلك فارقاً في القوة التكنولوجية والقوة الحضارية بصفة عامة. فـي العصور القديمة كان من الممكن لقوى غير متقدمة حضارياً أن تنتصر على قوى متقدمة حضارياً بسبب عنصر الفروسية لديها.. لكن هذا لم يعد ممكناً في العصر الحديث، دائماً فإن الهامش التكنولوجـي الحضـاري هـو الـذي يحسـم فـي النهايـة المعركة... هذا جانب... وهذه مسألة طويلة النفس، وكان على العرب أن يلتفتـوا لهذا الشيء، والنهضة العربية التفتت لهذا الجانب، لكـن المسيرة الحضاريـة فـي العالم العربي انتكست لأسباب ربما ليس هناك الآن مجالاً لتفصيلها، لكن الفـارق الحضاري مازال قائماً بيننا وبين المعسكر الغربي المتبنـي لإسـرائيل ولإسـرائيل ذاتها... هذا أولاً.

ثانياً، كان من الممكن التعويض عن الفارق بتكثيف القـدرات العربيـة كلهـا في جبهة عربية سياسية وقتالية واحدة وهذا ما تمت محاولته في الواقع ربما بعـد

عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٦٧، ولكن لأسباب معروفة للأسف لم يتمكن العرب الاستمرار في هذه الجبهة السياسية والعسكرية الموحدة وهذا غير عائد فقط في طبيعته لعوامل الصراع العربي الإسرائيلي وإنما أيضاً لعوامل عربية ذاتية، فلماذا لا تستطيع الكيانات العربية حتى الآن تكثيف جهودها في موقف سياسي وعسكري واحد؟ سواء بالنسبة للقضية الفلسطينية أو لقضايا عربية أخرى، هذا بحث يطول، ولكن هنا نسجل أن افتقاد عنصر الوحدة كان من الأسباب التي أدت إلى هزيمتنا كعرب وإلى انحسار المشروع الوطني الفلسطيني من تحرير كامل فلسطين وصولاً إلى المرحلة الراهنة.

ثالثاً، يوجد سبب آخر، سبق وأن أشرت إليه في أبحاثي عدة مرات، وهو يتعلق بتكوين العرب السياسي... إن هناك تقصيراً سياسياً تطبيقياً وفكرياً في مختلف المجتمعات العربية، فأيضاً حتى وعندما انحسرنا في الموضوع الفلسطيني وفي العمل الفلسطيني القطري انعكس القصور العربي العام في العمل الفلسطيني القطري بطبيعة الحال، وأدى أيضاً إلى أخطاء في الممارسة السياسية... حتى لو أخذنا المسألة في إطارها القطري ومنذ بدأ تطبيق اتفاق أوسلو في واقع الأمر، أنا لم يكن لدي وهم بشأن السقف السياسي لهذا الاتفاق، فالسقف السياسي واضح تماماً وهو أن إسرائيل ستفرض وتملي هذا السقف من حيث منع قيام دولة فلسطينية مستقلة أو إرادة فلسطينية حرة، لكن ما كنت قلقاً بشأنه هو: حتى في نطاق السلطة الفلسطينية وفي نطاق الممنوح والمسموح... إلى أي مدى سنستطيع إثبات قدرتنا على إدارة السياسة، وبخاصة إدارة السياسة المحلية، وهذا أيضاً وبعد التجربة... اتضح أن هناك مواطن قصور ليست خاصة بالفلسطينيين وحدهم بطبيعة الحال.. وإنما خاصة بهذا القصور السياسي العربي العام في إدارة الحياة السياسية العامة.

إذن أستطيع تلخيص الإجابة على السؤال الأول، بثلاثة أسباب: الفارق الحضاري، افتقاد الوحدة العربية، القصور السياسي العربي العام الذي انعكس فلسطينياً حتى في الدائرة القطرية الفلسطينية.

الجواب الثاني

في الإجابة على هذا السؤال أرى: أن التغيير الذي حصل هو اضطرار الحركة الصهيونية إلى الاعتراف بالوجود الفلسطيني، كون أن الإسرائيليين الآن وبعد مقولة غولدا مائير الشهيرة: أين الفلسطينيون؟ إني لا أراهم! فحتماً ومن

ناحية مبدئية وأياً كانت النتائج الآنية.... فاضطرار إسرائيل للاعتراف بالوجود الفلسطيني هي نقطة تحول في المشروع الصهيوني.

نقطة التحول الثانية المهمة في المشروع الصهيوني: هي افتقاد مثالية البداية في المشروع الصهيوني وحدوث تطورات داخلية في الكيان الإسرائيلي باتجاه التأقلم مع الواقع الشرق أوسطي. ما طرح في البداية في فكر هرتزل من أن إسرائيل ستكون واجهة الحضارة الغربية لهذه المنطقة العربية المتخلفة، يعني أن المسألة لم تعد مطروحة بهذا اللون الأسود أو الأبيض، والتجربة العملية والواقعية لإسرائيل نفسها وباعتراف كثير من المفكرين الصهاينة في أن هذا الحكم الصهيوني بدأ ينجرح على أرضية الواقع، وبدأ الكيان الصهيوني يفتقد للقيادات التاريخية أو ما يتصورونه قيادات تاريخية"وحتى أعتقد أن ناحوم غولدمان نفسه في واقع الأمر كتب مقالاً منذ عدة سنوات قال فيه: إن زعماء إسرائيل الحاليين أصبحوا بمثابة زعماء أحياء وزعماء مناطق وليسوا زعماء لدولة أو لمشروع حضاري.

وربما كان نتنياهو الآن ومعه شارون يمثلان هذا التحول في المرحلة الراهنة.

الجواب الثالث

في الجواب على هذا السؤال أقول: إن الإشكالية الرئيسية بين العرب وإسرائيل هو الاختلال في ميزان القوى، والاتفاقيات التي ذكرتها في هذا السؤال هي تحصيل حاصل لهذا الخلل- ولا تنسى أننا قبل هذه الاتفاقيات وعندما كنا سائرين في الخيار العسكري... يعني أيضاً أن الاختلال في ميزان القوى هذا انعكس في خيار الحرب، واختلال القوى مثلما ينعكس في خيار الحرب... فهو ينعكس أيضاً في خيار السلم، والمهرب ليس من الحرب إلى السلم أو من السلم إلى الحرب كما ينادي الآن بعض العرب... ولكن الخلاص والحل هو في كيفية معالجة اختلال توازن القوى، لأن ميزان القوى إذا كان في غير صالحك.......

فإذا دخلت حرباً أو سلاماً في هذه الحرب.... فكلاهما سيكونان في غير صالحك، إذن العبرة تكمن في توازن القوى وليست بهذه الاتفاقيات أو بالتوجه سلماً أو حرباً.

إن التحدي الآن كبير جداً، وتوازن القوى في النهاية عائد إلى الإرادة

العربية وإلى التوجه لحل القصور الذاتي العربي. نحن نتحدث كثيراً عن نظرية المؤامرة وعن تأثير القوى الكبرى وهذا عامل وارد جداً في المنطقة العربية، والمؤامرة مستمرة، ولكن السؤال: ما الذي يسمح لمفعول المؤامرة أن يستمر؟

نحن منتبهون إلى أن هناك مؤامرة... ونرى شواهد كثيرة لهذه التدخلات الغربية-إن شئت أن تسميها بمؤامرة- وهذا شيء طبيعي، فالقوى الكبرى تتدخل لصالحها، ولكن لماذا نحن مندهشون ومستغربون من هذا التدخل ومن ازدواج معاييرها؟ هذه ليست جمعيات خيرية، وإنما قوى لها مصالح وستعمل وفقاً لمصالحها، والتاريخ يتحرك بهذا الشكل ولا يتحرك بالشكل الأخلاقي البدائي، نحن منذ خمسين سنة نكرر أننا أصحاب حق.. وهذا صحيح... ونكرر أن الغرب مزدوج المعايير... وهذا صحيح أيضاً، ونكرر أن الغرب يتآمر علينا... وهذا أيضاً صحيح!

ولكن ما العمل إذن في ضوء هذه الحقائق التي أصبحت بديهيات؟ والانشغال بتكرارها والاكتفاء بها لن يفيدنا شيئاً، لأن المطلوب هو أن نتوجه لمعالجة القصور الذاتي العربي في التكوين العام وليس فقط في تغيير النظام السياسي أو الموقف في التحول من الحرب إلى السلم أو من السلم إلى الحرب، وإنما التغيير يجب أن يكون في عمق الكيان العربي نفسه.. وهذه أعترف أنها مهمة صعبة وبعيدة المدى وتحتاج إلى نفس طويل وإلى وعي أيضاً بضرورة التغيير، فنحن ما لم نتوجه إلى الذات وإلى معرفة وتشخيص الذات العربية الجمعية والاعتراف بالأخطاء الموجودة في سلوكنا، يعني الاستمرار في الحديث عن المؤامرة لن يحل مشاكلنا، فأوجه القصور تكمن في السلوك العربي وفي الكيان العربي، فعلى المدى القصير يجب أن لا نوهم أنفسنا بإمكانية حدوث تحولات كبيرة.

الجواب الرابع

يجب أن نبدأ من الوطني إلى القومي، وأن لا نقفز إلى النتيجة قبل المقدمة، فالوطني هو المقدمة.... والقومي هو النتيجة وهناك خلل في مفهومنا للواقع أيضاً نابع من عقلية المؤامرة: فالمقصود بأن كياناتنا الوطنية كلها عبارة عن مؤامرة استعمارية وكلها تجزئة مصطنعة هو تصور تنقصه العلمية، فإذن يجب أن لا نتعامل مع الوطني وننتظر القومي لينزل علينا من علياء التاريخ أو من علياء التطورات المثالية والأيديولوجية، هذه ليست طريقة عملية مفيدة لمعالجة

وضعنا الراهن، فسواء كان الوطني نتيجة لتجزئة دولية أو لتطور تاريخي، والكيانات العربية في الواقع هي إما هذا أو ذاك، لكن نحن الآن في اللحظة الواقعية الراهنة أمام واقع وطني لكل شعب عربي، وما لم نبن الجبهة الوطنية، ونحسن من انتمائنا الوطني ونعرف كيف نقيم المجتمع المدني، وكيف نقيم الدولة الوطنية ونعمق من انتمائنا الوطني فيما يتجاوز القبائل والحدود المحلية الضيقة، والمذاهب والطوائف، فإذا لم نخلق الانتماء الوطني... لن نستطيع أن نخلق الانتماء القومي.

وفي واقع الأمر، فإن مرور الفكر القومي المشرقي بتجربة سايكس بيكو خلقت لدينا منطقة سوداء في النظر إلى الموضوع، إذ أن الكيان الوطني من وجهة نظر الكثيرين.... لا يمكن النظر إليه! إذا نظرنا بالمقابل لتجربة المغرب العربي... نلاحظ أن الأشقاء هناك لا يعتبرون كياناتهم الوطنية تجزئة مصطنعة، لكنهم يعتبرون أنهم ناضلوا من أجل هذا الاستقلال الوطني وقيام هذا الكيان الوطني، ويعملون الآن من داخل تطوير هذا الكيان الوطني إلى بناء المغرب الكبير، ولابد من الإشادة هنا بالتجربة المغربية(وأقصد تحديداً المملكة المغربية) التي قامت على أساس وجود دولة وطنية ذات امتداد تاريخي، ولا نستطيع القول أنها قامت على أساس تجزئة استعمارية.... فهذا واقع تاريخ قائم، والكيان المغربي منذ أيام الأدارسة انفصل عن الدولة العثمانية، فإذا يجب أن نتعامل مع التاريخ كتاريخ وهذا تاريخنا. الآن في المغرب المعارضة أصبحت حكومة، وقيام حكومة اليوسفي ومن خلال تطور ديمقراطي وتثبيت للدولة والوطن...... رغم أنها لم تكن مسيرة مثالية، أنا لا أقول أنها كانت مسيرة مثالية... بالرغم من ذلك أمكن الوصول إلى هذا الوضع، أشير أيضاً إلى الوحدة الوطنية في اليمن فقيام اليمن الكبير اليوم هو الخطوة الطبيعية، أما فيما لو أصرت صنعاء على قيام الوحدة مع طرابلس الغرب وأصرت عدن على الوحدة مع مسقط..... فلن يؤدي ذلك إلى ما هو مطلوب.

فالتجربة المغربية إذن هي نموذج للتطور السياسي، والتجربة اليمنية هي نموذج للتطور الوطني، فقيام الوطن اليمني الكبير في هذه المرحلة دليل على وجوب البدء من بناء الأوطان وأن يبدأ كل قطر عربي من البناء القطري..... لذلك لابد من العمل أولاً على الصعيد القطري من أجل الوصول إلى التقارب والتكتل القومي، وأعتقد أن هذا يشكل جوهر المسألة، فعندما سئل أحد الزعماء المصريين(سعد زغلول أو غيره لا أذكر): لماذا لا تدعو إلى الوحدة العربية؟

قال: (إن صفر+ صفر يساوي صفر) وهذه المقولة صحيحة، بمعنى إذا ظلت أوطاننا منهكة ومقسمة وتعاني مما يشبه الحرب الأهلية ومتخلفة حضارياً.... فهذه الأوطان إذا دخلت في مشروع وحدة(هذا إذا أمكنها الدخول أصلاً في مثل هذا المشروع!)

ماذا ستنتج؟ إذن يجب أن يبدأ كل بيت عربي ببناء بيته.

الجواب الخامس

أنا لا أرى ضوءاً في نهاية النفق السياسي آنياً، على المدى القريب، لكني أرى ضوءاً في نهاية النفق التاريخي والنفق الفكري، وذلك مشروطاً بالبدء بوعي : ختلف وخصوصاً في الخطاب السياسي العربي والأيديولوجي كذلك.

أنا أعتقد أنه في اللحظة الراهنة على السياسيين أن يبدأوا ويحاولوا إنقاذ ما يمكن إنقاذه، والحركات السياسية العربية عليها أيضاً أن تحاول ذلك، ولكن علينا أن لا نوهم أنفسنا بأننا نستطيع إحداث انعطاف حاد قريب في المعركة السياسية أو العسكرية الراهنة، لكننا في ضوء التجارب الكثيرة القومية المريرة التي مررنا بها، وفي ضوء المتغيرات العالمية وضغط تيار العولمة حالياً يجب أن نعود إلى الذات... ... ... وأعتقد أن اللحظة الآن هي لحظة فكرية ولحظة ثقافية.

يستطيعون أن يمنعونا الآن من تحقيق الوحدة العربية، لكن لا تستطيع قوة في العالم أن تمنعنا من تغيير الوعي الداخلي الذاتي لدينا وتصحيحه، فالمسألة إذن لحظة ثقافية، والمطلوب صحوة عقلية في الوجدان العربي.... قبل الحديث عن الصحوة الدينية، فهذه إذا لم تقترب من الصحوة العقلية...... فلن تكون صحوة حقيقية، لذلك أرى أن المستجدات السياسية الراهنة ستبقى كما هي إلى حد كبير، وقد تتغير العناوين، ولكن لن تتغير الصورة كاملة... إلا إذا بدأنا مراجعة فكرية وثقافية شاملة وأعتقد أن اللحظة هي لحظة ثورة ثقافية وفكرية عربية قبل أن تكون ثورة سياسية.

* * *

أجوبة الأستاذ: كريم مروّه،

مفكر وكاتب وسياسي لبناني

١- لماذا هزمنا؟ وأية عوامل ترونها أسباباً في انحسار المشروع الوطني الفلسطيني بدءاً من تحرير كامل فلسطين وصولاً إلى المرحلة الراهنة؟

- أشعر بما يشبه الخجل، من ذاتي ومن ذات الأمـة، كلما طـرح علـي، أو على سواي، هذا السؤال، وما أكثر ما يطرح: لماذا هزمنا؟ وكأن هذه الهزيمة وقعت بالأمس القريب، أو كأنها وقعت مرة واحدة. ومصدر هذا الشعور هو أن السؤال يتكرر، بدون حساب للزمن الذي مر، والزمن الذي يستمر في المرور، من دون مراعاة لمشاعرنا. وهل، يا ترى، باستطاعة حركة التاريخ أن تتوقف لكي نستوفي، نحن العرب، شروط دخولنا فيها، على أفضل وجه؟

خمسون عاماً مضت على"النكبة"، الهزيمة الأولى في تاريخ هزائمنا التي لا تنتهي. وكاد تكرار هذه الهزائم، منذ ذلك التاريخ الأول، أن يتحول إلى ظاهرة، لأنه يحدث في صورة دورية، كل عقد أو عقدين من الزمن، ودائماً حول القضية المحورية، قضية فلسطين أو حول جانب من الجوانب المتصلة بها، أو الموصلة إليها.

السؤال: إذن، حول أسباب الهزائم التي تتكرر في حياتنا ليس جديداً. بل هو مطروح، بصورة دائمة، علينا، بالدرجة الأولى، بالجمع وبالمفرد، وعلى كل من له علاقة، من قريب أو بعيد، بقضايانا، في هذا العالم الواسع. إلا أن الكارثة لا تنحصر في طرح السؤال، ذاته، على هذا النحو من التكرار الممّل. بل هي تكمن، أساساً، في أن الجهد الذي بذل في تقديم الإجابة عن السؤال هو جهد كمي، لم ينتج إجابة حقيقية، الأمر الذي جعل السؤال قائماً، ثابتاً في مكانه، من دون أي تعديل. ولأنني من جيل النكبة، فإنني أتذكر ذلك الكم الهائل من الأبحاث التي تضمنتها كتب، ومحاضرات، وندوات، ومؤتمرات، حول الأسباب التي أدت إلى وقوع النكبة. ومثل هذا الكم من الأبحاث كان يتكرر كلما كنا نقع في هزيمة

جديدة. ولعل أكثر هذه الأبحاث كما هي تلك التي أعقبت هزيمة حزيران. إذ أن مستوى الوعي في الحركة الوطنية العربية كان قد ارتقى أكثر من السابق، ولأن مشروعاً نهضوياً كان قد بدأ في الصعود، مع صعود عبد الناصر، ومع التطور الذي شهدته الأحزاب والحركات ذات الطابع الثوري التغييري. ومع ذلك فإنني أزعم أن كل هذه الأطنان من الأبحاث لم تقدم جواباً حقيقياً عن السؤال الذي ما يزال يطرح، كما لو أن النكبة وقعت بالأمس القريب. إذن، لابد من تغيير نوع السؤال ووجهته وموضوعه. واقتراحي هو أن يكون على النحو التالي: ما هي الأسباب التي حالت، حتى الآن، دون قدرتنا على معرفة الأسباب التي أدت إلى وقوع أول هزيمة، منذ خمسين عاماً، والأسباب التي تستمر في توليد الهزائم، من دون توقف؟ وطرح السؤال على هذا النحو يحمل، في ثناياه، إشارة إلى احتمال أن تكون الهزيمة في مستوى الظاهرة، التي تتخذ طبائع ثبات نسبي في حياتنا.

ولعلي أسهم، هنا، في تقديم بعض جوانب من مشروع جواب عن السؤالين المشار إليهما، حين أقول:

أولاً، بأننا بكل تياراتنا الثورية، ولو بنسب متفاوتة، لم نتوصل، بعد، إلى معرفة دقيقة وشاملة، بواقع بلداننا، بالجمع وبالمفرد. والسبب الأساسي في إعاقة هذه المعرفة هو، في تصوري، ما أسميه القراءة المؤدلجة للواقع، أي القراءة بأفكار مسبقة، في أحد شكلين لهذه الأفكار: الماضوية والسلفية، عند البعض، والثورية التي تسابق الزمن وتتجاوزه، عند بعض آخر. فكيف يمكن، والحالة هذه، وضع خطة لتغيير هذا الواقع، باتجاه الأفضل، إذا كانت القراءة مغلوطة، وغير واقعية؟

ثانياً، بأننا غالباً ما نتجاوز محاسبة الذات، في السلب والإيجاب، لدى أي حدث، ولدى أي منعطف، وعند وقوع الهزائم والانكسارات، ونركز، في تحديدنا لأسبابها، حتى ونحن نمارس النقد الذاتي، على دور العوامل الخارجية. فهذه العوامل الخارجية هي، بالنسبة لنا، وبصورة دائمة، وقطعية، المسؤولة شبه الوحيدة عن هزائمنا. أما ذاتنا الكريمة فلا نكاد نرى فيها أي عيب، ولا نكاد نرى فيها أي خلل، ولا نكاد نحملها أي مسؤولية فيما يحصل لنا.

فهل يمكن لمثل هذا النوع من التحليل، والبحث، والمحاسبة، أن يقود إلى نتيجة حقيقية من نوع ما نحن بحاجة إليه للإجابة عن الأسئلة التي

تطرحها علينا أحداث حياتنا ومآسينا وهزائمنا؟ للعوامل الخارجية، بالتأكيد، دور كبير في وقوع الهزائم. لكن العوامل الداخلية هي التي تهيء الشروط الحقيقية لكي تمارس هذه العوامل الخارجية دورها الحاسم. هنا، على وجه التحديد، يبرز الخلل في ممارسة النقد الذاتي. ولأننا لم نتعود على مثل هذا النقد، فإن أي محاولة لنقد الذات تبدو وكأنها إعدام لهذه الذات. في حين أن نقد الذات هو شكل من أشكال تنقيتها، وشكل من أشكال تجديد الدعم لها، وتجديد الحياة فيها.

ثالثاً، بأننا، حتى إذا دخلنا في حساب الذات، فإننا ندخل فيه من الباب الغلط، من باب الصراع بعضنا مع بعض، في شكل دائم من الحروب الأهلية داخل الأحزاب والتيارات، وفيما بينها. أن ذلك يشير إلى أن عدم ممارسة النقد الذاتي هو تعبير عن رسوخ فكرة الاستبداد في داخلنا، الذي يسهم في تكريس هذا الاستبداد على صعيدي الدولة والمجتمع، في آن.

رابعاً، بأننا نكثر من البحث عن الهوية، أو الخصوصية، إلى الحدود التي تجعلنا خارج العصر، وخارج تطوراته العاصفة، بحيث نرى في كل ما يأتينا من معارف وعلوم، من مصادر إنتاجها الحقيقية، بمثابة سلعة للاستهلاك، مثل سائر سلع الاستهلاك، حاملة معها أيديولوجيتها النقيضة، فنستهلكها، ولا نتمثلها، فتفقد، بذلك، فرصة تاريخية لتعزيز حقيقي للهوية وللخصوصية، من خلال امتلاك هذه المعارف، وتمثلها، وتحويلها إلى قوة مادية لصنع التقدم لبلداننا، التقدم الذي يجعلنا، كعرب، بخصوصياتنا، جزءاً متقدماً من الحضارة البشرية.

خامساً، بأننا نخاف من الديمقراطية، حتى ونحن نطالب بتحقيقها، نخاف أن نمارسها، لأننا نخاف من نتائجها التي لا تتفق مع رغبات كل منا، الفردية والجماعية، ما يتصل منها بأنانية الذات الحزبية والفكرية، وما يتصل بأنانية الذات العائلية، والذات الدينية، أو المذهبية، المسيسة، وهلم جرا. ذلك أن الديمقراطية، كما أفهمها، ليست شعاراً تردده ألسنتنا الفصيحة، وليست مطلباً نخوض المعارك، ونقدم الشهداء، من أجل تحقيقه. بل هي مشروع متكامل علينا أن نحدد شكله، ومضمونه، وهدفه، ونحدد آليات تطبيقه، في ظروف بلداننا. والديمقراطية تحتاج منا، قبل أي شيء آخر، لأن نكون، في وعينا لها، في مستوى الأهمية

التي يرتديها تطبيقها في النفوس، وفي العلاقات، أي في الفهم والممارسة، على صعيد الأفراد، والجماعات، والمؤسسات، لكي يؤدي ذلك كله إلى فهمها وممارستها على صعيد الدولة.

تلك هي بعض جوانب من مشروع الإجابة عن السؤال الكبير المتعلق بالهزيمة، وبأسبابها، وبأسباب تكررها الدائم في حياتنا، إلى الحدود التي تكاد تشكل، بتكرارها، ظاهرة ملازمة لتطور بلداننا.

وما أورده، هنا، ليس سوى الشروط الضرورية التي تقودنا إلى المعرفة الكاملة بأسباب الهزائم، من أجل توفير الشروط الذاتية والموضوعية، وإنضاجها، للخروج من دوامة الهزائم، والانتقال إلى عصر النهضة.

على قاعدة هذا المنطق في التفكير أجيب بسرعة على بقية السؤال المتعلق بانحسار المشروع الوطني الفلسفي. وجوهر ما أريد قوله، في هذه القضية، يتلخص في ثلاث مسائل:

الأولى، هي أن المشروع الوطني الفلسطيني كان، منذ البدء، محكوماً بمشروع نقيض هو المشروع الصهيوني، الذي تواطأت في العمل لدعمه، معظم دول العالم، من السلطنة العثمانية، قديماً، حتى الدول الاستعمارية، التي احتلت مكانها في المنطقة. وهذا المشروع لا ينحصر، فقط، بالبحث عن وطن لليهود. فوطن اليهود كان، منذ القدم، المكان الذي يعيشون فيه. وحيث يعيشون ويعملون يصبحون متميزين. المشروع الصهيوني هو، في الأساس، مشروع استعماري. وأغراضه أغراض استعمارية. أما فلسطين فلم تكن إلا الذريعة، بالنسبة للأصحاب الحقيقيين لهذا المشروع، التي بها عملوا على استنفار المشاعر الدينية التوراتية: شعب الله المختار وأرض الميعاد. وهذا ما دلتنا عليه كل أحداث الأعوام الخمسين التي أعقبت قيام دولة إسرائيل، فيما يتعلق بالوظيفة الأساسية لهذه الدولة، على صعيد المنطقة العربية، ومناطق الجوار، في أفريقيا وآسيا. ولأن المشروع الصهيوني كان، ولا يزال، في هذا المستوى من الحجم في القوى والأهداف، فقد كان من الضروري أخذ ذلك في الاعتبار من قبل قوى المشروع الوطني الفلسطيني، في تحديد مشروعهم، وفي تحديد آليات النضال لتحقيقه.

الثانية، هي أن المشروع الوطني الفلسطيني كان على الدوام، حائراً بين فلسطينيته وبين عروبته. وكان الخطأ الملازم للقوى الوطنية الفلسطينية هو توزعها بين اتجاهين: اتجاه يدعو للقرار الوطني الفلسطيني المستقل، واتجاه يدعو لجعل القرار الوطني الفلسطيني قراراً عربياً، بالكامل. وهذه الحيرة، وهذا

التردد، والنزاع الذي تولد، داخل المشروع الوطني الفلسطيني، بين هذين الاتجاهين، أدت كلها إلى إضعافه، بصورة دائمة، رغم كل ما كانت تكتسبه القضية الفلسطينية، بذاتها، كقضية عادلة، من احتضان عربي، ودولي.

الثالثة، هي أن الحكومات العربية كلها مارست، على الدوام، وفي كل الظروف، دور الحاضن للقضية الفلسطينية، بالمعنى الإيجابي والسلبي معاً. ولكن هذا الاحتضان لم يكن في المحصلة في صالح المشروع الوطني الفلسطيني، بالمعنى المعروف لهذا المشروع، أي الوصول به إلى غاياته، المرحلية منها والنهائية. ذلك أن القضية الفلسطينية كانت، في معظم الأحيان، ورقة بيد هذه الحكومات، ولو من موقع قومي، أكثر منها قضية، بذاتها، لشعب فلسطين، صاحب المحصلة المباشرة في تحقيقها.

أشير إلى هذه المسائل الثلاث لأجيب عن السؤال بصورة غير مباشرة. وفي أي حال فإن طرح شعار تحرير كامل التراب، بمعزل عن توفير شروط تحقيقه، كان من الأخطاء الكبرى، التي عبر عنها، في ظروف مختلفة، رفض المرحلية في النضال. وبالطبع فإن الشعارات الكبرى، من نوع هذا الشعار، تغري المناضلين، وتؤجج مشاعرهم، وتغذي حماسهم. ولكن الفشل في تحقيقها سرعان ما ينقلب إلى النقيض.

كل ما قدمته، هنا، من جوانب لمشروع جواب عن السؤال الكبير، يبقى للنقاش. والمجال لا يتسع لأكثر مما قلته.

٢- بعد مئة عام على قيام الصهيونية كحركة سياسية... هل ترون أن المشروع الصهيوني قد تغير؟ وما هي أبرز ملامح التغيير فيه إن وجدت؟

- كل شيء في هذه الدنيا قابل للتغيير. ولا شيء يبقى كما كان. ولا أعتقد أن المشروع الصهيوني، اليوم، هو نفسه الذي كان، منذ مائة عام. ولكن القيمين عليه، والعاملين من أجل تحقيقه، قبل أن يتحول إلى دولة، ثم بعد أن تحول إلى دولة، مازالوا ينطلقون، بعكسنا نحن العرب، من نقطة الانتصار في تحقيق شعاراتهم، الواحد تلو الآخر. وإذا كان لابد من قول كلمة في مجال تقييم التغيرات التي حصلت في المشروع الصهيوني، فإن ما يمكن قوله، بدون تدقيق، وبدون حسم، هو أن اليهود لم يعودوا موحدين على مضمون المشروع الصهيوني، سواء في إسرائيل، بالذات، أو على الصعيد العالمي. إلا أن مجرد وجود دولة يهودية هو، بالنسبة لهم جميعاً، نقطة ارتكاز. ولكن حتى بالنسبة لإسرائيل، ولدورها في المنطقة، ولدور اليهود في بلدان إقاماتهم الدائمة، هناك

اضطراب كبير في الآراء، وهناك اختلافات شتى. ولست في موقع القدرة على قراءة مستقبل هذه الاختلافات وهذه الرؤى. حسبي أن أشير إليها، من دون تدقيق، ومن دون حسم، والدعوة إلى متابعة التطورات، كجزء من الدفاع عن المشروع الوطني الفلسطيني، وليس كترف في البحث والتحليل.

٣- ما هو تأثير الاتفاقيات المبرمة بين إسرائيل وعدة أطراف عربية: كامب ديفيد، وادي عربة واتفاقيات أوسلو على مجرى الصراع العربي- الصهيوني؟

- لاشك أن الاتفاقيات التي عقدت بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية والأردن، والاتفاقات التي يجري العمل لعقدها، بين إسرائيل وسائر الأطراف العربية، قد تركت، وستترك، في المستقبل، تأثيرات كبرى على المشروع الوطني الفلسطيني في صيغته المبدئية. وهذا هو منطق الأمور، ومنطق تطور الأحداث. فمؤتمر مدريد كان نتيجة لحرب الخليج الثانية، ولمجمل الهزائم التي وقعت في الماضي، على صعيد الصراع العربي- الصهيوني. ولم يكن بد من الانخراط في هذا المؤتمر، كمرحلة في النضال لاستعادة الحقوق كاملة. ولكنني أزعم بأن الوصول بالمفاوضات والاتفاقات إلى مبادلة الأرض بالسلام، على أهميته، إذا ما تم ذلك، لن يؤدي إلى إزالة أسباب الصراع، ولن يضع حداً لهذا الصراع. لكن شروط استمراره ستختلف عن السابق. المهم هو أن يدرك العرب جميعاً، والفلسطينيون، خصوصاً، أن النضال في المرحلة المقبلة سيكون أشق وأكثر صعوبة، وسيكون أكثر دقة. والشعارات العاطفية وحدها لا تسمن ولا تغني من جوع، إذا ما هي جاءت مجردة من خطط حقيقية لتحقيقها، ومن توفير الشروط لتكوين وعي حقيقي بهذه الخطط، وبأهمية الالتزام بها، وعدم الخروج عنها وعليها.

معركتنا مع المشروع الصهيوني، بأشكاله وصيغه المختلفة، طويلة. فهل سنتعلم من دروس التاريخ، من تجاربنا الخاصة، وتجارب الآخرين، ما يساعدنا على خوض هذه المعركة بنجاح؟

٤- كيف ترون ضرورة الربط بين الخاص الوطني والعام القومي من أجل بناء الجبهة الوطنية الشعبية العربية العريضة لمقاومة المشروع الصهيوني سياسياً واقتصادياً وثقافياً؟

- الربط بين الخاص والعام، هنا، يحدده، من وجهة نظري، مبدأ الاستقلالية النسبية، في العلاقة بين الوطني والقومي. ألا أن هذه الاستقلالية النسبية إنما

تكبر أو تصغر، بحسب الظروف، والمعطيات. ويبقى الأساس في أية قضية وطنية، هو أنها قضية الشعب المعني بها، بالدرجة الأولى، وإلا فقدت خصوصيتها، وتاهت بين الاحتمالات والفرضيات والمفاهيم والمصالح. والربط الصحيح، على هذه القاعدة، بين الخاص والعام، هو من أدق وأصعب الأمور التي تواجه الشعوب، والحركات الوطنية فيها. ولكنها تصبح أكثر دقة وصعوبة عندما يتعلق الأمر بالبلدان العربية، بالنظر لخصوصية المسألة القومية في هذه البلدان: قومية واحدة تتوزع بين عدة بلدان، يوحدها التاريخ، وتوحدها الثقافة، وتفصل بينها خصوصيات نشأت مع نشوء دول مستقلة، ومع تكون شروط وطنية خاصة، ومصالح، وسوى ذلك مما يجعل المشترك بين هذه البلدان محكوماً، بالضرورة، بمراعاة الخصوصيات لكل منها.

ومع ذلك فإنني، دائماً، من أنصار الدعوة إلى وحدة عربية واقعية، وديمقراطية، تشكل الجامعة العربية إطارها، بعد تعديل وتطوير مواثيقها، ومن أنصار قيام مؤسسات ومنظمات عربية شعبية موحدة، ومن أنصار حركة شعبية تحمل شعارات التقدم والحرية والتكامل، في شتى المجالات، على قاعدة الرابطة القومية والمصالح المشتركة. والشروط الموضوعية متوفرة لكل هذه المهمات. والمهمات، ذاتها، واضحة وضوح الشمس. المفقود، نسبياً، والمطلوب توفيره، بجهد جماعي، هو الوعي والمسؤولية والمبادرة والاستعداد للنضال، بكل أشكاله، وبكل شروطه.

٥- في رأيكم وعلى ضوء المستجدات السياسية الراهنة... كيف ترون أشكال الخروج من المآزق؟

- لا توجد لديّ وصفة جاهزة لأشكال الخروج من المآزق. لكنني أرى أن علينا أن نعيد قراءة تاريخ هذه الحقبة، التي تبدأ بقيام إسرائيل، وضياع فلسطين، وهو ما نصطلح على تسميته بالنكبة. ليس هدف القراءة كتابة التاريخ. الهدف هو الاستفادة من التاريخ لوضع خطة جديدة مختلفة للحقبة القادمة، جوهرها ما أزعم أنني أشرت إلى بعض جوانبه في إجاباتي المتواضعة عن الأسئلة المطروحة.

بيروت في ١٩٩٨/٣/١٢

كريم مروه

* * *

إجابات السيدة/ فريدة النقاش

الكاتبة والناقدة المصرية المعروفة.

الجـواب الأول:

هزمنا لأسباب كثيرة على رأسها طبيعة النظم الرجعية العربية المتعاونة مع الاستعمار التي حكمت البلدان العربية المحيطة بفلسطين، وقد ثبت أن بعضها قد تعاون مع الحركة الصهيونية، وكانت الجيوش العربية مختلفة من تسليحها من جهة، وخاضعة للنظم الرجعية من جهة أخرى ورغم إدراك العرب المبكر ومنذ نهاية القرن التاسع عشر لخطر الحركة الصهيونية لم تتبلور استراتيجية عربية موحدة لمواجهة هذا الخطر، فلم يكن الوعي القومي قد نضج بما فيه الكفاية ليكون حركة سياسية منظمة تواجه المشروع الصهيوني وتكشف عن ارتباطه العميق بالاستعمار. وكانت الشعوب العربية تكافح ضد الاحتلال المباشر لأراضيها، وتعاني من مصادرة حرياتها. بالإضافة لهذا كله كان المشروع الصهيوني مسلحاً بوعد بلفور من جهة، وبالدعم غير المحدود من الدول الاستعمارية من جهة أخرى. أما انحسار المشروع الوطني الفلسطيني بدءاً من شعار تحرير كامل فلسطين وصولاً إلى المرحلة الراهنة فهو محصلة الضعف والتراجع العربي، وانسحاب المشروع التحرري العربي كله الذي انتهى بالتبعية لأمريكا والخضوع أمام الصهيوني. وكانت أسباب انحسار المشروع التحرري القومي العربي كامنة فيه منذ البداية حين نشأ من الفكر ومن الممارسة تناقض مفتعل بين ما سمي بالديمقراطية الاجتماعية من جهة والحريات السياسية من جهة أخرى, وكانت نتيجتها عزل الشعب ومصادرة حريته وحركته المستقلة. حدث ذلك من أكثر تجارب التحرر القومي العربي جذرية وهي التجربة الناصرية التي سار على هديها الكثيرون، وكشفت هزيمة ١٩٦٧ عن الأخطاء

والانحرافات العميقة من هذا المشروع. وكانت هزيمة ١٩٦٧ هي نقطة التحول التي قبل عندها الحرب بقيادة مصر الناصرية فكرة الاعتراف بإسرائيل والتعايش معها على أساس من قرارات الأمم المتحدة. والفارق الرئيسي بين المشروع الناصري والمشروع الساداتي الذي بدأ منعطفاً جديداً من الصراع نجني ثماره المرة الآن هو أن عبد الناصر حين قبل بقرارات الأمم المتحدة أخذ يعد العدة لبناء جيش عصري جديد، وخاض حرب الاستنزاف ببسالة، وراهن على موقف عربي موحد بوسعه أن يفرض السلام العادل والدائم والشامل. وكان الجيش الذي خاض حرب الاستنزاف الباسلة هو نفسه الذي سجل انتصاره المحدود على العدو في أكتوبر ١٩٧٣. والمفارقة هنا هي أن المهزوم من ١٩٦٧ هو الذي أعد لنصر ٧٣ ووضع أسس مشروع عربي للتعايش بندية وعلى أسس عادلة مع إسرائيل على أساس التضامن العربي. بينما قاد مسلسل زيارة السادات للقدس واتفاقيات الصلح المنفرد مع إسرائيل مروراً بكامب ديفيد إلى حالة الضعف العربي التي كانت"أوسلو" ووادي عربة والوضع الراهن كله نتيجة مرة لها. وقد بدأ مسلسل التنازل ونحن منتصرون.

وهنا لابد أن نسجل أن منظمة التحرير الفلسطينية لم تكن في يوم من الأيام بعيدة عن كونها جزءاً من النظام العربي رغم أنها هي التي بدأت الكفاح المسلح، ولم تشكل أبداً نقلة كيفية من الكفاح التحرري العربي يخط معالم ثورية جديدة من هذا الكفاح فتأثرت بالصراعات الداخلية في البلدان العربية وانتهجت سياسة شراء الأنصار وإفساد الحياة السياسية في بعض البلدان العربية والعدوان على استقلال منظمات وأحزاب، وخلق تراتبية طبقية داخل المنظمة نفسها بالرغم من أنها ولدت في زمن ثوري كانت فيتنام فيه قد قدمت نموذجاً بهر العالم بتكامله واتساقه، بينما تقاتلت الفصائل الفلسطينية فيما بينها، ومع النظم العربية من البلدان التي لجأ إليها الفلسطينيون بعد اغتصاب وطنهم ولا أقول أن المنظمة كانت مسؤولة دائماً لكننا لا نستطيع إعفاءها من المسؤولية عن الحالة البائسة، التي وصل إليها الوضع الفلسطيني. وحين أبتدع الشعب الفلسطيني صيغته الخلاقة من انتفاضة الحجارة جرى اللعب عليها فصائلياً، بدلاً من تقديم أقصى العون لها لتنضج آليات الاستقلال، انقضت المنظمة عليها قبل أن تستكمل الانتفاضة بناء مؤسساتها التي أصابت العدو بالذعر. ثم كانت حرب الخليج وكان الموقف الفلسطيني المنحاز لصدام حسين وتأثيره المباشر الفادح على أوضاع الفلسطينيين في الخليج الذين كانت تحويلاتهم المالية إلى الداخل أحد أركان

صمود الانتفاضة وتواصلها والتي عبأت القوى المنتجة في المجتمع الفلسطيني واختل الميزان التجاري الإسرائيلي الفلسطيني لصالح فلسطين لأول مرة وكانت أوسلو هي الطامّة الكبرى لأن المنظمة بدلاً من أن تحتمي بالمظلة العربية في مدريد دخلت في اتفاقية منفردة جديدة على النهج الساداتي وبدأ مسلسل التنازلات الذي لم ينته حتى الآن. وأصبحنا عاجزين حتى عن إرغام العدو على تطبيق اتفاق أوسلو الذي جرى التنازل عن بعض مبادئه من القاهرة. وحين دخلت المنظمة إلى فلسطين بعد أوسلو كنت مع القائلين إنه من الأفضل على أي حال أن تكافح المنظمة من الداخل وأن تشرع في بناء الدولة طوبة طوبة، كما نقول نحن المصريين، ووجودها في فلسطين هو أفضل على أي حال من وجودها في تونس. ولكنها حملت إلى الشعب الصابر الصامد والمكافح في الداخل كل أمراض مرحلة الشتات وصراعاتها المريرة، ومهما تكن المبالغات من حكايات الفساد التي كشفت عنها تقرير اللجنة التي شكلها المجلس التشريعي فإن النتائج العملية لوجود السلطة في الداخل هي نتائج مريرة حيث زادت البطالة وانهار مستوى المعيشة ولم ينشأ نظام ديمقراطي كافح الشعب من أجله. وانتشر الفساد والانقسام الطبقي والفقر حتى وصف أحد الكتاب(الشعب الفلسطيني في ظل السلطة) بأنه شعب يتيم. وعلى هذا الشعب اليتيم أن يكافح الآن على جبهتين: ضد الاحتلال من جهة، وضد طغيان السلطة وفسادها من جهة أخرى.

وما يزيد الطين بلة أن غالبية الشعوب العربية مكبلة وترزح تحت وطأة نظم عشائرية وعائلية استبدادية ولا تمد يد العون للشعب الفلسطيني إلا في الحدود الدنيا.

ولكن بوادر نهوض أخذت تتبلور هنا وهناك، ويتفاقم الغضب الشعبي العربي ضد الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل بصورة تؤذن بالخروج من النفق المظلم خروجاً صحياً. ولعل أبرز وأهم مثل هو نجاح المقاومة الوطنية اللبنانية في الجنوب من إرغام العدو الصهيوني على التفكير جدياً في الانسحاب من لبنان، ولابد من أن نسجل هنا أن الموقف الإسرائيلي هذا أخذ يتغير تحت وطأة المقاومة الباسلة من جهة، ومطالبة الرأي العام الإسرائيلي بالانسحاب من الجنوب اللبناني من جهة أخرى، إذ تحسب الحكومة الإسرائيلية حساب شعبها وتصغي له من نظام قائم على تداول حقيقي للسلطة وهو ما علينا أن نتعلم منه.

١٠الجواب الثاني:

نعم تغير المشروع الصهيوني تغيراً جذرياً حين تخلت الدولة العبرية عملياً عن ما تسميه بأرض إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل-واعترفت- رغم كل السياسات التمييزية والعنصرية الحمقاء بأن هناك شعباً فلسطينياً. وقال"شمعون بيريز" وهو صهيوني قح ما معناه: أن الهيمنة ليس من الضروري أن تتحقق بعدد السكان الذين تسيطر عليهم الدولة وإنما بالقوة الاقتصادية.

وليست إسرائيل في ظل اليوتوبيا الصهيونية الرجعية سوى دولة مثل أية دولة رأسمالية أخرى تتفاقم فيها البطالة ويعيش مليون من مواطنيها الخمسة تحت خط الفقر، وتختلف عن أية دولة أخرى بأن رفاهها يعتمد أساساً على المعونات الخارجية والأمريكية خاصة. والاحتمال ضعيف نتيجة العلاقات العضوية التاريخية بين دولة إسرائيل ومؤسسة الحكم الأمريكية بل وحتى قطاعات واسعة من المجتمع الأمريكي أقول: لذلك أن الاحتمال ضعيف أن يتغير مثل هذا الوضع في المستقبل المنظور، وإذا ما حدث وتغير سوف ينكشف ظهر الحركة الصهيونية والدولة العبرية انكشافاً خطيراً مما سوف يحدث حتماً تغيرات عميقة من بنيتها ومنطلقاتها ذاتها.

كذلك فإن الحركة الصهيونية التي قدمت نفسها باعتبارها حركة تحرير الشعب اليهودي تلقت ضربة قاصمة بقرار الأمم المتحدة لسنة ١٩٧٥ الذي ساوى بين الصهيونية والعنصرية والذي لا يقلل من شأنه أن الضغوط الإمبريالية وتفكك حركة التحرر الوطني العربية والعالمية قد أدت إلى إلغائه، بل إن الأمين العام للأمم المتحدة أخذ يعتذر للإسرائيليين عن صدور القرار.

وانكشاف الروح العنصرية الاستعلائية للحركة الصهيونية مرهون الآن بمدى قدرة العرب والفلسطينيين خاصة على المزيد من فضح الممارسات العنصرية الإسرائيلية، وتشكيل قوة ضغط متصاعدة من المجتمع الأمريكي والمجتمعات الأوروبية.

ولكن الأهم من ذلك كله هو بلورة مشروع للتعايش بين كل الديانات والأعراق على أرض فلسطين ذي مضمون تحرري وتقدمي يزيل الشوائب عن بعض الممارسات العنصرية في عدد من بلدان الوطن العربي جرت حيناً باسم العروبة كما حدث لأكراد العراق، وحيناً آخر باسم الإسلام كما يحدث في جنوب السودان.

إن مثل هذا المشروع التقدمي التحرري العربي المفتوح لكل الديانات والأعراق والأجناس هو وحده الذي سيحدث تغييراً جوهرياً في الصهيونية ويردها إلى الأصل الديني الأسطوري لتفقد وظيفتها كأداة قومية استعلائية. أي باختصار يبطلها.

وقد بدأت في إسرائيل محاولات جنينية لإعادة كتابة تاريخ الدولة يسهر عليها باحثون ومؤرخون جدد يؤكدون على طابع الاغتصاب وطرد الفلسطينيين في وطنهم ويشككون في الحكاية الرسمية.

كذلك فإن مؤشرات تراجع الهجرة إلى إسرائيل بعد كل ما عاناه اليهود السوفييت ويهود الفلاشا السود، ويهود أوروبا الشرقية فضلاً عن أن وجودهم نفسه يشكك في أسطورة النقاء العرقي، فإنه يقدم للعالم صورة لبلد غير متجانس مهدّد بالانفجار من داخله يمكن أن يتقلص سكانه بدلاً من أن يتزايدوا ليحققوا الحلم التوراتي لإسرائيل الكبرى.

الجواب الثالث:

جرى إبرام الاتفاقيتين الأخيرتين أي أوسلو ووادي عربة في زمن كانت الآثار المدمرة لكامب دافيد واتفاقية الصلح المنفرد بين الحكومتين المصرية والإسرائيلية قد مزّقت بالفعل التضامن العربي الذي كان حجر الزاوية في محاصرة المشروع الصهيوني، ويكفي أن نعرف أن إسرائيل قد خسرت على امتداد تاريخها ما قيمته أربعين ملياراً من الدولارات نتيجة للمقاطعة العربية التي عجز العرب بعد كامب ديفيد وأوسلو ووادي عربة عن استعادتها رغم قرار مؤتمر القمة بضرورة العودة للمقاطعة ذلك أن اتفاقيات كانت قد أبرمت وأنشأت شبكات الاتصال وعلاقات تجارية قبل أن يحصل العرب على الحد الأدنى من حقوقهم فيما يخص القضية المركزية في الصراع وهي قضية الشعب الفلسطيني. أهدرت هذه الاتفاقيات عناصر القوة العربية في الصراع وأصبحنا نواجه إسرائيل كل بمفرده وهو أخطر ما حدث.

ورغم أنني أساند إلى أقصى حد خيار السلام والتعايش على أساس التكافؤ والندية بدءاً بالجلاء عن كل الأراضي العربية المحتلة بعد عدوان ١٩٦٧ ووصولاً إلى إنشاء الدولة الفلسطينية المستقلة، فإن هذه الاتفاقيات أدت إلى إضعاف العرب حتى وهم يختارون السلام حيث مزقت شملهم وأخضعتهم للإرادة الأمريكية والإسرائيلية لأنهم حتى بلغة المساومات قاموا بالدفع مقدماً

وعقدوا اتفاقيات سميت باتفاقيات السلام دون أن يواكبها جلاء شامل عن الأرض بل إن الأرض التي جلت عنها القوات الإسرائيلية مثل سيناء أصبحت مقيدة ومنزوعة السلاح ومنقوصة السيادة. أما الأرض الفلسطينية المحدودة التي جرى الانسحاب منها فقد كبلتها المستوطنات والطرق الاتفاقية والشروط التي تنتقص من سيادة السلطة الفلسطينية.

الجوابان الرابع والخامس:

من وجهة نظري سوف يجري حل الصراع ضد الصهيونية تاريخياً، أي حين تتمكن الشعوب العربية على المستوى المحلي في كل بلد على حدة من انتزاع حقوقها الديمقراطية وإزاحة الاستبداد والتسلط العشائري والأسري وحتى الجماهيري، ولم أعد أخجل الآن من المقارنة مع إسرائيل من زاوية الحقوق الديموقراطية المتوافرة للإسرائيليين–وليس للعرب– حين تنتزع الشعوب العربية حقوقها في التعبير والتنظيم والاعتقاد والتظاهر وحتى الديموقراطية الأولية التي سوف تساعد هذه الشعوب على القيام بإعادة توزيع الثروات المنهوبة لصالح المنتجين، واستعادة الثروات العربية المرهونة في الخارج وسوف تبتدع الجماهير نفسها من خضّم هذا الصراع أشكالاً جديدة ومبتكرة لبناء الجبهة الوطنية الشعبية لمقاومة الصهيونية. وتقدم خبرة الشعب المصري في مقاومة التطبيع على مدى عشرين عاماً(هي عمر اتفاقيات كامب ديفيد والصلح المنفرد) زاداً كبيراً في هذا السياق، وفي ظني أن توسيع القاعدة العربية للفكر الاشتراكي النقدي وإتاحة الفرصة للرؤية الاشتراكية للعالم وزيادة المنابر التي تعبر عنها في سياق المزيد من الحريات الديموقراطية سوف يؤسس قاعدة متينة للإطاحة بكل الأوهام العنصرية سواء كانت صهيونية أو معادية للساميّة باسم أي دين آخر، وتمهد بذلك الأرض للتعايش في المستقبل بعد أن يندحر المشروع الصهيوني العدواني كما اندحرت من قبل مشاريع عنصرية أخرى من جنوب إفريقيا أو زيمبابوي....

إن الثقافة الوطنية الجديدة المعادية للعنصرية لابد أن تكون في الوقت نفسه معادية للاستغلال فمشروعها هو التحرر الإنساني الشامل. هناك ضرورة ملحة للاستثمار الأمثل لما بدأ في الساحة العربية من سعي لاستعادة التضامن العربي الرسمي ليكون ذلك هو الأساس الذي تبني عليه الحركة الديموقراطية العامة خططها قصيرة وطويلة المدى للخروج من المأزق الراهن. فالخروج من المأزق

هو مسألة نضالية صراعيـة، وليست تصورات نظريـة فقط. وفـي اعتقـادي أن القرار الذي اتخذته الأمانة المركزية لحزب التجمع، وأصدرت بمقتضـاه توجيهاً لكل منظمات الحزب بأن تضع قضية القدس كبند دائـم علـى جدول أعمالهـا فـي كل الأوقـات هـو مثـل للاهتمـام الأصيـل، ولكون القضيـة الفلسـطينية، والقـدس في.... قلبها، هي هم مصري وطني.

وقد أدرك الجميع الآن بعد كل محاولات الخروج المنفرد من الأزمـة مـدى عقم هذا الطريق فنحن أمة واحدة مهددة بالتبعية وبالهيمنة الإمبريالية الصهيونيـة ويمكن لكل منا أن يخسر على حدة، لكنـه بـالقطع لـن يكسـب علـى حـدة بمنطـق استعادة الأرض المحتلة.

أتصـور أن تفعيـل الجامعـة العربيـة كإطـار قومـي يمثـل الحـد الأدنـى مـن التضـامن، والتلويـح للعدو باتفاقيـة الدفـاع العربـي المشـترك التـي لهـا الأولويـة كاتفاقية جماعية على كل الاتفاقيات الثنائية والشروع في استعادة ولـو جـزء مـن الأموال العربية المودعة بالخارج لاستثمارها في الوطن العربي، ومساندة العراق وليبيا لرفع الحصار عنهما هي كلها خطوات أولية للخروج من المـأزق، خاصـة وإن الصراع المحتد بين أوروبا وأمريكا على المنطقة يتيـح للدبلوماسـية العربيـة فرصة لا بأس بها للحركة.

فريدة النقاش.

* * *

أجوبة المفكر والباحث في المسألة الصهيونية الدكتور

عبد الوهاب المسيري.

الجـواب الأول:

لا أعتقد أننا هزمنا لأن المعركة لم تنته بعد، ولا ننسى أننا فوجئنا بالاستيطان الصهيوني وهو نوع من أنواع الاستعمار الفريد لأنه ليس استعماراً فقط وإنما إحلالاً أيضاً، ويبدو أن القيادة الفلسطينية والشعب الفلسطيني بأجمعه لم يتمكنوا من معرفة طبيعة هذه الغزوة إلا بعد مرور بعض الوقت... وهذا أمر طبيعي، وإن كان على مستوى غريزي يبدو أن الفلسطينيين أدركوا طبيعة الاستعمار الاستيطاني الإحلالي، وبالتالي... قد تكون مفاجأة أو لا تكون... وإذا علمنا أن معدل خصوبة المرأة الفلسطينية يعد من أعلى المعدلات في العالم بأسره، أعتقد أن هذه كانت استراتيجية فلسطينية... واعية بخطورة المشروع الصهيوني ومحاولة إفشاله، قد يقال أن العدد لا يهم لكن هذا الكلام خاطئ فالعدد مهم جداً في حالة الاستعمار الاستيطاني الإحلالي. من الصعب أن نتحدث عن الهزيمة وإيجاد الأعذار مع ثورة عز الدين القسام والانتفاضة على سبيل المثال والمقاومة المستمرة التي لم تنته رغم اتفاقيات أوسلو ورغم كل شيء.

بالنسبة للعوامل العربية في الهزيمة... فأنا أعتبرها نوعاً من جلد الذات وهي ليست مقبولة بالنسبة لي، ولا ننسى أن أوروبا حققت بعض أنواع الوحدة بين دولها بعد أربعة قرون وأما المحاولة العربية فلم يمض عليها قرن كامل بعد وإنما نصف قرن على الأكثر، من الواضح أن الشعب العربي يزداد نضوجاً يوماً بعد يوم– فمثلاً لم يعد يطالب بالوحدة العضوية الكاملة... بدولة واحدة تمتد من المحيط إلى الخليج كما كان عليه في الخمسينيات والستينيات... لأن مثل هذه الدولة الضخمة قد لا تكون نعمة على الجميع بل نقمة نظراً للتنوع الحضاري وعدم التجانس باعتباره أمراً هاماً وحتمياً ونهائياً في حالة جميع الأمم ومن بينها بالطبع الأمة العربية. وعلى سبيل المثال: فإن موقف الأمة العربية من الأقليات

بين ظهرانيها أيضاً بدأ يزداد نضوجاً عن ذي قبل. إن المشروع الصهيوني ما يزال مفتوحاً وقائماً في مجابهة المشروع العربي وباب الاجتهاد والجهاد في مقاومته مازال قائماً، لذلك أكرر رفضي لمصطلح الهزيمة... لكن تعودنا أن نعطي صفة النهائية لكل شيء(وفي هذا بعض من الخطأ)، أنا كمجتهد أرفض فكرة(النهائية) وأعتقد أن كل المجاهدين يرفضونها كذلك، لأنهم لو قبلوا بالوضع الحالي كوضع نهائي لما أمكنهم الاستمرار في الجهاد ولما أمكن لأمثالنا الاجتهاد، فهي ضرورة نفسية وفلسفية، وهي أيضا حقيقة علمية.

الجواب الثاني:

أجاوب على هذا السؤال بالإيجاب، الاستعمار الصهيوني كما قلت هو استعمار(إحلالي) وقد تخلى عن إحلاليته وقبل بالاستعمار الاستيطاني المبني على التفرقة اللونية(الأبرتهايد)وفي هذا تغيير نوعي، ففي عام ١٩٦٧ وبعد أن ضمّ الضفة الغربية والقطاع وجد أنه ضم مع هذه الأراضي ملايين العرب الفلسطينيين أو مئات الألوف... وكان عليه أن يختار: إما أن يتنازل عن هذه الأراضي بمن عليها من بشر أو يحتفظ بها بمن عليها من بشر... وقد فعل... وقد أدّى هذا إلى تغيير في طبيعة الاستعمار الاستيطاني نفسه.

إن التحدي الذي تواجهه الأمة العربية ليس من الدولة الصهيونية وحدها وإنما من الحضارة الغربية أيضاً ككل، والصهيونية هي ممثل لهذه الحضارة(وهي ممثل غير جيد لهذه الحضارة) ولا يزال هذا التحدي قائماً، فهو قائم قبل إنشاء الدولة الصهيونية وقائم بعدها كذلك... فهو قائم منذ أيام محمد علي الذي تحالفت كل دول الغرب ضده آنذاك وقامت بهزيمته سوياً، والتحالف الغربي الذي قام ضد الدولة العثمانية هو أمر معروف للجميع. يجب أن نرى التحدي الصهيوني في هذا الإطار الأوسع حتى نستطيع إدراك طبيعته تماماً.

الجواب الثالث:

من ناحية الاتفاقيات المبرمة بين إسرائيل وعدة دول عربية فقد فتت من عضد وفككت إلى حد ما جبهة الجهاد والاجتهاد لكنها لم تنهيها لا على المستويين لا الرسمي ولا الشعبي، فالبعض من الجانب الرسمي يحاول التملص من هذه الاتفاقيات- والملفت للنظر أيضاً أن العدو الصهيوني نفسه يحاول التملص منها، لأن هذه الاتفاقيات جميعها لا تستند إلى أية معطيات واقعية.

المعطى الواقعي الوحيد بالنسبة للحركة الصهيونية هو: (أن فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض)... وهذا المعطى لم يتحقق، فلا كل اليهود جاءوا إلى فلسطين، والشعب الفلسطيني بدوره لم يختف وإنما ازداد عدده... وهذه مشكلة للحركة الصهيونية نفسها.

بالنسبة للسلام على المدى الاستراتيجي بين الأمة العربية وإسرائيل... فالمسألة ليست خياراً وإنما بنية، والبنية الصهيونية هي بنية صراعية... وجودها يتطلب الغياب الفلسطيني، وهذا غير وارد حالياً ولا مستقبلاً، إن أعدى أعداء التطبيع وأعدى أعداء السلام هم الإسرائيليون أنفسهم... انظر ماذا يفعل نتنياهو... واستنتج مدى صحة ما أقول.

الجواب الرابع:

علينا المثابرة في الربط بين الخاص الوطني والعام القومي، فالجماهير بطبيعتها تميل إلى البراغماتية... تود مكاسب اقتصادية آنية مباشرة، والعدو الصهيوني يبشر بهذا دائماً، لذلك علينا المثابرة وأن نطرح على الجماهير العربية السيناريو البديل: وهو أن الحركة الصهيونية لن تفعل شيئاً إيجابياً باتجاه الاقتصاد العربي وهي إضافة إلى احتلال للأرض العربية فهي تحاول أيضاً نهب الثروات العربية.

وعلى الأحزاب والمنظمات والمثقفين وكل الهيئات العربية المعنية أن تعمل على تجديد الوعي الجماهيري وتوعيتها بأن المشروع الصهيوني جاء لنهب الثروات والأرض العربية، قد يقوم بمشروع هنا أو مشروع هناك لكسب بعض الأعوان... لكن في اللحظة التي يطلب منه فيها أن يعمم هذا... فهو بالحتم سيرفض... لأنه ليس في مصلحته أن نكون نحن أقوياء ولدينا تصنيع(على سبيل المثال). على الجانب الرسمي... للأسف فإن كل الدول العربية لديها مشاكلها الخاصة، لكن الأمر وخطورته تقتضي التنسيق فيما بين الحكومات العربية... وأتمنى أن يحدث ذلك. ولكن هل سيحدث؟ لا أعرف.

الجواب الخامس:

للخروج من المآزق الراهنة فلسطينياً وعربياً، يتوجب علينا الاستمرار في المجابهة، لأن الاستمرار في المجابهة هو السلاح الوحيد المتوفر بين أيدينا كعرب... ولقد نجحنا بحمد الله حتى الآن في استخدام هذا السلاح ضد العدو

الصهيوني، والاستمرار الذي أعنيه هو: الاستمرار في البقاء والصراع والإصرار: إما بتحرير كامل التراب الفلسطيني وهو الحد الأعلى، أو الحد الأدنى في تحرير الضفة الغربية وغزة... أو ما هو دون الحد الأدنى في تحقيق اتفاقيات أوسلو إلى واقع على الأرض! يتوجب على العرب جميعاً أن يحاولوا كشف نتنياهو أمام الإسرائيليين والعرب وأمام العالم أكرر فأقول بالنسبة لمستقبل السلام مع إسرائيل... السلام ليس(اختياراً) وإنما هو بنية، والبنية الصهيونية بطبيعتها هي بنية صراعية.

لا يعني كلامي هذا أنني أبشر بالحرب، لأنني لا أحب التبشير بها فأنا رجل مسالم، وأنا أرى أن البنية الصهيونية ذاتها هي أعدى أعداء السلام، فالمسألة تتجاوز الرؤية الصهيونية والنوايا الإسرائيلية.

أنا كمفكر... أرى ومن أجل الخروج من المأزق: الاستمرار في البقاء والاستمرار في الصراع وهما في حد ذاتها سلاح ناجح في المرحلة الراهنة وفي المستقبل أيضاً.

* * *

أجوبة الأستاذ رشاد أبو شاور

[روائي وكاتب فلسطيني]

للإجابة على هذا السؤال أعود إلى كتاب رائد لمفكر عربي قومي هو الدكتور نديم البيطار، الكاتب صدر عام ١٩٦٥ بعنوان[الفعالية الثورية في النكبة]. الكتاب رائد، لأنه اجتهد في تقديم إجابة على هذا السؤال الاستراتيجي المصيري في مقدمة الطبعة الثانية للكتاب، عام ١٩٧٣، يكتب الدكتور نديم البيطار ما يلي: ما يبرر إصدار هذه الطبعة الجديدة يعود أولاً وقبل كل شيء إلى اعتقادي بأنها الدراسة الوحيدة التي استطاعت، بين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧، أن تقدم التفسير الصحيح لنكبة عام ١٩٤٨، التفسير الذي أعاد النكبة إلى عطل أساسي عام جامع يتناول المجتمع العربي التقليدي ككل وفي جميع أبعاده. هذا التفسير كان غريباً عن الفكر الثوري الذي صدر حول النكبة آنذاك، والذي كان طيلة عشرين عاماً يقدم تفاسير جزئية لها. تقتصر في أكثريتها الساحقة على أسباب عسكرية وسياسية.

الدكتور نديم البيطار رأى منذ عام ١٩٦٥، في كتابه الرائد أن النكبة تعود إلى خلل أساسي في المجتمع العربي ذاته، وفي هذا الكتاب دعا المفكر القومي العربي الكبير إلى تغيير جذري نفسي، وعقلي، وأخلاقي، وأيديولوجي، في إطار فلسفة حياة ثورية عربية جديدة.

الهزيمة كانت كامنة وجلية لكل باحث، أو مناضل، ثوري في المجتمع العربي، والهزيمة، أو النكبة عام ١٩٤٨ وضعت الأمة أمام أسئلة حياتها المصيرية. من ضرر النكبة بفساد الأسلحة، أو عدم التنسيق بين الجيوش، أو التنافس بين هذا الحاكم العربي وذاك أو تقصير جيش الإنقاذ.... أخطئوا تماماً، لأنهم وقفوا عند جوانب محدودة تحول دون الفعل الثوري الحقيقي الذي يشخص ويضع العلاجات الحاسمة التغييرية، هناك مصالح لقوى سياسية، ولنظم حكم

تابعة، دفعتها للترويج لتفسيرات قاصرة.

أما السؤال، الشق الآخر، عن أسباب انحسار المشروع الوطني الفلسطيني، فأرى أنها أولاً تعود إلى قصور في فهم طبيعة الصـراع، وأسباب النكبة، وهذا يعود إلى طبيعة القوى السياسية التي طرحت نفسها قائدة للنضال الوطني الفلسطيني، ورفعها لشعارات فيها الحماسة والتحريض أكثر بكثير مما فيها من تحديد لأطراف الصراع، وارتباط القضية الفلسطينية بنهوض الأمة العربية... حتى أننا عشنا عملية الخلط المقصود بين القومية العربية وبين نظم الحكم العربية الإقليمية، وفي حين أدير الظهر للأمة، تم العناق مع نظم الحكم الإقليمية التي حملت في تكوينها وخطابها السياسي، وتبعيتها كل أسباب النكبة، والهزيمة، والانكسار، وإعاقة النهوض القومي الذي منحته القضية الفلسطينية سلاحاً جباراً للوعي والمعرفة وربط قضايا الأمة كلها ببعضها البعض.

في السياق، طبيعي جداً أن تنتهي الطروحات الإقليمية في جوهرها إلى ما وصلت إليه، سواء انطلقت من وطنية تدعي الجذرية وتبشر بالتحرير التام، أو يسارية أخذت الشعارات وعجزت عن التحليل لأنها نظرياً كانت سقيمة المعرفة، همها أن تصنف في خانة(التقدمية)، وتحظى ببركات المركز العالمي لقوى اليسار، أسوة بالأحزاب الشيوعية العربية، مع استثناءات قليلة لشيوعيين اختاروا أن يبدأوا من الخاص العربي ليصلوا إلى العام الأممي دون تبعية أو شوفينية، وبالتأكيد مع الإدانة للانتهازية التي تبرر أي شيء بحجة الحفاظ على التنظيم أو الحزب...

حالياً، ها نحن نعود من جديد، إلى الأسئلة المطروحة منذ خمسين سنة هي عمر النكبة، وليس صدفة أن عدد الأحزاب والقوى يمينية ويسارية قد اضمحل وجودها وضمر حضورها، مع التنبه إلى بروز التيار الإسلامي الذي لم يقدم رغم اتساع حضوره الشعبي، أجوبة تقود إلى تجاوز النكبة فكرياً، وسياسياً، وأخلاقياً ونفسياً و.... اجتماعياً.

المجتمعات العربية متخلفة، معطلة الطاقات، وعيها مزيف، وهي مغيبة عن قضاياها الاستراتيجية الكبرى وحتى الصغرى، فهي من رغيف الخبز حتى العيش في وطن واحد حر مستقل... متوهة عن قصد، وليس هناك قوى فاعلة جدياً تقودها إلى التجاوز والتغيير والسير على طريق التخلص من كل المعوقات.

السـؤال الثـاني:

هناك من ينظرون لتغييرات في الفكر الصهيوني، وفي توجهات الحركة الصهيونية... لا بأس، لنر ما يحدث على أرض الواقع. (إسرائيل) التي هي تعبير الحركة الصهيونية، والفكر الصهيوني السياسي مازالت تتوسع على الأرض الفلسطينية، وهي تحتل الجولان السورية، وجنوب لبنان، ولا تخفي ولا للحظة أن هذه الأرض أرضها بموجب وعد إلهي. والإله هذا يخص اليهود وحدهم، ولا يلزم بوعوده البشرية كلها، وفي مقدمتها العرب والفلسطينيين الذي وقعت عليهم كل. مصائب الصهيونية- توراتي يخول لها الحق في العدوان، والحروب والاحتلال، وتدمير حياة الآخرين.

يبدو أن التفسيرات المتعجلة لبعض الفلسطينيين-ولا سيما القيادات السياسية- والعرب الذي في موقع السلطة والتحكم بالقرار لا تقرأ الصهيونية جيداً، ولا تتعامل مع جوهرها الرجعي الغيبي العدواني العنصري... وإنما تلجأ إلى تفسيرات تسقطها على الصهيونية لقلة حيلتها، وقصورها، ولخشيتها من الطروحات الفكرية الاستراتيجية التي ترى أن وجود(إسرائيل) ولو على شبر واحد يعني العدوان على العرب، ويدعو إلى خلع هذا الوجود من شروره لأنه غير شرعي، عدواني، ويتهدد حاضر الأمة ومستقبلها، وهذا ما يستدعي توحيد طاقات الأمة، والتخلص من التبعية.

الصهيونية متحالفة مع الاستعمار الإمبريالي البريطاني والأمريكي احتلت أكثرية أرض فلسطين عام ١٩٤٨، ثم وسعت احتلالها عام ١٩٦٧ فبسطت سيطرتها على كل فلسطين، ناهيك عن سيناء والجولان ومن ثم جنوب لبنان.

سيناء أعيدت بعد حرب ٧٣، واتفاقات كامب ديفيد، وذلك لإخراج مصر(السادات) من دورها القيادي العربي، مما يتيح(لإسرائيل) أن تستفرد بعرب المشرق الضعفاء والمفككين سياسياً، والمشتتي الطاقات.

بروز الثورة الفلسطينية، والانتفاضة الفلسطينية، ونهوض الشخصية الفلسطينية وتفجر الصراعات والحروب مع الكيان الصهيوني، هذه عوامل أدت إلى أن لا تتساوق الصهيونية(وإسرائيل) مع أحلامها وأوهامها(بإسرائيل) كبرى تمتد من النيل إلى الفرات. لأن مثل هذا الوهم- الحلم، يقتضي وجود ملايين اليهود وليس أربعة ملايين-وانعدام ظهور مقاومة عربية وهذا غير ممكن ألبتة- أنظر ما يحدث في جنوب لبنان وقبل ذلك كيف طرد جيش(إسرائيل) من

بيروت، وما لحق بالمارينز في السفارة الأمريكية.. هذه العوامل وغيرها، مع رفض العالم الصريح دولياً وشعبياً، أدت إلى أن تكون طموحات المشروع الصهيوني في حدود فلسطين مع بعض التوسع في الجولان وجنوب لبنان لأسباب اقتصادية، ومائية، وتوسعية، تملك قيادات الكيان الصهيوني أن تدافع عنها أمام العالم وبدعم أمريكي صريح بحجة أمن(إسرائيل).

هل يعني هذا أن الصهيونية صارت أكثر واقعية، وأنها تخلت عن طموحاتها، وأنها تميل إلى السلام مع الفلسطينيين والعرب؟

مسيرة(السلام) منذ ما بعد مدريد، سلام أوسلو ووادي عربة... قدمت الإجابة الواضحة التي بددت ما زرعه مروجو عملية السلام المزيف جماهيرياً بوعود هي رشاوى لجماهير فقيرة جائعة، مضطهدة. وعودة بعض الحق العربي في فلسطين، إضافة للجولان السورية وجنوب لبنان، بعيداً عن نيران(الحروب) وما تجره من مصائب...

تتغير الصهيونية عندما تعترف بالحق التاريخي والجغرافي للفلسطينيين على أرض فلسطين-أرضهم- .. وهي إن فعلت ستكون قد تخلت عن وعد التوراة- الذي اتخذته وسيلة تضليل لليهود في العالم لتبرير احتلال فلسطين- ..أو بدأت بالتخلي عن مشروعها..

وهذا، برأيي، لن يكون إلا بالهزائم الميدانية على الأرض العربية، وكل تطور في الحياة العربية سيشكل هزيمة بقدر(ما) للمشروع الصهيوني، وانتصاراً إلى حد ما يتناسب طرداً مع حجمه وثقله ومدى تأثيره في الحياة العربية...

نحن من يغير(الصهيونية).. نحن الفلسطينيين بشكل خاص والعرب بشكل عام، بمقاومتنا الجادة الاستراتيجية على كافة الصعد.. ومقاومتنا لا تكون على أرض فلسطين أو حولها فقط، وإنما تكون لكل شرور ومسببات التخلف والتبعية والعطالة الاجتماعية في بلاد العرب بعامة. نحن نغير الصهيونية ونحن نهزمها، ونحن نفرض عليها التقهقر، والتحول من حالة الهجوم المتغطرس إلى حالة التراجع والانهيار.

السؤال الثالث:

تأثير الاتفاقات بين(إسرائيل) وأطراف عربية، من كامب ديفيد، مروراً بأوسلو ووادي عربة و.. الترويج الرسمي الإقليمي للسلام الإستراتيجي- سلام

نظم الحكم المعزولة عن شعوبها أدى دوره سلباً منذ كامب ديفيد أي منذ إخراج مصر من دورها العربي القيادي، ودفعها إلى الانكفاء الإقليمي الذي قاده السادات.. مما مكن(إسرائيل) من الاستفراد بالمقاومة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية، وبلبنان و.. سورية.

أما أوسلو ووادي عربة فها نحن نرى وعودهما الخلب تجف تماماً وهي التي زرعت أوهام الازدهار وبحبوحة العيش في نفوس الجماهير.. وبهذا توه أوسلو ووادي عربة الجماهير عن جوهر الصراع، وعن مواصلة المقاومة، وتطويرها، والزج بالطاقات لتأجيجها.. لقد رأينا كيف خربت الانتفاضة، وحوصرت، ونخرت من داخلها، وبددت أرصدتها الثورية..

ثم، أين وصلنا؟ من عطل سلام الشجعان؟ ومن يواصل سياسة الاستعمار الاستيطاني رغم اتفاقات السلام في أوسلو، ووادي عربة، وطابا وواشنطن والقاهرة؟!

الخسائر الفادحة منذ مدريد حتى الآن أكبر مما يمكن تصور خسارته في حرب انهزم فيها(العرب) من قبل..؟!

النتائج الكارثية للرهان على السلام مع إسرائيل القوية، ترضي به أطراف إقليمية عربية(ضعيفة)... وهي ضعيفة بحكم تفكيرها وخياراتها ومصالحها... أدى إلى هذا الذي نحن فيه، ولأنه لا خيار آخر لمن عقدوا اتفاقات كامب ديفيد، أوسلو، ووادي عربة... ولأن خيارات(إسرائيل) مفتوحة، معززة بالقوة، وبالتحالف الأمريكي المحاز استراتيجياً، فليس أسوأ مما يحدث إلا مواصلة السير على طريقه.. الذي يسمى سلام الخيار الاستراتيجي.

السؤال الرابع:

العلاقة بين الخاص الوطني والعام القومي هي علاقة أخذ وعطاء، علاقة بناء وتطوير ونهوض، مادامت تنطلق من مصلحة الأمة وأخذ أسباب القوة من قوة الأمة موحدة الطاقات، وليس على حسابها كما تفعل نظم الحكم الإقليمية التي ترى في الوحدة الخطر الأكبر على وجودها وكياناتها المفتعلة مهما كان حجم القطر وعدد سكانه.

ربط قضية فلسطين والصراع مع العدو الصهيوني والكيان الصهيوني... بعملية نهوض الأمة، وبالتخلف والفقر، والتبعية، هذا هو الهاجس الذي لابد أن

ندركه، ونلتزم به، ليكون الموحد لأفكارنا وجهودنا، والصاقل لمعرفتنا، والمستنهض لكل ما ندخر من طاقات مدخرة وممنوعة من الانفجار...

عدونا يستفرد بنا قطعة قطعة، في فلسطين، في العراق، في لبنان... وها نحن نعيش في زمن صارت فيه(إريتريا) تعتدي على السودان، وتركيا تعود من جديد لتهدد العراق وسورية، وإيران تواصل احتلال الجزر العربية الإماراتية.. وأسبانيا تحتل سبتة ومليلة.. و.. هل نذكر بلواء اسكندرون وعربستان؟!

شهية كل أعداء الأمة مفتوحة، وحال الأمة يغري كل أفاق ومارق.. والأمثال علمتنا أن المال السائب يعلم السرقة.. ومال الأمة سائب، مالها وأرضها ودورها!

لمواجهة كل هذا لابد أن توحدنا رؤية استراتيجية تغييرية لأوضاع الأمة، من جذورها، اجتماعياً، اقتصادياً، ثقافياً.. الخ.

السؤال الخامس:

.أحسب أنني قدمت إجابتي على السؤال، وأنا أجيب على السؤال الرابع.

بداية: لا بد من التصدي للتزوير الفكري والسياسي الذي يستهدف شل قدرات جماهيرنا العقلية والنفسية، سواء بالمعلومات الخاطئة أو بالتخويف، أو التزييف، أو التضليل والتعمية.

آن الأوان أن نقول لمن روجوا لسلام الشجعان: كفى.. ولمن أغدقوا الوعود بالازدهار والأخوة العربية اليهودية: كفى.. أخذتم سنوات كثيرة أكثر مما طلبتم لتحقيق وعودكم. والذي أفشل وعودكم و(سلامكم) هو العدو الصهيوني الذي وقع معكم على تلك الاتفاقات بضمانات أمريكية. غير صادقة.

الصهيونية، وكيانها الصهيوني لن يغير من طبيعتهما العدوانية على أمتنا العربية..، .. إلا بنهوض القوة العربية، قوة الجماهير المقاومة طويلة النفس..

لا نريد أن نبتعد كثيراً، لنعد إلى ما فعلته الانتفاضة من رج لمفاهيم المجتمع الصهيوني ونظرته للإنسان العربي، أو لنتأمل ما يحدث الآن على أرض جنوب لبنان... ولنسأل أنفسنا: من الذي يمنع فعل الجماهير العربية المقاومة عن أداء دوره ضد عدو يحتل الأرض العربية؟.. ولماذا؟.. ولمصلحة من؟!

في كل حال، من إيجابيات ما حدث أن كشف الغشاوة عن عقول وعيون تم

تضليلها بالكلام عن التعايش وسلام الشجعان وسلام أبناء إبراهيم.. وسلام الشرق الأوسط.. عدونا تكفل بكل هذا.. أما المأساة فهي أن أخذ وقتاً ثميناً استولى أثناءه على المزيد من الأرض الفلسطينية معتبراً أن الاستيطان لا يتنافى مع(السلام)!...

من جديد، نعود إلى أساس الصراع إلى المفهوم الجوهري الذي يحكمه: صراع وجود لا صراع إرادات حله يكون بكل أنواع الأسلحة، وتغيير الصهيونية يكون بإلحاق الهزيمة التامة بها، فالسلام العربي لن يكون مشاركة مع عدو يحتل الأرض العربية.

* * *

أجوبة الأستاذ/ بهجت أبو غربية

مناضل فلسطيني، كاتب عضو سابق في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

-١-

قضية فلسطين في جوهرها وحقيقتها، قضية الصراع العربي، في مواجهة التحالف الصهيوني الإمبريالي، ولذلك فإن الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بهذا الصراع تقتضي أن يجري البحث ضمن إطاره الواسع الصحيح، صراع الأمة العربية في مواجهة أعدائها، كما يجب أن يتعمق الباحث في التاريخ ليصل إلى جذور هذا الصراع التي تعود إلى أبعد من قرن، ولا يجوز أن نبدأ البحث من(مشروع تحرير كامل التراب الفلسطيني) كما حدد السائل، وهو تعبير يشير إلى الستينات من هذا القرن، وإذا كان السائل يتصور أن الصراع العربي في مواجهة التحالف الصهيوني الإمبريالي محصور في تاريخ حركة فتح فهو مخطئ، ولا يجوز أن ينطلق البحث من بداية حركة فتح أو بداية حركة منظمة التحرير الفلسطينية، ولا حتى من تاريخ صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م.

كما اعترض أيضاً على عبارة(لماذا هزمنا) التي يستهل بها السائل أسئلته- إذا قصد بها المعنى المطلق للهزيمة الكاملة- فنحن خسرنا معارك واستولى العدو على أجزاء عزيزة جداً من أرضنا العربية ولكن أمتنا لم تهزم ما دامت لم تستسلم ولن تستسلم وما دام العدو لم يتمكن من حسم الصراع نهائية لصالحه ولن يتمكن.

لن أتطرق إلى تفاصيل تاريخ الصراع العربي ضد التحالف الصهيوني الإمبريالي لكن لابد من إيراد الحقائق التاريخية التالية:

- مع أن القرن التاسع عشر كان بداية التحرك الاستعماري الصهيوني الحديث في المشرق العربي، فإن أطماع الدول الغربية بفلسطين والمشرق

العربي قديمة العهد، والحروب الصليبية خير شاهد على ذلك على الرغم من مظهرها الديني.

– كان نابليون بونابرت أول من دعا اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين وتأسيس دولة يهودية فيها، وذلك أثناء غزوته لمصر وفلسطين. ولقد نشر إعلاناً عام ١٧٩٩ يقول فيه أن بونابرت يدعو جميع يهود آسيا وإفريقيا ليحضروا وينظموا صفوفهم تحت لوائه لإعادة تأسيس أورشليم كما كانت في الماضي.

– أقامت بريطانيا أول قنصلية غربية في القدس عام ١٨٣٩ وجهت معظم جهودها ونشاطها لما سمي"حماية الجالية اليهودية في فلسطين". وأصبحت مسألة حماية اليهود الشغل الشاغل للقنصلية البريطانية في القدس وذلك على الرغم من أن عدد اليهود في ذلك الوقت لم يتجاوز تسعة آلاف نسمة، وقد سعت بريطانيا منذ ذلك الوقت لتهجير اليهود إلى فلسطين، وحاول بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا إقناع السلطان العثماني بإباحة هجرة اليهود إلى فلسطين.

– عملت لجان أوروبية متعددة على نبش التاريخ والآثار القديمة في فلسطين–آثار العهد القديم على حد تعبيرهم– لشد انتباه اليهود ودفعهم وتشجيعهم على الهجرة إلى فلسطين، وقد جرى كل ذلك قبل أن يبدأ اليهود أنفسهم بطرح الأفكار الصهيونية ولم يبدأ اليهود أنفسهم بطرح فكرة(العودة) إلى فلسطين واستعمارها إلا بعد عام(١٨٦١) ومن المأثور عن ونستون تشرشل أنه كتب يقول"إذا قيض لنا وشهدنا قيام دولة يهودية لا في فلسطين وحسب بل على ضفتي نهر الأردن فإننا نكون قد عاصرنا حدثاً ضخماً في مصلحة الإمبريالية".

– كانت الحرب العالمية فرصة لانطلاق الاستعمار والصهيونية وأهدافهما في المنطقة العربية، فالاستعمار وبخاصة الإنجليزي والفرنسي يرغب في الاستيلاء على أشلاء الدولة العثمانية"الرجل المريض" ويعقد اتفاقية سايكس–بيكو عام ١٩١٦ لاقتسام بلاد المشرق العربي، والصهيونية تريد أن تقيم لها دولة في فلسطين، وعلى ذلك جرى التعاقد بين الطرفين لمصلحتهما المشتركة على حساب العرب، فإقامة فاصل بشري غريب في أخطر جزء من الوطن العربي يفصل عرب آسيا عن عرب أفريقيا، ويقطع الامتداد العربي ويعرقل قيام الوحدة العربية ويكون في الوقت نفسه قريباً من قناة السويس صفقة تخدم أغراض الاستعمار وتحقق حلم الصهيونية، وعلى ذلك جرى التعاقد وصدر وعد بلفور في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني(نوفمبر) ١٩١٧، ويوم عقد وعد بلفور قال الصهيوني ماكس نورد لبلفور بحضور لويد جورج"نحن نعرف ما تتوقعونه منا،

إن نكون حرس قناة السويس على طريقكم إلى الهنـد، نحـن علـى استعداد لتنفيذ هذه الخدمة العسكرية ولكن من الضـروري تمكيننـا مـن أن نصبـح أقويـاء حتـى نستطيع القيام بهذه المهمة.

الأمة العربية إذن، ومنذ قرن ونصف وحتى اليوم تواجه قوى عالمية كبيرة متحالفة تعمل عسكرياً وبكل الوسائل وبتصميم عنيف لإقامة دولة يهودية في فلسطين، وزاد في أهمية تحالفها اكتشاف البترول في الأرض العربية. يجري ذلك في مرحلة تخلف وتمزق عربي، مما فرض علينا اتخاذ مواقف الدفاع بشكل مستمر لاختلال ميزان القوى لصالح الأعداء.

ومنذ صدور وعد بلفور يشن التحالف الصهيوني- الإمبريالي على الأمة العربية حرباً إثر حرب، عسكرية واقتصادية وسياسية، تدور معاركها الرئيسة على أرض فلسطين، حيث يعمل العدو على الاستيلاء على الأرض العربية وإجلاء أصحابها العرب وزرعها بالمستعمرين اليهود المهجرين من أنحاء العالم، ومن أجل ذلك، عمل ومازال على عزل فلسطين، وعزل قضية فلسطين عن عمقها العربي، والاستفراد بها.

إذن لقد خسرنا المعارك واستولى الأعداء على أرض فلسطين وأراض عربية أخرى وشردوا أهل فلسطين تحت كل كوكب وأقاموا الدولة اليهودية لسببين رئيسيين:

١- بسبب فعاليات الأعداء وتفوقهم حضارياً ومادياً وعسكرياً، وضربهم وتدميرهم لكل نهضة أو وحدة أو قوة عسكرية عربية نامية وقتلها في مهدها وغير ذلك من الفعاليات.

٢- بسبب التجزئة والتمزق العربي، الذي نتحمل نحن العرب مسؤولية قسط كبير منه، وبسبب تخلفنا وضعفنا بالقياس إلى معسكر الأعداء وارتكابنا العديد من الأخطاء، ومن أهمها خضوع الحكام العرب للهيمنة الأجنبية وتنفيذ أهدافها.

ومع ذلك قاوم شعبنا هذا الغزو والعدوان. ومع أننا خسرنا الكثير من معاركنا، فإننا لم نستسلم، وحافظت أمتنا على تمسكها بحقها في أرضها، وحقها، في تحريرها والعودة إليها. كما حافظت على استعدادها للصمود في وجه أطماع العدو التي لم تنته بعد، ومواصلة الصراع ضده بكل الوسائل المتاحة. لحرمانه من الاستقرار. وقديماً قيل"ليس عاراً أن يحتل العدو جزءاً من أرضك ولكن

العار أن تتركه يستريح ويستقر". .

أما عن شعار (تحرير كامل فلسطين) الذي مازالت أغلبية شعبنا العربي تؤمن به كهدف استراتيجي بعيد المدى، ومع أن الإمكانات العربية والظروف العالمية الحاضرة تجعل تحقيقه بعيد المنال، فإنه من الضروري أن يظل هذا الشعار مرفوعاً لعدة اعتبارات منها.

١- إن حقنا في أرضنا العربية ثابت أصيل لا يجوز التنازل عن أي جزء منه تحت أي ظرف ومهما طالت فترة الاحتلال لا سيما وأن صراعنا مع العدو صراع وجود لا صراع حدود.

٢- إن لدى أمتنا العربية إمكانات كبيرة لو أتيح لها أن تحشد ولو على المدى البعيد فإن ذلك كفيل بتغيير ميزان القوى لصالحنا، آخذين بعين الاعتبار أن هذا الصراع العربي ضد التحالف الصهيوني - الإمبريالي سيمتد لعشرات السنين. وإذا كان الصراع المسلح وغير المسلح يستهدف الآن حرمان العدو من الاستقرار، فإنه من الممكن تطوير وسائل الصراع في المستقبل.

٣- إن ما يتمتع به الكيان الصهيوني الآن من دعم إمبريالي يمكن أن ينحسر في المستقبل لأسباب عديدة.

٤- إن إسقاط شعار (التحرير والعودة) الاستراتيجي لصالح حلول مرحلية، في ظل اختلال ميزان القوى لصالح العدو، خطأ فادح وتفريط كبير، وطعن لنضال أمتنا العربية، لأن العدو المتفوق أقدر على صياغة الحلول المرحلية وتحويلها لصالحه، وتوظيفها في خدمة أهدافه، وهذا ما تؤكده الآن نتائج اتفاقات كامب ديفيد وأوسلو ووادي عربة وتوابعها التي شكلت أكبر تراجع بل أكبر هزيمة للعرب منذ بدء الصراع وأقامت عقبات كأداء في وجه هدف التحرير. وحققت للعدو مكاسب كبيرة جداً.

**

-٢-

بعد مئة عام على قيام الحركة الصهيونية، لم تتغير الأهداف الرئيسة للمشروع الصهيوني وإن اختلفت أو تطورت بعض الوسائل والأولويات.

فعند انطلاق الحركة الصهيونية عام ١٨٩٨ استهدفت إقامة دولة يهودية من الفرات إلى النيل، ولتحقيق ذلك نفذت استراتيجيتين رئيسيتين متكاملتين:

١- الاستيلاء على الأرض العربية ولو على مراحل وتفريغها من أصحابها العرب.

٢- جلب المهجرين اليهود من جميع أطراف العالم وتوطينهم في الأرض العربية المحتلة.

وما زالت هاتان الاستراتيجيتان معتمدتين حتى اليوم. ففيما يتعلق بالاستيلاء على الأرض، تمكنت الحركة الصهيونية، بمساعدة إمبريالية غير محدودة وبخاصة من قبل بريطانيا والولايات المتحدة، من الاستيلاء على ثلثي أرض فلسطين عام ١٩٤٨ وفرغتها من معظم سكانها، ولم تتوقف عند ذلك فاحتلت عام ١٩٦٧ بقية أرض فلسطين وأراضٍ عربية من مصر وسورية ولبنان وهجرت قسماً كبيراً من أصحابها العرب، وهي اليوم وفي ظل الاحتلال تعمل على انتزاع الأرض العربية من أصحابها وتهجيرهم بوسائل متعددة.

ومن المعروف للجميع أن الحركة الصهيونية عامة وليس حزب حيروت والليكود فقط تعتبر شرقي الأردن جزءاً من دولتهم "يحكم بشكل مؤقت من قبل غيرهم" على حد تعبير جابوتنسكي.

وفي قناعتي الكاملة أن دولة العدو الصهيوني الآن تخطط وتهيء الظروف والوسائل لتنفيذ ذلك على المدى البعيد. وقد أتاحت لها معاهدة وادي عربة البدء بتنفيذ خططها فهي تعمل حالياً للسيطرة على الاقتصاد الأردني، تمهيداً للسيطرة السياسية والاستيطان، ولا يبطئ من تنفيذ هذه الخطط الاستعمارية الآن سوى استمرار المقاومة العربية في فلسطين والأردن خاصة، ونقص الإمكانات البشرية اليهودية لتنفيذ الاستيطان.

وأخالف بعض الكتاب والمفكرين الذين يقولون أن دولة العدو لم تعد تستهدف التوسع الجغرافي وتحولت إلى التوسع والسيطرة الاقتصادية فقط، وأعتبر أن استهداف دولة العدو للسيطرة الاقتصادية لم يغير من رغبتها وعزمها على التوسع الجغرافي، ولا يعدو الأمر أن يكون تبديلاً في الأولويات، بسبب ظروف قاهرة، من أهمها ما يبديه العرب من مقاومة، فرضت على العدو التباطؤ في حركة الاستعمار الاستيطاني.

وفي ما يتعلق بجلب المهجرين اليهود، فإن الهجرة اليهودية إلى فلسطين

مازالت مستمرة وسياسية معتمدة لا تحول عنها على اعتبار أن كل يهودي في العالم مواطن في الدولة اليهودية من حقه بل من واجبه أن يهاجر إليها وأن يستوطن فيها، ولا شك أن استمرار الهجرة الواسعة يتطلب بل يفرض التوسع الاستيطاني في الأرض العربية.

**

-٣-

اتفاقات كامب ديفيد وأوسلو ووادي عربة وتوابعها المبرمة بين دولة العدو الصهيوني والأطراف العربية ذات العلاقة، أوقعت بالحقوق العربية وبالمقاومة العربية أفدح الأضرار فقد قامت جميعها على قاعدة الاعتراف الرسمي بدولة العدو مما أكسبها شرعية قانونية من جهات عربية أتاحت لدولة العدو توظيفها لتوسيع قاعدة الاعتراف القانوني بها على المستوى العالمي فالعديد من الدول لم تعترف بدولة العدو إلا بعد اتفاقات أوسلو بما في ذلك دولة الفاتيكان، وأصبحت هذه الاتفاقات بذلك عقبة كأداء على طريق التحرير.

إلا أن هذا الاعتراف الرسمي العربي بدولة العدو لم يصاحبه اعتراف شعبي بل على العكس من ذلك فإن الشعب العربي في كافة أقطاره، يرفض هذه الاتفاقات ويسعى لإسقاطها، ويعتبرها صادرة عن جهات لا تمثل إرادة الأمة العربية ولا تملك الحق في هذا الاعتراف، وإن هذه الاتفاقات اتفاقات إذعان غير متكافئة عقدت تحت ظروف شاذة قاهرة، وتوازن مختل وإرادات غير حرة وغير متكافئة، وهي لذلك تعتبر اتفاقات غير شرعية وغير ملزمة.

ومما لا شك فيه أن المجتمع الدولي سيقف إلى جانب دولة العدو وحقها في البقاء والاستمرار استناداً إلى هذا الاعتراف، وخصوصاً إذا توفرت للعرب القوة العسكرية والقدرة على التحرير وأرادت أن تستخدم القوة العسكرية النظامية في معركة التحرير، إلا أن هذه الاتفاقات غير الشرعية لا تحرم الشعب العربي من استخدام إمكاناته ووسائله النضالية الشعبية غير الرسمية عندما تتوفر الإمكانات والخطط السليمة.

**

-٤-

إن مقاومة المشروع الصهيوني سياسياً واقتصادياً وعسكرياً على المستوى الشعبي تتطلب التحرك في عدة اتجاهات أهمها:

١- امتلاك الجماهير الشعبية العربية في كل قطر القدرة على ممارسة حرياتها الديمقراطية لتنظيم صفوفها، وممارسة حقها في توجيه سياسات حكوماتها الاقتصادية والثقافية والسياسية.

٢- محاربة الإقليمية والطائفية، والفئوية على طريق الوحدة.

٣- توحيد التنظيمات الشعبية على مستوى الوطن العربي عامة، وإقامة جبهة وطنية شعبية عربية عريضة وتوحيد جهودها وتساندها لتحقيق حرياتها الديمقراطية وتنفيذ برامجها في مواجهة العدو الصهيوني.

٤- توجيه الإمكانات الشعبية لفرض إرادتها على أنظمة الحكم العربية للعودة إلى تنفيذ المقاطعة العربية لدولة العدو الصهيوني، وإلغاء ما جرى من تطبيع للعلاقات معها، وإفساح الحرية للعمل الشعبي المنظم ليقوم بدوره وواجبه الكامل في هذه المجالات وغيرها من مجالات المقاومة.

٥- ولن تكتمل المساعي لتصبح فعالة ما لم تتحقق خطوات وحدوية عربية. لتوحيد الاقتصاد والعلاقات الخارجية، وإقامة التحالفات العسكرية، على طريق توحيد الكيانات السياسية.

١٩٩٨/٣/١٠

بهجت أبو غربية

* * *

أجوبة د. حامد خليل

عميد كلية الآداب بجامعة دمشق

السـؤال الأول:

- منذ أكثر من قرن تساءل المفكرون العرب: لماذا تأخرنا وتقدم غيرنا؟ فترتب على طرح هذا السؤال القيام بمراجعة نقدية شاملة لمناهج التفكير لدينا، ولكافة طروحاتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها، فآذن ذلك بميلاد مشروع نهضوي كبير وطموح، لكنه انتهى منذ سبعينيات هذا القرن إلى ما يشبه الاحتضار.

ونعود الآن لنتساءل: لماذا هزمنا؟ فهل يعني ذلك أننا سنقوم بمراجعة أخرى نقدية وشاملة، قد يتمخض عنها انبثاق مشروع نهضوي عربي جديد؟ أرجو ذلك.

نعم: لقد هزمنا. ولن أطلب كثيراً من توضيح الدور الذي لعبه العامل الخارجي في ذلك خوفاً من أن يصبح المشجب الذي نعلق عليه كل أخطائنا، وإنما سأركز على العامل الداخلي الذي اعتبره العامل الأساسي الذي لولاه لما أمكن للعامل الخارجي أن يحقق النجاحات التي حققها.

صحيح أن ثمة أكثر من صيغة للإجابة عن السؤال:

لماذا هزمنا؟ لكنني سأختار الصيغة التي تبدو لي أنها أكثر غوصاً في العمق، وتشكل الجوهر الذي تكون كافة مظاهر الهزيمة اعراضاً له، أعني غياب العقلانية غياباً شبه تام عن حياتنا العربية المعاصرة.

وفحوى الأمر أن أهم ما تعنيه العقلانية لأي مجتمع من المجتمعات إنما هو أن يتحكم بمقدراته، ويسيطر على حركته، ويضبط مساره، بحيث لا تفاجئه الأحداث، فتكون حركته مجرد ردة فعل انفعالية تجاهها سرعان ما تخمد جذوتها بمجرد انتهاء الحدث وبعدها يعود إلى سباته بانتظار حدث جديد يفرض عليه إما

من الخارج أو من الداخل.. وهكذا دواليك..

· ولأن العقلانية ليست سمة حياتنا المعاصرة على النحو الذي حددته قبل قليل فمن الطبيعي أن نهزم. وليس في الأمر ما يدعو إلى الاستغراب. ويمكن تعداد بعض مظاهر غياب العقلانية الذي بسببه لا يتحكم المجتمع العربي بمقدراته، ولا يسيطر على حركته على النحو التالي:

١- عزل العقل عن شروط تكونه العلمي.

٢- تحريم التشكيك أو الطعن أو حتى التساؤل حول صحة نسب المرجعيات المنتشرة في الوطن العربي سواء أكانت مرجعيات سياسية أو اجتماعية أم اقتصادية أم ثقافية أم غير ذلك.

٣- هدر الموارد، إما بضخها إلى الخارج بالمجان، أو بإقامة نمط مجنون من الاستهلاك أو بتعطيل قيام أية نهضة تنموية حقيقية.

٤- العمل الدؤوب من الداخل لإضعاف العرب تجاه عدوهم الرئيسي(الاحتكارات العالمية والصهيونية) إما بالتخلي عن القرار المستقل، أو الارتهان بقرار تلك الاحتكارات، أو بتكريس التجزئة القائمة من جهة، والقيام على تفتيتها هي نفسها من الداخل عن طريق إثارة النعرات الطائفية والقبلية والدينية والعشائرية والأثنية...... وغيرها من جهة أخرى.

٥- تحطيم التوجه المؤسساتي في الإدارة والتنظيم والتخطيط، وإحلال آلية عمل تقوم على المزاجية والاعتباطية والمحسوبية.. وغيرها في إدارة شؤون القطاعات الإنتاجية الشاملة(اقتصادية وثقافية واجتماعية وسياسية... الخ).

٦- تجريد الفرد من مواطنيته بحرمانه من حقه في المشاركة الحقيقية في إدارة شؤون الجماعة.

٧- تغييب البحث العلمي عن أن يكون الأساس الذي بالاعتماد عليه يصاغ القرار التنموي من أي نوع كان، وترك العنان للارتجال والعشوائية والشخصية للاضطلاع بهذا الدور.

٨- والأخطر من ذلك كله، والذي يعتبر بحق أصل كل هذه العناصر اللاعقلانية المذكورة، إنما هو إقامة نمط غير إنتاجي وتدميري من الإنتاج لصالح فئات اجتماعية طفيلية، وإطلاق العنان لها لتتحكم

بمفاصل حياة المجتمع العربي المعاصر، وتقوده بالنهاية إلى حيث يلقى حتفه.

إما بخصوص السؤال عن أسباب انحسار المشروع الوطني الفلسطيني بدءاً من تحرير كامل فلسطين وصولاً إلى المرحلة الراهنة، فإن الأمر لا يخرج عن الإطار الذي حددته قبل قليل للهزيمة العربية ككل، لا بل يمكنني القول أن غياب العقلانية كان أكثر حدة مما شهدناه على الساحات العربية الأخرى، والذي يمكن التعبير عنه بالنقاط الرئيسية التالية، دون أن يعني ذلك أنني أقلل من أهمية الروح النضالية التي تجلى بها الشعب العربي الفلسطيني طول خمسين عاماً من صراعه مع العدو الصهيوني:

١- حرف الروح النضالية المذكورة عن مسارها السليم، بحيث توظف بالكامل لضمان بقاء أمراء الكانتونات الفلسطينية الكثيرة، وتسخيرها لإرواء تعطشهم المجنون لممارسة السيطرة وجمع الثروات.

٢- القيام بمحاولات مجنونة وغير محسوسة من قبل أولئك الأمراء لإنشاء سلطات بديلة استخدمت كذرائع لذبح الشعب العربي الفلسطيني واقتلاعه من مواقعه المؤقتة، كما حدث في الأردن ولبنان.

٣- افتعال معارك دموية مجانية بين فصائل الشعب العربي الفلسطيني خدمة لمصالح بعض أولئك الأمراء، أو ذريعة لتمرير مخططاتهم التي لم تكن في صالح القضية الفلسطينية.

٤- زج الفلسطينيين في معارك العرب الداخلية أو البينية، الأمر الذي أدى إلى جعلهم يخسرون شيئاً فشيئاً الدعم المادي والمعنوي العربيين سواء على الصعيد الرسمي أو على الصعيد الشعبي.

٥- والأخطر من كل ذلك تكريس النزوع الاستقلالي على الساحة الفلسطينية، الأمر الذي وجده كثير من القادة العرب فرصة للتحرر من كافة الالتزامات التي كانوا مرغمين على الوفاء بها تجاه القضية الفلسطينية، مما جرد المفاوض الفلسطيني من أقوى الأسلحة التي كان يمكن له أن يستخدمها للحصول على أكبر قدر ممكن من حقوقه.

٦- تفتيت الجبهة الداخلية للشعب العربي الفلسطيني، وتغييب مرجعيته الأمر الذي أدى إلى تمزيق كيانه، وبعثرة جهوده، وتركه نهباً للفوضى والضياع.

السؤال الثاني:

- أعتقد أن الحلم الصهيوني بإقامة دولة من الفرات إلى النيل لم يعد قائماً لأسباب كثيرة محلية ودولية، لكن حل محله حلم من نوع آخر، وهو تحقيق ساحة اقتصادية وسياسية وأمنية شاسعة تكون"إسرائيل" هي المحرك الأساسي لها، والممسك بكل خيوطها، والبنك الذي تتجمع فيه معظم عائداتها.

والجديد في الأمر هو أن السلاح الذي ستستخدمه في هذه المعركة الجديدة إنما هو محاولة تفتيت الهوية القومية العربية بشرنمة الوعي بها إلى نويات منعزلة، واختراق الثوابت والمناطق المحرمة في العقل العربي، وتهيئة ذلك العقل للتكوين من جديد بثقافة"الواقعية" و"العقلانية" و"المتغيرات الدولية"، وإرهاقه بتأجيج الشعور لديه بالإحباط والعجز واليأس واللاجدوى، تمهيداً لإعلان استقالته، والاستسلام لهذا"المنطق" الجديد، والقبول بكل استحقاقاته. وما مشروع"الشرق الأوسط الجديد" لشمعون بيريس سوى مؤشر هام لهذا التحول في المشروع الصهيوني.

السؤال الثالث:

- شكلت الاتفاقيات المبرمة حتى الآن خطورة كبيرة جداً على مجرى الصراع العربي الصهيوني.

ولأنني أعتقد أن طلقة الرحمة التي تطلق عادة لوضع حد لطموح أية أمة في التحرر والارتقاء والتقدم، إنما هي التي توجه إلى عقلها، فإنني أرى أن أخطر ما أفضت إليه الاتفاقيات المذكورة إنما هو اختراق الثوابت والمناطق التي ظلت محرمة طوال خمسين عاماً في العقل العربي بعامة، والفلسطيني على وجه الخصوص، كما ذكرت قبل قليل، وتهيئة ذلك العقل للتكون من جديد بثقافة"الواقعية" و"العقلانية" و"المتغيرات الدولية"، تمهيداً لتمييع الفكرة الواحدة الجامعة(وحدة الأمة العربية)، ومحو القضية الواحدة الجامعة أيضاً(القضية الفلسطينية) وإلغاء الدور الجامع الواحد لإدارة حركة المجتمع(وحدة النضال العربي)، وهي الأفكار التي شكلت محتوى ذلك العقل طوال نصف قرن، وذلك

لصالح ثقافة تمهد الطريق لتثبيت فكرة"أمم" جوار شرق أوسطية، أو لنقل بمعنى آخر، إحلال فكرة"هويات قومية" أو ما وصفه شمعون بيريس في كتابه(الشرق الأوسط الجديد) "بتطوير فوق قومي للجماعات الإقليمية" محل فكرة هوية قومية عربية واحدة.

والحق أن بيريز كان واضحاً كل الوضوح في توصيف هذه الحالة حينما قال: إن هذا التحول(ويقصد به قيام التنظيم الإقليمي الشرق أوسطي) لن يتم بسحر ساحر، أو بلمسة بيد دبلوماسية. فتوطيد"السلام" و"الأمن" يقتضي ثورة في المفاهيم. وهذه ليست بالهيّنة السهلة. إلا أنها ضرورية مع ذلك وبغيرها فإن أي شيء نحرزه سيكون قصير الأجل(ص٧٩).

أما على الصعيد السياسي فإن الأخطار تتجلى في إدخال"إسرائيل" رسمياً في لعبة التوازنات العربية، وجعلها طرفاً في صراعاتها، وشريكاً فاعلاً في حماية بعض أنظمتها من جهة، وفي تهديد بعض الأنظمة الأخرى من جهة أخرى.

كما أن الاتفاقيات المنفردة المذكورة أضعفت الأطراف العربية المعنية بعملية الصراع العربي الصهيوني كلها بحرمانها إياها من مواجهة عدوها بموقف موحد يمثله فريق عربي مفاوض واحد كان يقدر له أن ينتزع من الحقوق أضعاف ما حققه كل طرف على حدة.

السؤالان الرابع والخامس:

أخشى أن تكون الفرصة قد ضاعت، وأن يكون من الصعب رأب الصدع، وجبر ما انكسر لكن على الرغم من ذلك، فإني أرى أن ثمة ما يمكن فعله في هذا المجال.

وأعتقد أن أول ما ينبغي البدء به إنما هو تشكيل مرجعية جديدة للشعب الفلسطيني تكون موضع ثقته، وجديرة باحترامه، وذلك لسبب بسيط هو أن العقل الفلسطيني مصاب الآن بالدوار، وهائم على وجهه، ويفتقر إلى وجود من يرجع إليه سواء على صعيد الفكرة أو على صعيد الممارسة.

وتحقيقاً لذلك أرى أنه من المفيد الدعوة إلى عقد مؤتمر وطني لفلسطينيي الداخل والخارج يضم ممثلين عن كافة القوى والفصائل والشخصيات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية المستقلة ذات التوجه المناهض لتيار الاستسلام

السائد الآن، وذلك بغية الوصول إلى فكرة الحد الأدنى الممكن الاتفاق عليها بغض النظر عن مستوى قدرة المؤتمر المقترح على الفعل والتأثير في مجرى الأحداث راهناً.

وبعد أن يتحقق ذلك يسعى المؤتمر المذكور إلى إقامة روابط وعلاقات شعبية رسمية في كافة الأقطار العربية حيثما أمكن ذلك شريطة أن يكون الهدف الأول من ذلك إقامة الحوار وتبادل وجهات النظر بما يفضي إلى الوصول إلى تصورات عربية مشتركة حول كيفية مقاومة المشروع الصهيوني بأوجهه المتعددة الثقافية والسياسية والاقتصادية والأمنية.

وأعتقد أن التحول الذي طرأ على الساحة الشعبية العربية، وإلى حد ما الرسمية، خلال العامين المنصرمين، يسمح لنا بالتفاؤل بأن شيئاً مهما يمكن تحقيقه في مجرى الصراع العربي الصهيوني الذي لم ينته بعد، ولا أعتقد أنه سينتهي في المستقبل المنظور.

وأعتقد أيضاً أن عقد مؤتمر من النوع المقترح، وإقامة روابط وعلاقات شعبية ورسمية مع الأقطار العربية بهدف الوصول قبل كل شيء إلى رؤية عربية نظرية وعملية للخروج من المأزق الراهن أهم بكثير من أن أجيز لنفسي بأن أكون منظر لما يجب عمله راهناً ومستقبلاً.

* * *

أجوبة الأستاذ: عرفات حجازي

كاتب وصحفي، نقيب الصحفيين الأردنيين الأسبق

هزيمة فلسطين:

١: لماذا هزمنا؟ وأية عوامل ترونها أسباباً في انحسار المشروع الوطني الفلسطيني بدءاً من تحرير فلسطين وصولاً إلى المرحلة الراهنة؟

جواب: لا أعتقد أننا هزمنا في فلسطين.. ومن يتابع المؤامرة على الشعب والأرض منذ قرن كامل يلاحظ أن أعظم الدول وأقواها ساندت الحركة الصهيونية لتصفية الشعب الفلسطيني وتصفية القضية فلم يستطيعوا..

نعم استطاعت القوى المتآمرة الالتفاف على أعظم ثورات الشعب الفلسطيني عام ١٩٣٦ عندما تدخل ملوك ورؤساء، الدول العربية لوقف الثورة وإنهاء الإضراب العام الذي استمر ستة شهور وثبت أن هذا التدخل العربي كان حلقة من مؤامرات تصفية القضية ولكن الشعب بقي متمسكاً بأرضه وفلسطين بقيت عربية..

ونعم استطاعت دول العالم أن تقرر تقسيم فلسطين وإعطاء الجزء الأكبر والأهم لليهود ودخلت الجيوش العربية من أجل تنفيذ قرار التقسيم ولكن بالرغم من فداحة النكبة بقي الشعب الفلسطيني متشبثاً بوطنه وبقي الوطن الفلسطيني أنشودة أفرزت قوافل المناضلين وتمخضت عن قوافل الشهداء الذين نذروا أنفسهم من أجل فلسطين..

ونعم استطاعت الحركة الصهيونية تخدير الدول العربية والإسلامية وإلهائها عن قضية فلسطين واستغلت قوات الاحتلال الإسرائيلي في تغيير الحقائق وفرض واقع جديد لتهويد ما تبقى من فلسطين إلا أن أطفال الحجارة أعلنوا للدنيا بأن هذه القضية يستحيل تصفيتها وأن الأطفال قادرون على مواجهة الجيش الذي لا يقهر وأن الحجارة على استعداد لتحطيم أعظم ترسانة أميركية إسرائيلية

انتقلت إلى القاعدة العسكرية الجديدة التي يطلقون عليها اسم إسرائيل!!

ونعم استطاعت الحركة الصهيونية أن تتسلل إلى صفوف الذين لم يتحملوا مواصلة النضال وأهواهم وأغراهم مظاهر المراسم والاحتفالات والمظاهر الخادعة والزائفة والزائلة فعقدوا اتفاقية التخاذل والاستسلام. والتنازل عن حقوق الشعب الفلسطيني ودماء شهدائه ونضالات أجياله في اتفاقية محاولة تهويد أرض فلسطين في اتفاقيات طابا وأوسلو ولكن هذه الردة الجماعية فلسطينية وعربية وإسلامية وإدانة هذه الاتفاقيات الذليلة التي وضعت الشعب الفلسطيني في كانتونات هي أشبه بالزنزانات وسلبت من الشعب الفلسطيني سيادته وكرامته حتى أصبح شبيهاً"بالأبارتيد" ليكرس سيادة اليهود الجماعية على الشعب الفلسطيني بكل تفاصيل حياته!!

مما تقدم فإني على قناعة بأن الفلسطيني لم يهزم وإن ما تعرض له من انحسار في مشروعه الوطني هو بسبب التخاذل الفلسطيني أو العربي وإن انتفاضة الشعب الفلسطيني الحقيقية قادمة لا محالة وهي ستعالج أساليب الضغوط الخارجية في ثورة ١٩٣٦ وأساليب التدخل في تنفيذ مشروع التقسيم واستسلام الذين أفقدهم الصبر على مواصلة النضال فاستسلموا على قارعة الطريق وإذا كانت انتفاضة الأطفال قد أفزعت إسرائيل فإن انتفاضة الرجال ستنهي هذا الحلم المزعج الذي اسمه إسرائيل..

الأهداف الصهيونية

س: بعد مئة عام على قيام الصهيونية كحركة سياسية.. هل ترون المشروع الصهيوني قد تغير؟ وما هي أبرز ملامح التغيير فيه إن وجدت؟

جواب: من يعود إلى مقررات المؤتمر الصهيوني الأول الذي انعقد في بال بسويسرا عام ١٨٩٧ ومن يطالع بإمعان بروتوكولات حكماء صهيون سيجد أن هؤلاء الرواد هم الطليعة للحركة الصهيونية ولحكام إسرائيل حتى اليوم لأنهم اتفقوا جميعاً على أن حل المشكلة اليهودية لا يمكن أن يتم إلا بإقرار اتفاق تاريخي يلزم الأجيال اليهودية على اختلاف نزعاتها ومبادئها وميولها العمل على تحقيقه وأبرز هذه القرارات:

أولاً: اعتبار القدس عاصمة اسرائيل وإن فلسطين وما حولها هي أرض إسرائيل.

ثانياً: إقامة الهيكل الثالث مكان المسجد الأقصى لأن مجد إسرائيل لا يعود

إلا بإعادة بناء الهيكل.

ثالثاً: السيطرة على القوى العالمية وإخضاعها لتنفيذ المشروع الصهيوني وعودة اليهود لزعامة العالم.

رابعاً: شراء حكام وقادة جميع الدول بالمال أو النساء أو بالقوة حتى يكونوا خدماً لهم ولينفذوا أوامرهم!!

ونحن اليوم عندما نشاهد كيف تحتفظ إسرائيل بكل أسلحة الدمار الشامل وكيف تقوم كل يوم بالإغارة على المدن والقرى اللبنانية وتفعل ما لم تفعله دولة في الدنيا بأي شعب كما تفعل بالشعب الفلسطيني الذي غيبت شبابه في زنزاناتها الباردة المظلمة وشردت الملايين خارج حدود وطنه وفرضت اتفاقيات لا يمكن أن يقبل بها حتى الأذلاء بالإضافة إلى إعلانها صباح مساء بأن القدس هي عاصمتها الموحدة الأبدية بالرغم من أنها تدرك أن ملياري عربي ومسلم يؤمنون أنها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وأنها أرض الإسراء والمعراج وقيامة عيسى ابن مريم..

وبالإضافة إلى كل ذلك فنحن عندما نشاهد الموساد يخترق حدود وكرامات الدول العربية وحتى الأوروبية والولايات المتحدة ولا أحد يجرؤ على ردعه أو تهديده أو مقاطعته أو فرض الحصار عليه نلاحظ أن مقررات المؤتمر الصهيوني وبروتوكولات حكماء صهيون قد تحققت عندما أصبح كل الماسكين بزمام القوة والسيطرة والنفوذ في الولايات المتحدة وروسيا وأوروبا هم فعلاً من اليهود. نعود للقناعة بأن الحركة الصهيونية والمشروع الصهيوني لم يتغير وأنهم يقومون بتنفيذ تفاصيله بدقة متناهية..

اتفاقيات الذل

س: ما هو تأثير الاتفاقات المبرمة بين إسرائيل وأطراف عربية: كامب ديفيد ووادي عربة واتفاقيات أوسلو على مجرى الصراع العربي الصهيوني؟

جواب: الاتفاقيات التي أبرمتها إسرائيل مع بعض الدول العربية هي اتفاقيات مرحلية ولن يتحقق لها البقاء لسببين أولهما هو أن هذه الاتفاقيات فرضت فرضاً من الولايات المتحدة على بعض الدول، ونلاحظ أن الشعوب في تلك الدول لا تعترف بها وأبرز علامات الرفض هو حركات وفرق رفض التطبيع مع العدو الصهيوني..

أما السبب الثاني فهو أن هذه الاتفاقيات بكل حرف فيها هي لخدمة

المشروع الصهيوني والقضاء على الكرامة والوجود العربي وهو أمر إذا استقر مرحلياً فإن إرادة الشعوب ستتفوق وتحطم الاتفاقيات الذليلة التي يرفضها كل الشعب العربي في كل مكان!

ولا شك أن هذه الاتفاقيات الذليلة للجانب العربي تشكل تحدياً باستمرار حركة النهوض القومي والديني وأنها ستكون الحافز وأنها ستكون من عوامل الثورة على الهيمنة والسيطرة والسيادة الإسرائيلية على أي شبر من أرض عربية حتى تتحرر الأرض ويتحرر الإنسان!

بناء الجبهة الوطنية الشعبية

س: كيف ترون ضرورة الربط بين الخاص الوطني والعام القومي من أجل بناء الجبهة الوطنية الشعبية العربية العريضة لمقاومة المشروع الصهيوني سياسياً واقتصادياً وثقافياً؟.

جواب: من أجل بناء الجبهة الوطنية الشعبية العربية العريضة لمقاومة المشروع الصهيوني لابد أن نتوقف عند مرحلة اليأس الذي أصاب الأمة العربية بعد هزيمة ١٩٦٧ التي فقد فيها العرب كامل التراب الفلسطيني وشبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان..

لو أن ما أصاب العرب من مآسي في تلك الهزيمة أصاب أمة أخرى لاندحرت من الوجود وخرجت من سجلات الكون إذ لم يكن أقسى في تاريخ الحروب من أن تستطيع دولة مثل إسرائيل عدد سكانها ثلاثة ملايين من هزم الأمة العربية التي يزيد عددها على مائة وخمسين مليوناً..

ولكن حسابات الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الذي كان يقود المعركة والتي تحمل مسؤولية ما نتج عنها كان ينظر للأمور غير هذه النظرة فهو أولاً كان يعتبر أن العدو ليس إسرائيل وحدها بل إن الولايات المتحدة وضعت كل ثقلها العسكري والبشري للوقوف إلى جانب إسرائيل ثم إن القوات الإسرائيلية المدربة تدريباً عالياً ويتلقون تعليماتهم من قيادة واحدة كان عددهم الفعلي ضعف القوات العربية التي شاركت في القتال مجتمعة بالإضافة إلى أن القوات العربية كانت تخضع لعدة قيادات وفي هذا بالعرف العسكري تشتيت وبعثرة للقوات الضاربة أو الدفاعية.."

كانت حالة اليأس والإحباط العربي بعد الهزيمة عام ١٩٦٧ أضعاف ما هي عليه اليوم بعد اتفاقيات الاستسلام والإذلال ولكن عرف عبد الناصر كيف ينتشل

الأمة العربية من يأسها وقنوطها وإحباطها بأن اعترف أولاً بأنه المسؤول عن الهزيمة ثم عندما خطط لانتشال الأمة من جديد ووضعها على طريق استعادة الكرامة والوطن عندما رسم لمعركة العبور وتحرير سيناء خطوة نحو تحرير فلسطين والجولان فأعلن عدة قضايا ربطت ما بين الخاص الوطني والعام القومي عندما أعلن استراتيجية مدنية وعسكرية تعتمد على الإصرار على تحرير الأرض المحتلة بالقوة من سيناء إلى فلسطين إلى الجولان..

وقد تضمنت هذه الاستراتيجية تعزيز الصمود الوطني والشعبي وذلك عن طريق ترسيخ المبادئ القومية والوطنية في ضمير كل مواطن وقناعاته وأهمها الإيمان بحقه الوطني والقومي في تحرير أرضه وكل أرض عربية محتلة..

وقد حرص عبد الناصر في استراتيجية إعادة البناء تمتين التماسك في الجبهة الداخلية حكومة وجيشاً وشعباً..

وطبعاً كان الذي يهدف له عبد الناصر من وراء هذا الربط بين الخاص الوطني والعام القومي هو تعزيز القدرة العسكرية وتعزيز المقاومة ضد العدو المحتل مع عدم رفض أية مفاوضات تؤدي إلى تحرير الأرض.

إن هذا الربط الذي قام به الرئيس الراحل عبد الناصر الذي استطاع إقالة الأمة من أكبر وأضخم عثراتها هو ذات الربط الذي نحن بأمس الحاجة إليه لإقالتنا من عثرة اليأس والإحباط التي سببتها اتفاقيات الانصياع..

الخروج من المأزق

س: في رأيكم وعلى ضوء المستجدات السياسية الراهنة كيف ترون أشكال الخروج من المأزق؟

جواب: للخروج من المأزق الذي جعل الدول العربية تركع أمام الهيمنة الأمريكية والأطماع الصهيونية هناك طريق واحد واضح ومعروف وهو أن نتساءل كيف استطاع عبد الناصر من إعادة حشد الأمة العربية واستعادة تسليح الجيوش العربية ومواجهة إسرائيل والتغلب عليها في حرب الاستنزاف وإقامة جدار الصواريخ الذي كان البوابة لعبور القناة والتي توفي قبل استكمالها مما دفع السادات إلى سرقة الخطط التي كانت جاهزة وموضوعة للتنفيذ ويسرق معها النصر الذي كان عبد الناصر قد أعد كل الخطط لإحرازه ثم قيام السادات ببيع هذا النصر ليحرم مصر من شرف السيطرة الكاملة على المعركة لمواصلة تحرير الأرض الفلسطينية والسورية المحتلة..

السؤال مرة أخرى هو كيف استطاع عبد الناصر أن يفعل كل ذلك بعد أقسى هزيمة في التاريخ وأن ينهض هذا النهوض الأسطوري بالأمة العربية من المحيط حتى الخليج.. والجواب واضح وصريح وهو أن عبد الناصر عاد بعد الهزيمة أقوى مما كان وقد تكرست بين يديه زعامة وقيادة الأمة العربية فاستجابت لإرادته كل الدول العربية بلا استثناء ولم يعد أحد يتآمر عليه كما كان ذلك قبل هزيمة ١٩٦٧ حيث كانت عشرون محطة إذاعة تابعة للمخابرات الأمريكية مزروعة في بعض الدول العربية لمهاجمة عبد الناصر والتشكيك في قيادته وتوجهاته..

ولأن عبد الناصر بكل تجاربه وكفاءاته عاد ليقود معركة التحرير الشعبية والعسكرية استطاع أن يجهز الجيش المصري من جديد بعد أن جرى تدمير ١٠٠٪ من قاذفاته الثقيلة والخفيفة و ٨٥٪ من باقي طائراته و٨٥٪ من القوات البرية بالإضافة إلى أحد عشر ألف وخمسمائة شهيد بينهم أربعون من خيرة الطيارين..

وهذا البناء من جديد لتهيئة الجيش المصري ليقود معركة التحرير بعد الخسائر الفادحة كان معجزة عبد الناصر الحقيقية والسبب هو أن عبد الناصر قاد معركة العرب وحده ولكن بدعم وتأييد من جميع الدول العربية بدون استثناء..

ونحن اليوم وفينا ٢٢ دولة وفيها ٢٢ قائد وفيها ٢٢ خطة مدنية وشعبية وعسكرية لابد قبل أن نتطلع إلى الخروج من المأزق الذي نحن فيه لابد أن نفكر وأن نعمل على توحيد القيادة العربية لمواجهة التحديات الأجنبية التي مظهرها إسرائيل ولكن في حقيقتها المصالح الأمريكية والبريطانية والأوروبية في المنطقة التي تدفع إسرائيل إلى الواجهة حتى تبقى المخفر الذي يحمي مصالحها ولو كان ذلك على حساب القضية العربية والوجود العربي..

وعندما ينهض من صفوف هذه الأمة عبد الناصر آخر ويعبر تعبيراً حقيقياً عن مصالح هذه الأمة القومية والوطنية وأن يلقى الدعم الصادق من بقية القادة العرب فإن معركتنا مع إسرائيل بل مع الولايات المتحدة والغرب المعادي ستكون من أضمن المعارك التي ستنتهي بالنصر الذي سبق أن حققه عمر بن الخطاب فاتح القدس وصلاح الدين قاهر الأعداء والمعتدين.

* * *

أجوبة السيدة: حياة الحويك عطية

كاتبة وصحافية

السـؤال الأول:

لا أعتقد أن بإمكان أحد أن يجيب مرة واحدة على سؤال: لماذا هزمنا؟ لكن الشق الثاني من السؤال يشكل بحد ذاته جزءاً من الجواب، إذا ما عدنا إلى صياغته بشكل آخر: هل صحيح أنه كان هناك مشروع وطني فلسطيني، أو بالأحرى قومي، لتحرير كامل فلسطين؟

لاشك أن سؤالي المشكك هذا لا يطال الجميع من قيادات ومناضلين، والدليل أن ما دفع من دم لم تحصّله أية قضية في التاريخ. لكنني أقصد مراكز صنع القرار الرئيسي وما يتفرع عنها. وقد تكون عملية تصفية الطرح المذكور أعلاه قد استغرقت فترة طويلة، ومرت بمراحل عديدة، وذلك لحساسيتها، وخطورتها، وتناقضها مع الشعار الطنان الذي كان يدوي عالياً، وإن كذباً أحياناً. ثمة مؤشرين لابد من الانتباه إليهما:

أولاً: إن وعي المخطط الصهيوني وما يشكله من خطر، لم يكن وعياً كافياً، منذ بداية الصراع، وذلك ما استتبع كون وسائل وأساليب المواجهة لم تكن صحيحة وقادرة.

ثانياً: أن تأرجح القضية بين الطرح القومي الذي كان الكثيرون يزايدون به دون إيمان صحيح ويتصرفون تحت غطائه بعقلية كيانية، وبين الحس الكياني الصريح الذي يتراوح سلوكه من اللامبالاة إلى التآمر (هذا بالنسبة للعرب) في حين يترجم هذا الحس لدى الفلسطينيين أنفسهم بسلوكيات تسقط عنهم التعاطف الشعبي تباعاً. كل هذا جعل اللحمة حول القضية الفلسطينية شكلية خطابية ادعائية، لا حقيقة فاعلة.

ثالثاً: كثيراً ما كان تجذر فلسطين في الوجدان الشعبي العربي، مدعاة لجعل الحكومات تسترضي هذا الوجدان بعزفها على وتر التحرير والنضال. في حين تجعلها ارتباطات أخرى تعمل على استرضاء جهات خارجية غارقة في صميم المشروع الصهيوني أو خاضعة له.

وهنا نصل إلى عقدة أخيل في موضوع العجز العربي. ألا وهي قضية الديمقراطية. فعندما لا يكون النظام الحاكم مستنداً إلى إرادة شعبية واعية ملتفة، تصبح العلاقة بينه وبين الشعب علاقة نفاقية، النفاقية لا تعرف إلاّ العصاة والجزره، ويصبح مضطراً إلى أن يسند بقاءه إلى جهات خارجية أو إلى معادلات وتوازنات دولية أو عربية، لا تتفق بالضرورة ومصالح الأمة الوجودية والحياتية. بل أنها غالباً ما تتناقض معها...

هذا المستنقع، هذه الرمال المتحركة، لم تعرف الثورة الفلسطينية وللأسف أن تبقى فوقها.

رابعاً: رغم كل الاختلافات من يسار ويمين، وتطرف واعتدال، ثمة قاسم مشترك أيديولوجي ظل يجمع اليهود في كل العالم حول إسرائيل، وداخل إسرائيل حول المشروع الواضح. وهذا ما لم يكن حالنا.

خامساً: عرفت الصهيونية جيداً كيف تخاطب العالم، كيف تزرع في أوروبا عقدة ذنب، ومن ثم تستغلها، كيف تضع يدها على كل مواقع التأثير الاقتصادي والثقافي خاصة، في معظم مناطق العالم(خاصة الولايات المتحدة وأوروبا- بما فيها روسيا) وتحكم بالتالي القرار السياسي. في حين لم نحسن نحن شيئاً من ذلك، وقد يتبادر إلى الذهن أولاً أن السبب هو الإيمان لكن الواقع أن ما هو أهم من ذلك هو التنظيم. التنظيم الدقيق المتمثل في مؤسسات اليهودية العالمية، ومؤسسات الحركة الصهيونية وتكوين دولة إسرائيل.

فإذا كانت الحرية والديمقراطية مصدر فاعلية الفرد والحكم والدولة، فإن النظام هو وسيلة تطبيق الإيمان عملياً، على الأرض، وذاك مالا يتأمن إلا بامتلاك القوة.. القوة العسكرية التي بنتها إسرائيل كأفضل ما يكون، والقوة الاقتصادية والسياسية بكل ما لهذه كلها من متبادلة مساندة.

وفي ضوء غياب هذا كله عن الواقع العربي، ومن ضمنه الفلسطيني، كان

لابد من ضمور الحلم، وضمور مضمون الحق، وذاك ما لم يحصل فجأة في أوسلو، أو بسبب حرب الخليج... بل إنه حالة بدأت بوادرها تظهر منذ أواسط السبعينات على الأقل... وقد راحت الكتب والتصريحات الصادرة في الغرب تكشف لنا عن اتفاقيات سرية، وتنسيق ديبلوماسي مبكر للوصول إلى هذا الوضع.

السؤال الثاني:

ما تغير من المشروع الصهيوني، هو بالضبط التغير الذي يصيب عمل طالب جامعي أنهى البكالوريوس، ودخل مرحلة الماجيستير.

لقد طرحت في إحدى مقالاتي قبل سنة ونصف سؤالاً: في الأدب مرحلة تسمى: مرحلة ما بعد الحداثة Post modernism، فهل دخلنا مرحلة الـ Post modernism أي ما بعد الصهيونية؟ وقبل شهرين صدرت مجلة لوموند ديبلوماتيك بعنوان حمل المصطلح نفسه، وللمرة الأولى.

لكن ما بعد الحداثة هو حداثة جديدة أكثر تقدماً وإنجازاً في خط سير الأدب، وهكذا حال ما بعد الصهيونية. مثلاً، ثمة أجواء معادية للصهيونية تنمو في أوروبا(وإن كانت ما تزال ضعيفة)، وأكثرها يقع في صفوف اليمين المتطرف، والسبب الرئيسي لها هو استياء أصحابها من الابتزاز اليهودي الصهيوني بعد الحرب العالمية الثانية، والإحساس بسيطرة اللوبيهات اليهودية...... إذن هذا الوضع يختلف تماماً عن وضع العطف والتعاطف الذي ساد بعد الحرب العالمية الثانية.... كما أن الحال نفسه ينطبق على صورة إسرائيل التي لم تعد مجموعة مسكينة مهددة وسط موج من الوحوش، بل أصبح الجميع يعرف قوتها وثباتها... إذن لابد أمام هذا كله عن أسلوب جديد في التعامل، وطروحات جديدة: مثلاً اللجنة المشرفة على أوشفيتز غيرت اليافطة التي على المدخل من رقم ستة ملايين ضحية إلى ما يقرب المليون.... وإذا كان هذا مثال رمزي صغير، فإنه يدل على أسلوب مسايرة الواقع والالتفاف عليه، هذا الالتفاف الذي يجعل كاتباً صهيونياً كزئيف شيف، يحكى في كتاب((المليون السابع)) من تحالف الصهيونية مع النازية.

لكن هذه المسايرة، والاعتراف بما بات معروفاً، لا يمنع فتح باب جديد يتمثل في العمل على تثبيت مسؤولية فرنسا- الدولة، عن مذابح الهولوكوست، وسويسرا- الدولة أيضاً، لفتح صفحة جديدة من الابتزاز السياسي.

كذلك نجد في كتاب بنيامين نتنياهو الأخير((أمن وسلام)) كلام كثير عن التيارات المناهضة للصهيونية في الولايات المتحدة واقتراح كيفية قمعها.

يرافق ذلك استمرار حثيث في السعي على السيطرة على وسائل الإعلام(Mass Mcdia) ومصادر المعلوماتية التي أصبحت تحكم العالم الحديث.

أما في المنطقة فلا شك أن الصراع الآن يتبلور في جوانب تتقدم على الصراع العسكري وهذا ما يقود للسؤال التالي.

السؤال الثالث:

قد يبدو أن أخطر ما في هذه الاتفاقيات هو إعطاء مشروعية للاحتلال والاغتصاب والتنازل عن الحقوق.

لكن الواقع أن الخطر لا يقع هنا، فلا مشروعية تاريخية لأي اتفاق ينتقص من حقوق أمة ما، لأن هذه الحقوق ملك لأجيال الأمة في تعاقبها لا للجيل الذي قبل بها، والتاريخ يغص باتفاقيات عادت فألغيت عندما تهيأت الظروف المناسبة لذلك وفي مقدمتها القوة، والتوازنات الدولية.

والخطر إذن هو فيما يتحقق على الأرض لا على الورق: استيطان، مجاري مياه، استغلال خيرات. سيطرة على الصناعة، مما يصب كله في سياق السوق الشرق أوسطية، التي تخطط إسرائيل لها بحيث تصبح هي فيها رب العمل ونتحول نحن إلى مصدر مواد أولية رخيصة، ويد عاملة رخيصة وسوق مستهلك، مع ما يستتبعه ذلك من ترسيخ قيم السوق، والاستهلاك، وثقافة المستهلك إزاء المنتج. ويحضرني هنا مثال رمزي وهو أحد المشاريع الكثيرة التي أعدتها إسرائيل للمياه، وهو يقترح نشر بطاريات لاجتذاب الغيوم الماطرة على امتداد الحدود، على أن تمول كل من الأردن، مصر، سورية، لبنان، قبرص وإيران هذا المشروع، طالما أن إسرائيل تقدم الدراسة، ولا بد لتنفيذها في إسرائيل من أن يجلب بعض المطر للدول المباشرة(وهنا أشير إلى نوع خطير من أنواع التبعية، وهو التبعية العلمية، التي لا نتنبه لها ونحن ننشئ مبنى جديد لإدارة الجامعة، كلما أنشأت إسرائيل مركز بحث في جامعتها).

كما لا يغيب عن بال أحد، ونحن نتحدث في موضوع السوق وضع العمال الفلسطينيين الذين أصبح عنقهم كلياً مربوط بفتح أو غلق الحاجز الإسرائيلي.

في هذا السياق الجديد يصبح الصراع أقوى وأصعب ومتعدد الأطراف والأبعاد أكثر. ويصبح تبرير العمالة أسهل، وآثارها أعمق.

السؤال الرابع والخامس:

الربط بين الخاص الوطني والعام القومي لم يكن يوماً أكثر ضرورة منه الآن، ولكنه للأسف لم يكن يوماً أكثر ضعفاً بل وانعداماً منه الآن... لا على المستوى الفلسطيني- العربي، بل على المستوى العربي- العربي. لكأنها أيام الدويلات الأندلسية، لكننا لسنا في الأندلس، وما أمامنا ليس النهر الكبير....

قد يكون الطرح القومي اليوم بعيد المنال، ولكن لنعد إلى أسس أكثر عملية وبساطة، لنبدأ من الاقتصاد مثلاً كما تفعل أوروبا، (وإن كان اقتصادنا كله مرتهناً) لنحاول عبر الثقافة وعبر جعلها فوق التقلبات السياسية، وبعيدة عن النفخ في الأبواق.

لنعد إلى ما عندنا من طروحات فكرية قومية، (لا إلى الأنظمة والأحزاب التي طبقتها) ولنحاول البحث عن قواسم مشتركة تلتقي على حد السكين المسلط على رقابنا جميعاً.

وأعتقد أنه لا بد في هذه المرحلة من الالتقاء على مواقف واقعية ضرورية، وتشكيل جبهات عاملة فاعلة حولها. بعيداً عن المهاترات النظرية التنظيرية.

وإذا كان علينا أن نعترف باستحالة استنهاض حالة تعبوية هادرة لا على المدى القريب، فلنحاول البدء من مقاربة أخرى: مدخل العقلانية الصادقة، العالمة(أفلا نجد أن صوتاً كصوت إدوارد سعيد هو أعلى من صوت القادة السياسيين هذه الأيام؟)

مدخل الإنسان: حقوقه، حريته، حقه في أن يكون هو هو.......

(لا بمعنى الأنانية الفردية المعطلة للدور العام، وإنما بمعنى واجب أداء دور ما في هذا الكيان العام).

* * *

أجوبة السيدة: توجان فيصل.

نائب سابق في مجلس النواب الأردني.

السـؤال الأول:

لماذا هزمنا، وأية عوامل ترونهـا أسبابا في انحسار المشروع الوطني الفلسطيني بدءاً من تحرير كامل فلسطين وصولاً إلى المرحلة الراهنة؟

. *الجواب*: أعتقد أن الهزائم العسكرية، وبالذات هزيمتي ٤٨ و ٦٧، هي هزائم للأنظمة العربية. فلا يعقل أن تهزم جيوش عدة دول عربية أمام بريطانيا(دولة واحدة) والعصابات الصهيونية، في عام ٤٨، ثم أمام إسرائيل وحدها عام ٦٧. والهزائم كما تبين لاحقاً سواء كانت جراء اعترافات تبريرية أو نشر وثائق وقدرات بعض السياسيين أو حتى بمجرد التحليل العلمي الواقعي دون حاجة لاعتراف أو بينة، ثبت أنها وثيقة الصلة بفساد وديكتاتورية الأنظمة العربية. فالقرارات كانت فردية بيد الحاكم العربي الفرد في كل قطر؛ والرأي الآخر والمشورة كانت إن خالفت رأي الحاكم توصم بالخيانة وإن أثبتت نجاعتها وعمق رؤيتها سببت للحاكم الدكتاتور خوفاً من وجود بدائل قيادية له لذلك اضطهدها وعتم على رأيها. ثم إن كافة الدكتاتوريات إن لم تبدأ بفساد مالي أو تواطؤ خياني مع الغرب، فإنها تنتهي حتماً بالفساد المالي، وتنتهي أحياناً بالتواطؤ مع الغرب لحماية أنفسها من شعوبها وتحقيق بقائها عبر حماية الغرب لها: فتصبح ممثلة لمصالحه لا لمصالح شعوبها ومصالح الأمة العربية.

هذا ما كان عليه حالنا في هزيمتي ٤٨ و ٦٧ وهو ما نحن عليه بعد. وتجربة العبور عام ١٩٧٣ تدل على أن الحد الأدنى من التنسيق العربي وصدق التوجه ووضع القوة السياسية والعسكرية في مكانها الصحيح- أي في مواجهة العدو وليس في مواجهة الشعوب- قادرة على تحقيق النصر. ومثال آخر في

معركة الكرامة حيث أدى التنسيق ما بين الفدائيين الفلسطينيين وبين الفرقة العسكرية الأردنية الموجودة في الكرامة إلى إلحاق هزيمة منكرة بالجيش الإسرائيلي.

هذا على مستوى الهزائم العسكرية بمفهومها الشامل أي العمل العسكري النظامي.

ولهذا لا نحمل المقاومة الفلسطينية والتنظيمات الفلسطينية أية تبعة بشأنها. ولكن تلك التنظيمات تتحمل تبعة إفشال المشروع الوطني الفلسطيني الداعي للتحرير الكلي والجزئي.

فتلك التنظيمات أيضاً انشغلت في خلافات داخلية، وآثرت بعض قياداتها المنافع الشخصية والنفوذ على المبدأ المشترك. وانجرت قواعدها لصدامات وتفرقة أضرّت بالعمل، ثم انتقل الأمر إلى حال يشبه حال الحكومات العربية حين وقعت السلطة في يد فئة أشبه بالحزب الحاكم أو الأسرة الحاكمة في العالم العربي، وتكرر بالتالي نموذج الحكومة الفاسدة التي تعمل لتعزيز نفوذها ومكاسبها قبل أن تعمل للشأن العام. ولكن مع الأسف هي حكومة بلا دولة.

وكان ثمة نشوء وبقاء حكومة عربية فاسدة جديدة هو التضحية بأمور كثيرة مبدئية. وكادت سلسلة التضحيات بالمبادئ والثوابت أن تؤدي إلى التضحية بالوطن الفلسطيني ذاته.

لقد أضيف، عبر ذات منظومة السلطة المطلقة والنفوذ المتحكر المؤديان للفساد، حكومة عربية جديدة، بحاكم عربي مع ما يلزم من شرطته ومخابراته وأرصدته هو وطاقم حكومته... ولكن تمت خسارة دولة عربية كان يمكن أن تكون وهي فلسطين. وقريباً إذا استمر الحال على ما هو عليه، قد نخسر شعباً عربياً تمحى هويته عبر الحكم الذاتي من جهة والوطن البديل من جهة أخرى، وكلاهما مخططان صهيونيان تتعاون السلطة وبعض الأنظمة العربية على إنجاحهما!!

السؤال الثاني:

بعد مائة عام على قيام الصهيونية كحركة سياسية... هل ترون أن المشروع الصهيوني قد تغير؟ وما هي أبرز ملامح التغييرات إن وجدت؟

الجواب: من يقرأ مشروع الصهيونية يجد أن الخطوط العريضة، وحتى

الكثير من التفاصيل، بما فيها المراحل الزمنية للتنفيذ، هي ذاتها ما يطرح الآن وينفذ الآن. وما يبدو أن التغيير فقط هو حيثيات التنفيذ الحالية ومسمياتها. ولكن الفحوى واحد.

والصهيونية حركة عرفت ما تريد، وجرؤت على تصوره ووصفه، رغم مخالفته لكافة القوانين الدولية وحقوق الإنسان والشعوب، ووضعت مع الفكرة آلية عمل هي، رغم قساوتها ونازيتها- وأنا أرى تطابقاً بين الفكرين النازي والصهيوني- إلا أنها عملية وفاعلة.

وخطة العمل تضمنت البرنامج السياسي والعسكري والاقتصادي والإعلامي. والتنفيذ جار وبسرعة فائقة ربما فاقت تصور القيادات الصهيونية المخططة والزعماء الأوائل.

ومن هنا فالتجربة الصهيونية درس يجب أن نتعلم منه وأن نمحص فيه بل وأن نقتدي به إن أردنا استعادة حقوقنا... رغم أننا أصحاب الحق، إلا أن حالنا كحال أبي موسى الأشعري في مواجهة عمرو بن العاص. وآن لنا أن نتعلم الدهاء السياسي.. وأقصد بمن يتعلم هنا: القيادات الوطنية والقومية الصادقة التي تسعى لوضع مشروع قومي عربي، ولا أقصد الأنظمة العربية. فما تتعلمه الأخيرة تطبقه-في الأغلب الأعم- على شعوبها فقط.

السؤال الثالث:

ما هو تأثير الاتفاقيات المبرمة بين إسرائيل وعدة أطراف عربية: كامب ديفيد، وادي عربة، واتفاقيات أوسلو على مجرى الصراع العربي الصهيوني؟

الجواب: هذه الاتفاقيات أتاحت لإسرائيل توظيف الأساليب العصرية لتحقيق سيطرتها واستعمارها للعالم العربي بأسره. وغني عن القول-رغم ادعاء الأنظمة العربية غير ذلك لتبرير استسلامها- أن إسرائيل لا تستطيع أن تتوسع أكثر عن طريق الاحتلال العسكري.

وحتى لو توسعت فسيكون ذلك لفترة قصيرة ما تلبث أن تنسحب وحدها، تماماً كما حصل في جنوب لبنان. ذلك أن الثمن البشري لأقلية يهودية في صدامها مع مقاومة وطنية عربية شاسعة مساحةً وكبيرة تعداداً يحقق تفوقاً استراتيجياً لصالح العرب.

وما حدث في جنوب لبنان كاد أن يحدث في الضفة بعد الانتفاضة. وجاءت

اتفاقيتا أوسلو ووادي عربة لتجهض مشروع الانتفاضة الذي كان قادراً على تحقيق النتيجة التي تحققت في جنوب لبنان.

كامب ديفيد هي خطيئة كسرت حاجز العيب، بل حاجز الحرام. وهنا تكمن خطورتها وأثرها التفريطي، خاصة أن من قامت بها هي الدولة العربية القائدة للعالم العربي لسنوات طويلة، خاصة أثناء حكم عبد الناصر. وكون شروط كامب ديفيد أقل إجحافاً بحق العرب من أوسلو ووادي عربة ليس لذكاء السادات، بل هي البقشيش الزائد لخدمة نادرة، لفتح باب تليه أبواب تأتي منها المكاسب الأكبر لإسرائيل. أما أوسلو فهو خيانة لا تغتفر. وفيها تم التخلي عن كل الثوابت. فلم يبحث فيها ولم يؤخذ أي التزام في أهم القضايا وهي الدولة والمستوطنات والقدس والحدود وتقرير المصير واللاجئين والنازحين... كل ما يتعلق بأي من هذه القضايا هو إما شعار عائم يمكن لإسرائيل إدراج ما تريده تحته أو هو مؤجل... ومن يعطي دَيْناً للمرابي اليهودي لا يحلم بتحصيله، وما تم تأجيله أو غض الطرف عن تعريفه وتحديده مسبقاً يفوق الدّيْن ليصبح هبة.

مثال بسيط عمّا ورد في باب المعابر وأمنها، نجد أن أغلب ما فيها هو مخططات اقتصادية توحي بأن إسرائيل باقية وليست منسحبة، وهي تفاصيل لا علاقة لها"بالأمن".

أما حيث يرد الأمن، فالضمان هو لأمن إسرائيل، سواء في هذا الباب أو في كامل بنود الاتفاقية..

ثم تأتي سلسلة الاتفاقيات الجزئية اللاحقة والتابعة لتكريس المكاسب الإسرائيلية وتستخلص اعترافاً فلسطينياً، ثم عربياً بالتالي، بشرعيتها، وتحصل على توقيع فلسطيني بشهادة ورعاية عربية، على مزيد من التفريط.. خذ مثلاً: وسم المقاومة بالإرهاب والتزام السلطة الفلسطينية مراراً بمحاربتها، مقابل لا شيء. هذا مع أن محاربتها مقابل أي شي وكل شيء غير جائز. إلى أن تقوم الدولة الفلسطينية، وتتحول هذه المقاومة-لا سمح الله وعلى طريقة السلطة في تعريفها للمقاومة بأنها سلطة داخل سلطة وحكومة داخل حكومة- عقبة في سبيل أمن تلك الدولة... عندها نفهم مقاومتها وحتى تصفيتها فلسطينياً لصالح فلسطين الدولة والشعب.

وهنالك أيضاً، مثال اتفاق الخليل، الذي ساهم الأردن في استخلاص توقيع السلطة الفلسطينية عليه-للأسف- وهو الاتفاق الذي قبل مبدأ تقسيم المدينة وقبل وجود المستوطنات في المقدسات وأعطاها شرعية، وقبل وهذا هو الأسوأ، أن

يترك لإسرائيل أن تحدد من أية أراضي تنسحب، وزمان وحجم ذلك الانسحاب، بما يناسب ويخدم: "أمنها"... وهذا البند في اتفاق الخليل هو ما تطبقه إسرائيل الآن.

السؤال الرابع:

كيف ترون ضرورة الربط بين الخاص الوطني والعام القومي من أجل بناء الجبهة الوطنية الشعبية العربية العريضة لمقاومة المشروع الصهيوني سياسياً واقتصادياً وثقافياً؟

الجواب: لا مجال للتصدي للمشروع الصهيوني الذي ثبت أنه يستهدف كامل العالم العربي، إلا بمشروع قومي عربي. ولا أقول أن علينا أن ننتظر قيام ذلك المشروع كاملاً وتحقق وحدة عربية لنبدأ العمل. فالأنظمة العربية-أو أغلبها على الأقل- لن تسمح بهذا.

ولكننا كشعوب نعرف المشروع، ولو كانت تلك الشعوب هي صاحبة القرار لأنجز خلال أشهر ولتحققت الوحدة العربية.

وبما أننا نعرف سمات الكل، وحتى تفاصيله، فإننا قادرون على بناء الأجزاء. ومن هنا على الشعوب والقوى الوطنية القومية عدم تفويت أية فرصة للعمل العربي والتنسيق العربي، الشعبي دائماً، والرسمي حيثما وجدت منافذ له، وباستغلال حاجات الأنظمة ومطامعها أو حالات ضعفها. والفرص تتوالى حين تكون الأنظمة مأزومة في علاقاتها بالخارج. وعلى الشعوب استغلال هذا.. أي أنه يجب أن تعمل حتى في المليمتر المربع المتاح حتى نغطي كامل الساحة العربية ولو على طريقة تجميع الـ Puzzle .

ولكن الاستراتيجية بعيدة المدى والتي تمثل الحل الشامل فهي السعي نحو الديمقراطية. والديمقراطية ستغير حتماً تغييراً جذرياً في أنظمة الحكم العربي، فمعظم تلك الأنظمة لا تملك مقومات دخول المرحلة الديمقراطية وقد أفسدت غالبيتها من علاقاتها بالشعوب ما لا يمكن إصلاحه، وفسدت بما لا يمكن غض الطرف عنه... والديمقراطية آتية عالمياً لا محالة بدوافع داخلية ودولية لا مجال لعرضها هنا... ولكن علينا المسارعة فيها وعدم انتظار قرن آخر.

الديمقراطية هي حكم الشعوب لذاتها. والشعوب العربية(وأعرف هذا بالخبرة والتجربة الشخصية كما في البيّنة التاريخية) قومية في توجهها. وبالتالي

فالديمقراطية هي الحل لكافة مشاكل العالم العربي وفي مقدمتها تحدي الخطر الصهيوني.

وآلية العمل الشعبي العربي ضد الصهيونية وتهديداتها تبدأ بالطريقة السلمية المتاحة حتى في ظل الدكتاتوريات، وهي مقاومة التطبيع. وهذه تشبه حرب الملح، التي هي حرب مقاطعة قادها غاندي وانضم إليه فيها غالبية الشعب الهندي ونجحت...

السؤال الخامس:

في رأيكم وعلى ضوء المستجدات السياسية الراهنة كيف ترون أشكال الخروج من المأزق؟

الجواب: تعرضت في إجابتي على الأسئلة السابقة للحلول الاستراتيجية والحلول بعيدة المدى وحتى الثورية منها. وتعرضت لبعض الحلول الآنية والمتاحة ضمن الواقع الحالي. وعلى هذه أضيف إمكانية إعادة التفاوض- مرحلياً، ورغم عدم إيماني بكل ما تم التفاوض عليه- بحيث نوقف على الأقل الخسائر الآنية والمتلاحقة عبر ما سمي تفاوضاً واتفاقيات سلام من قبل الأنظمة والقيادات العربية، وهي في الواقع والحقيقة إملاءات واستسلام... أول عمل هو تجميد ما يجري عن طريق مفاوضة مقابله وتفسيرات مقابله لتفسيرات إسرائيل....

والإجراء الثاني هو عودة الانتفاضة فوراً وشمولها كامل الأراضي المحتلة ودعمها عربياً على المستويين الشعبي(بالقطع) والرسمي حيثما توفر ذلك، وأن تصبح هنالك قيادة جماعية لتلك الانتفاضة تضع الخلافات جانباً. وحتى لو لم تتوفر تلك القيادة فالانتفاضة أمر يقدر كل فرد وكل أسرة وكل مجموعة صغيرة وكل قرية على تبنيها وتنفيذها... وحين تبدأ في نقطة ما فهي قادرة على الانتشار كالنار في الهشيم، لأن حالة الإحباط والشعور بالظلم واليأس وفقدان الثقة بالأنظمة التي تفاوض وبالراعي الأمريكي والشريك الأوروبي والهيئة الدولية، قد بلغ مداه. ومثال جنوب لبنان يرفع المعنويات ويحقق دعماً عربياً لأية مقاومة فلسطينية بأكثر مما تحقق سابقاً... وكل العرب الآن متضررون، ولم يبق هنالك من لم يتلق ضربه على رأسه(تحقق صحوته إن لم تقتله).

وهنالك تفاصيل أخرى صغيرة يمكن العمل عليها سياسياً ودبلوماسياً،

فجانب من النضال لا يلغي الجوانب الأخرى، ومنها استغلال الوضع الأفضل قليلاً في المنظمة الدولية بوجود كوفي أنان ونجاحه حتى الآن في إعادة بعض التوازن ووضع بعض الحدود للولايات المتحدة. وهنالك مجيء الديغوليين للحكم في فرنسا ومشروع شيراك الفرانكوفوني الذي هو حتماً منافس بل ومصادم للمشروع الأنجلوسكوسوني المسيطر دولياً والممثل بأمريكا تتبعها بريطانيا. وهذه منافسة يمكننا استغلالها. إضافة إلى أن الديغوليين يحملون مشروعاً أكثر حضارية، وحوارهم أكثر منطقية وإنسانية من مشروع أمريكا القائم على القوة الهمجية، وانعدام الحوار لديها واستبداله بالإملاء الوقح.

وهنالك نضال القوميات في أوروبا الشرقية لتقرير مصيرها والذي اجتذب تعاطفاً دولياً وحتى التزامات محددة من أمريكا- ولو أنها التزامات لصالح أمريكا في عمقها- ووضع هذه الأقليات مماثل لوضع الأغلبية العربية الفلسطينية في الأراضي المحتلة عام ٦٧ والأقلية العربية الباقية في الأراضي المحتلة عام ٤٨. وفي الأولى يمكن الدفع باتجاه تقرير المصير على ترابهم الوطني وفي الثانية نحو حقوق الأقليات المساوية وحمايتهم دولياً.

وهنالك التحسن الطفيف في العمل الإسلامي بعد قمة طهران، وهنالك أيضاً مخاوف إيران من إسرائيل وأمريكا التي بدأت تتحرك نحو واجهة الأحداث ومقدمة الأولويات في إسرائيل وأمريكا....

وحتى الداخل التركي يمكن استثماره باللعب على الانقسامات خاصة بعد تأزم الوضع بين الإسلاميين والعلمانيين، ورفض أوروبا لتركيا مما يشكل ضربة للهوية الأوروبية التركية والولاء الغربي بالتالي، مقابل الهوية الإسلامية.

باختصار، الخروج من المأزق هو العمل أولاً وبشكل حثيث لتجميده، ثم السعي لتحريكه بالسرعة الممكنة بالاتجاه المعاكس مستغلين كل ما هو متاح من أصغر فرصة لأكبرها... ولا شيء صغير في السياسة.

* * *

أجوبة الدكتور: لبيب قمحاوي.

مفكر وكاتب سياسي، عضو لجنة التنسيق الوطني- الأردن.

الجـواب الأول:

الواقع أن المشروع الوطني الفلسطيني لم يهزم، وإنما قيادة المشروع الوطني الفلسطيني هي التي هزمت مما أدى بالتالي إلى هزيمة المشروع الوطني الفلسطيني.

إن مفهوم الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني جاء في أصوله الفلسطينية حماية لأهداف المشروع الوطني الفلسطيني المتمثلة بالتحرير الكامل ومنع أي نظام حكم عربي من العبث بتلك الأهداف. ولكن تطورات الأمور وتجيير الشرعية الفلسطينية من مؤسسات منظمة التحرير إلى قيادة منظمة التحرير، ومن ثم إلى رئيس منظمة التحرير قد أدى بالتالي إلى حصر أهداف المشروع الوطني الفلسطيني وشرعية تمثيل تلك الأهداف بشخص رئيس المنظمة. وهكذا، جاء القرار المنفرد لرئيس المنظمة بتقليص أهداف المشروع الوطني الفلسطيني إلى ما نحن عليه اليوم نتيجة حتمية لذلك المسار. والذي تواطأت على تكريسه العديد من الأطراف العربية والدولية.

إن الجهد المطلوب فلسطينياً في هذه المرحلة، هو التأكيد على أن اتفاقات أوسلو جاءت محصلة للهزيمة الفلسطينية وليس تتويجاً للنضال الفلسطيني وتجسيداً لأهدافه. فشعار مرحلية الوصول إلى الأهداف الفلسطينية لا ينطبق على ما ورد في اتفاقات أوسلو والتي جاءت نقيضاً للمشروع الوطني الفلسطيني وليس استجابة لبعض أهدافه.

الجواب الثاني:

بعد مرور مائة عام على عقد مؤتمر بازل وقيام الحركة الصهيونية كحركة سياسية، فإن الناظر المتعمق بفكر الحركة الصهيونية وأهدافها لابد وأن يعترف بأن النجاح الذي حققته الحركة الصهيونية جاء نتيجة طبيعية للفشل العربي الفلسطيني وليس نجاحاً للفكر والنهج الصهيوني. وبالإضافة إلى ذلك، فإن نجاح المشروع الصهيوني جاء مرتبطاً بشكل كامل بالتغييرات التي طرأت على موازين القوى في العالم خلال هذا القرن ابتداءاً من الحرب العالمية الأولى، مروراً بالثانية، ومن ثم الحرب الباردة وما رافقها من مد للقومية العربية كخطر على المصالح الغربية في المنطقة انتهاء بسقوط المعسكر الاشتراكي. وهكذا، كان نجاح المشروع الصهيوني مرتبطاً دائماً بقدرة قادته على استغلال مكامن القوة في الموازين الدولية، مقارنة بالفشل الواضح للعرب في استغلال تلك المكامن.

وعلى ضوء ما سبق، فإنه لمن الخطأ الولوج في التعميمات واستعمال التعابير العاطفية لتقييم مستقبل المشروع الصهيوني في المئوية الثانية أو في القرن الحادي والعشرين.

من الواضح أن المشروع الصهيوني الأول قد حقق أهدافه في إنشاء الدولة الصهيونية القوية على أرض فلسطين. والمشروع الصهيوني الثاني سوف يكون مختلفاً في أدواته وأكثر خطورة في أهدافه.

فالحقبة الثانية سوف تشهد نقلة نوعية صهيونية من المطالبة بالأرض واحتلالها عسكرياً إلى فرض نمط جديد من الاحتلال من خلال الأدوات التكنولوجية الحديثة والمفاهيم الاقتصادية الجديدة، بحيث تتحول المنطقة إلى جزء من منطقة النفوذ الإسرائيلي، من خلال ربط اقتصاد وثروات المنطقة بالاقتصاد الإسرائيلي، والعمل على تفكيك النسيج الثقافي والحضاري للدول العربية. وهكذا، فإن المشروع الصهيوني الثاني يتجاوز فلسطين كرقعة جغرافية ويتجاوز مفهوم الاحتلال العسكري التقليدي إلى مفهوم السيطرة الكاملة على المنطقة العربية وكذلك على إقليم الشرق الأوسط الجغرافي.

الجواب الثالث:

لقد نجحت اتفاقات السلام المبرمة حالياً بين إسرائيل وعدة أطراف عربية

إلى تفكيك المشروع العربي والمشروع الفلسطيني وإلى تعزيز المشروع الصهيوني. وتعتبر تلك الاتفاقات مرحلية من وجهة النظر الصهيونية باعتبارها أدوات استعملتها إسرائيل لتدمير الأسس التي استند إليها الفلسطينيون والعرب مرتبط بمدى قدرة الفلسطينيين والعرب على الحد من تأثيرها السلبي على أسس ومقومات الصراع مع المشروع الصهيوني. ومن الضروري، في هذا السياق، الإصرار على اعتبار تلك الاتفاقات أمراً مفروضاً على الفلسطينيين والعرب بحكم النصر العسكري الإسرائيلي والهزيمة العسكرية العربية والفلسطينية، وليس تصحيحاً للتاريخ كما تريد إسرائيل والحركة الصهيونية. إن الهزائم العسكرية والسياسية التي لحقت بالعرب والفلسطينيين وتم تتويجها في اتفاقات مثل كامب ديفيد وأوسلو ووادي عربة لا يجب السماح لها بأن تتوج بالهزيمة العقائدية والمتمثلة بالقبول الفلسطيني والعربي بمقولة تصحيح التاريخ من خلال الاعتراف بشرعية حق إسرائيل في الوجود على أرض فلسطين.

الجواب الرابع:

إن الربط بين الخاص الوطني والعام القومي لن ينجح إذا ما تم تناوله بالأسلوب التقليدي.

فالعمل الآن يجب أن ينصب على خلق قاعدة قوية من المصالح المشتركة تشكل أساساً صلباً للعلاقة القومية بين أطراف المشروع العربي، وبحيث يصبح الدفاع عن الخاص الوطني مرتبطاً ارتباطاً كاملاً بالدفاع عن العام القومي. إن غياب هذه القاعدة كان أساس فشل المشروع القومي في النصف الثاني من هذا القرن.

لقد أثبتت التطورات الصاعقة في العقدين الأخيرين من هذا القرن أن الخاص الوطني في المشروع العربي غير قادر منفرداً على الدفاع عن المصلحة الوطنية وحمايتها، وكان هذا درساً قاسياً وثمنه فادحاً على كل العرب، قطرياً وقومياً.

إن المطالبة بإنشاء جبهة وطنية شعبية عربية عريضة هو شعار براق يخلو من أي تأثير حقيقي على مجرى الأحداث خصوصاً في الحقبة المقبلة والتي ستشهد نمطاً جديداً ومعقداً من العلاقات الاقتصادية والثقافية والتكنولوجية التي تتطلب نمطاً أكثر جدية وفعالية من علاقة جبهوية عريضة وفضفاضة، حيث أن أنماط النضال سوف تأخذ أشكالاً تختلف اختلافاً جذرياً عن ما عهدناه.

الجواب الخامس:

وهذا يدعونا إلى الحديث عن كيفية الخروج من هذا المأزق. فالعمل الحقيقي يجب أن ينصب على التأكيد على كون الديمقراطية والمؤسسية هي النمط الوحيد والأمثل الذي يجب أن يحكم العلاقة بين كافة أطراف المعادلة الوطنية والقومية. والعمل يجب أن ينصب على بناء مؤسسات المجتمع المدني وطنياً وقومياً، باعتبارها الحاضنة للعمل في المرحلة المقبلة، والوسيلة الوحيدة لترجمة أساليب النضال الجديدة والتي سوف تتميز بالاستغلال الأجدى والأمثل للأدوات التكنولوجية والاقتصادية لخلق علاقات مؤثرة، إقليمياً ودولياً، تمكننا من فرض مصالحنا على العالم، الذي سوف يبتعد تدريجياً وبسرعة عن أساليب العمل العسكري والمسلح لصالح تكتلات اقتصادية وتكنولوجية وثقافية تتجاوز في نفوذها وقوتها الحدود الجغرافية لأي دولة بعينها.

* * *

أجوبة الأستاذ: فخري قعوار

رئيس رابطة الكتاب الأردنيين، ونائب(سابق) في مجلس النواب الأردني.

-١-

لماذا هزمنا؟ سؤال يقتضي العودة إلى واقع فلسطين قبل قيام دولة الاغتصاب، ويقتضي العودة إلى الواقع العربي أيضاً، كي نتفهّم أسباب نكبتنا. ففي تلك المرحلة، كانت المنطقة واقعة تحت الهيمنة الاستعمارية، وكانت فلسطين بالذات، واقعة في الأسر البريطاني بالكامل، وكان من الصعب، إن لم يكن من المستحيل أن تأخذ القيادات العربية قرارات صارمة وجادة بالدفاع عن الشعب الفلسطيني وعن حقوقه، كما كان من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، أن يتمكن الشعب الفلسطيني من مقاومة خيوط المؤامرة العالمية، وهو واقع في قبضة المندوب(السامي)، وفي قبضة إرهاب العصابات الصهيونية... صحيح أن سلسلة من الثورات والمواجهات الجهادية قامت ضد الغزاة، إلا أن بعض التنظيمات في فلسطين وغيرها، عملت على توفير السلاح للصهاينة، من جهات ذات صلة بهذه التنظيمات، فعلى سبيل المثال، قام وفد من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي(الفلسطيني)، بزيارة إلى حكومة براغ، (عاصمة تشيكوسلوفاكيا سابقاً) من أجل إمداد الصهاينة بالسلاح.

وقد أكد هذه الواقعة كراس صدر عن(الحزب الشيوعي الإسرائيلي)، يروي تفاصيل المحاكمة التي جرت في عهد بن غوريون، بسبب منع حكومته صحيفة(الاتحاد) التي يصدرها الحزب، من الدخول إلى الجيش. وذكر الكراس وقائع المرافعة التي كان مؤداها: كيف تمنع صحيفة الحزب من دخول

ثكنات(جيش الدفاع!)، وهو الحزب الذي عمل جاهداً من أجل تأسيس هذا الجيش؟

أي أن الواقع الفلسطيني كان مهيّأ للهزيمة، كما أن الواقع العربي المرتبط بأوثق الصلات بالمستعمرين كان مهيّأ أيضاً للهزيمة... وعلينا أن نتذكر، أن اغتصاب فلسطين جاء في أعقاب الحرب العالمية الثانية، التي علا بعدها صوت الصهيونية، بسبب ما يسمى بالهولوكوست، وشعور الأوروبيين بالذنب والتعاطف مع الحركة الصهيونية، الأمر الذي ساعد بشكل واضح، في تنفيذ وعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين!

-٢-

وتمر اليوم مائة سنة على نشوء الحركة الصهيونية، لكننا نجد أن المشروع الصهيوني لم يتغير في جوهرة شيء، وإن كان قد أصابه التغيير في الشكل وفي الملامح الخارجية... فالهدف الأساسي هو تثبيت وجود اليهود فوق تراب فلسطين، وإعطاء هذا الوجود الشرعية، والاستيلاء على مقدرات المنطقة، وتوجيهها بما يخدم مصلحة الغزاة، وإخضاع القرار السياسي العربي للمشيئة الصهيونية، والتوسع في الأرض العربية، بحيث يتحقق حلم مملكة إسرائيل... وربما كانت القوة هي الوسيلة المعتمدة في الهيمنة والاستيطان والتوسع، إلا أن المعطيات الجديدة التي طرأت، أفقدت القوة مبررات استخدامها، فالنظام العربي بات منهاراً أمام الشعور بالجبروت الصهيوني، ولم يعد يملك سوى الهرولة نحو الوئام والسلام والاعتراف بالواقع الشاذ الذي فرضه الأعداء.

-٣-

لا أعتقد أن اتفاقيات كامب ديفيد ووادي عربة وأوسلو سوف تنجح في إلغاء الصراع العربي الصهيوني، على المدى البعيد، لكنني أعترف أن هذه الاتفاقيات أحبطت الصراع بصورة مؤقتة، لإيماني بأن التعايش مع الكيان الصهيوني أمر غير ممكن، لأنه كيان شاذ وغريب، ولأنه كيان ناتئ في الجسم العربي. ناهيك بعدم توفر عناصر الانسجام الأساسية كالدين والعادات والثقافة وغيرها، وناهيك أيضاً بالاستيلاء عنوة على أرض فلسطين وتشريد أهلها، وإخضاع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، وتوظيفها لخدمة أمن العدو وإطفاء جذوة النضال لدى الشعب... وعندما أقول إن التعايش مع الكيان الصهيوني أمر غير ممكن، فإنني

لا أقع فريسة للوهم الإعلامي المرافق للاتفاقيات المذكورة، أتطلع إلى الحقائق المغروسة في الأرض والمزروعة في النفوس، وهي كلها حقائق تدل على أن هذا الإحباط المرحلي الناجم عن اختلالات في الموازين الذاتية العربية، واختلالات في الموازين الموضوعية الدولية، لن يفلح في إضفاء شيء من التناسق والتناغم مع العدو، بل سيبدو كل ذلك، أنه مجرد(استراحة محارب)، وسوف تثبت الأيام أن الصراع العربي الصهيوني قائم، وأنه صراع وجود وليس صراع حدود كما تحب الاتفاقيات أن تتعامل معه!

—٤—

قبل التفكير بإنشاء جبهة وطنية شعبية عربية عريضة لمقاومة المشروع الصهيوني سياسياً واقتصادياً وثقافياً، علينا أن ننظر إلى المعادلة الدولية وإلى المعادلة العربية الرسمية. أي أن الأنظمة العربية التابعة للقطب الأميركي الأوحد في العالم، لن تسمح بتوفير المناخات المطلوبة لمواجهة العدو، لأن الولايات المتحدة الأميركية ما تزال تنظر إلى الكيان الصهيوني كحليف استراتيجي، وكوكيل أعمال الإمبريالية في المنطقة، أو بعبارة أكثر بساطة، فإن الولايات المتحدة ترى في(إسرائيل) شرطياً مخلصاً لها، ويستطيع بهراواته أن يخضع الأنظمة لحسابها، ولهذا، فإننا نلاحظ الوقوف الأميركي الدائم إلى جانب الكيان الصهيوني، في كل المحافل، وفي كل المناسبات، بالإضافة إلى الدعم المادي الملموس، والدعم المعنوي التطوعي، الذي تبادر إليه الإدارة الأميركية والكونغرس الأميركي(قرار القدس عاصمة إسرائيل الأبدية.. مثلاً) ..... وبناء على هذا، وبناء على غياب الديمقراطية في الوطن العربي، فإن إنشاء الجبهة المذكورة، تقف أمامه عوائق عملاقة، لا يجوز إغفالها، كما لا يجوز الاستسلام لسطوتها... لكنني-في الوقت نفسه- أدعو إلى قيام مشروع مقاومة للغزاة الصهاينة، سياسياً واقتصادياً وثقافياً، مثلما أدعو إلى ممارسة شعب فلسطين والأمة العربية بأسرها، لحقهم الطبيعي في مقاومة وجود العدو فوق أرض فلسطين، بكل الوسائل الرادعة.

—٥—

أما ونحن نمر هذا العام بذكرى مرور خمسين عاماً على حلول الكارثة، فإن علينا أن نتفكر ونتدبر في كيفية الخروج من المأزق، على ضوء المستجدات

السياسية الراهنة. ولا أظن أن ذلك ممكن، دون أن نبادر إلى حشد الطاقات الشعبية، وإذكاء روح الكفاح فيها، والتمهيد للرد على القوة بالقوة، ومجابهة الغزو بالمقاومة التي تعيد الحقوق كاملة لأهلها، ولا تقوى المفاوضات على إعادتها.

وتتصادف هذا العام أيضاً ذكرى مرور خمسين عاماً على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي ينص على حق الشعوب في مقاومة الاحتلال. لكن المأزق الحقيقي هو العوائق التي تقف في وجه النضال والمقاومة، وليس شرعية الكفاح نفسه!

* * *

أجوبة الفريق الركن:
مشهور حديثة الجازي

قائد القوات الأردنية في معركة الكرامة.

(١) سبب بداية الهزيمة بنظري أن الأمة العربية ممثلة بقياداتها وبعدد مفكريها فشلت فشلاً كبيراً بمجابهة المشروع الصهيوني والمدعم من الدول الغربية وفي مقدمتها بريطانيا لاحتلال فلسطين وإقامة دولتهم المزعومة. وسبب الفشل إن الأمة العربية لم تواجه أعداءها موحدة فتصدت للمشروع الصهيوني بدول عربية متفرقة لا بقرار واحد مقابل المشروع الصهيوني الواحد الموحد. وعندما تقرر خوض الحرب ضد العصابات الصهيونية دخلت بأربعة جيوش وهي الأردن- وسورية- ومصر والعراق مقابل قوة صهيونية مدربة تدريباً جيداً ولها خبرة واسعة ومسلحة تسليحاً جيداً من الدول الغربية وتعتبر من القوات التي خاضت الحرب مع الحلفاء بالحرب العالمية الثانية. وأؤكد أن تعداد جيوش الدول الأربع لا يتعدى ٦ آلاف جندي عربي مسلح مقابل ١٢٠ ألف يهودي مدرب ومسلح. والجيوش العربية مع أنه سمي قائد واحد للجيوش المرحوم الملك عبد الله لكن الحقيقة هذه الدول دخلت الحرب بقياداتها العسكرية والسياسية متفرقة مقابل قوة كبيرة بقيادات مثل عصابات الهاغانا وغيرها ولكنها بالحقيقة قيادة واحدة وهدف واحد. وبالرغم من هذه المفارقات وسوء تقدير قوات العدو وعدم توحيد القيادات فقد حققت هذه الجيوش انتصارات كثيرة. ورغم أن الجيش الأردني كان بقيادة ضباط إنجليز وبقيادة كلوب باشا والذي ينفذ السياسة البريطانية فقد استطاع هذا الجيش الصغير بحجمه وقلة معداته الاحتفاظ بحوالي نصف فلسطين وكامل القدس العربية.

(٢) المشـروع الصهيونـي:

مع كل أسف إن قرارات صهيون تم تنفيذها بحذافيرها حيث تم إقامة دولة - إسرائيل على أرض فلسطين، بينما نحن نفتقر للخطة وللمصداقية. والآن فإن أطماع الصهيونية ومدعمة من أمريكا لا حدود لها فهي تخطط لاحتلال كافة الأراضي العربية والوصول لمنابع البترول بالخليج والعـراق وتحلم كثيراً بالاستيلاء على إيران الإسلامية فالأطماع والجشع ليس له حدود.

(٣) تأثير الاتفاقيات المبرمة مع إسرائيل:

تحقق لإسرائيل أطماع الحركة الصهيونية بأرخص ثمن، فلم يتحقق شعار الأرض مقابل السلام كما حلم بعض قادة العرب. والآن تطالب دولة إسرائيل بالأرض العربية كاملة غير منقوصة من مساحات وبترول، واستطاعت الدولة العبرية أن تسهل مهمة سماسرتها وجواسيسها في معظم الأراضي العربية الذي كان حلماً لإسرائيل. وكذلك استطاعت بالدخول في الاقتصاد وللدول العربية بالطرق الخبيثة التي يتقنها دهالسة الصهيونية العلمية الماكرة.

(٤) أعتقد أن المخرج الوحيد أمام الدول العربية هو الوحدة العربية التـي هي مطلب جماهيري من محيطها إلى خليجها وبداية(إحياء السوق العربية المشتركة) وهي المقدمة للوحدة العربية لأن الاقتصاد روح وحياة الأمم، وأكبر دليل السوق الأوروبية التي وحدت عدة دول أوروبية لا تربطها اللغة ولا العـرق ولكنها المصلحة الاقتصادية التي وحدت الهدف.

ومع كل هذه الإحباطات فإن أملي كبير بهذه الأمة العريقة الذي قال عنها سبحانه وتعالى في كتابه العزيز"كنتم خير أمة أخرجت للناس". والله الموفق.

* * *

نبذة عن الكاتب

- من مواليد مدينة قلقيلية عام ١٩٥٠– فلسطين.
- أبعدته سلطات الاحتلال الصهيوني في عام ١٩٧٠ إلى الأردن، بعد اعتقال دام سنتين في السجون الإسرائيلية.
- حصل على شهادة الطب العام وعمل طبيباً في المخيمات الفلسطينية في الأردن ولبنان وسورية سنوات عدة.
- حصل على شهادة الدكتوراه في الطب الطبيعي ويمارس عمله كاختصاصي في هذا المجال، وهو عضو في نقابة الأطباء الأردنية.
- مشارك وله نشاطات سياسية وشعبية مختلفة.
- كاتب سياسي، وكاتب قصة قصيرة وله العديد من الأبحاث والمقالات المنشورة في عدة مجلات وصحف عربية مختلفة، ومازال يمارس الكتابة في العديد من الصحف.
- عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب.
- من مؤلفاته:

* والجراح تشهد، مذكرات طبيب في زمن الحصار– ١٩٨٣ .
* تزوير التاريخ، في الرد على كتاب نتنياهو: مكان تحت الشمس– ١٩٩٧ .

* * * *

* * *

الفهـــرس

□□□□□□□□


BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

رقم الإيداع في مكتبة الأسد الوطنية :

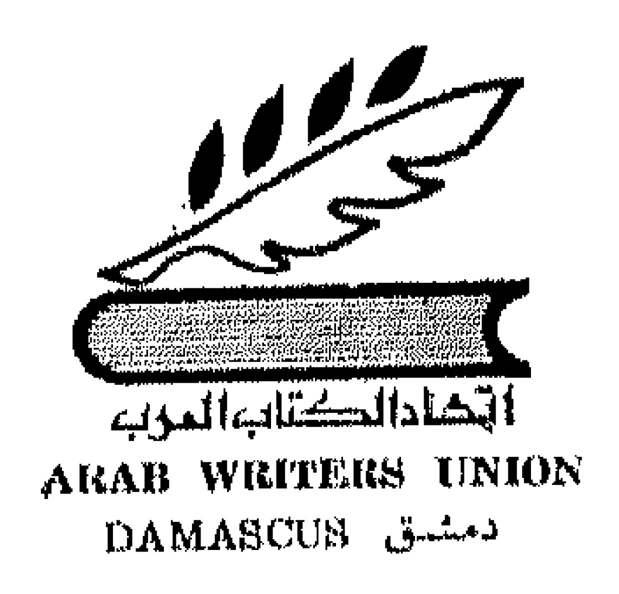
خمسون عاماً على النكبة: دراسة/ فايز رشيد- دمشق؛
اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٩- ١٩٠ص ؛ ٢٤سم.

١- ٣٢٠,٩٥٦ ر ش ي خ ٢- العنوان
٣- رشيد

ع-١٩٩٩/٥/٨٣٤ مكتبة الأسد

□

اتحاد الكتاب العرب
ARAB WRITERS UNION
DAMASCUS دمشق



هذا الكتاب

يشير الكاتب بمناسبة مرور خمسين عاماً على اغتصاب فلسطين. مسألة الرد على الادعاءات الصهيونية من جانب العرب فيما يتعلق (بحق اليهود التاريخي في فلسطين) لذا يطرح الكاتب عدداً من الأسئلة على نخبة من المثقفين هادفاً من عمله هذا تعميق حالة الجدل القائمة وبخاصة في البحث عن كيفية الخروج من مأزقنا الراهنة و الإسهام في مواجهة المعارك التي تجابهها أمتنا العربية.

□

مطبعة اتحاد الكتاب العرب
دمشق

ثمن النسخة ٢٠٠ ل.س في القطر
٢٥٠ ل.س في أقطار الوطن العربي